

# التبصرة

للإمام أبي الفتح عبد الرحمن بن أبي جوزي

( ٥١٠ - ٥٩٧ هـ )

تمت

الدكتور مصطفى عبد الواحد

[ ينشر لأول مرة على نسخ مكتبة طلعت ]

المجلد الثاني

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى  
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

الطبعة الثانية  
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ٩٤٢٤/١١ - تلکس: Le 41245 Nasher

هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٤٣٩٨ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣

فاکس: ٤٧٨١٣٧٣ / ١٢١٢ / ٠٠

# الطَبَقَةُ الثَّانِيَّةُ

فيها مجالس تشتمل على فضائل أيام السنّة ولياليها المذكورات

---

فِيهَا إِحْدَ عَشَرَ مَجْلَسًا





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المجلس الأول

### في ذكر عاشوراء والمحرم

الحمد لله الذي طهر بتأديبه من أهل تقريبه نفوساً ، وسقى أرباب مصافاته من شراب مناجاته كؤوساً ، ودفع كيد الشيطان عن قلوب أهل الإيمان فأصبح عنها محبوساً ، وصرف عن أهل وداده بلطفه وإسعاده أذى وبوساً ، وأذلّ بقهره من شاء من خلقه أعناقاً ورءوساً ، وأعاد ذكر الأصنام بعزّ التوحيد والإسلام مطموساً ، وجعل عدد السنين بجريان الشمس والقمر للحاسبين محروساً ، وكرّم عشر المحرم وكلم في عاشوراء منه نبيّه موسى .

أحمده على نعم لا تحصى عدداً وما أقضى بالحمد حقاً ، وأشكره ولم يزل للشكر مستحقاً ، وأشهد أنه المالك للرقاب كلها رِقاً ، كَوْن الأشياء وأحكمها خلقاً ، وفتق السماء والأرض وكانتا رتقاً ، وقسم العباد فأسعد وأشقى « هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً <sup>(١)</sup> » .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف الخلائق خلقاً وخلقاً ، صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الذي حاز كل الفضائل سبقاً ويكفيه : « وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى » وعلى عمر العادل فاي مجابي خلقاً ، وعلى عثمان الذي استسلم للشهادة فما يتوقّى ، وعلى عليّ بائع ما يفنى ومشتري ما يبقى ، وعلى عمه العباس صينو أبيه حقاً .

\*\*\*

اعلموا رحمكم الله إخواني أن شهر المحرم شهر شريف القدر ، وإنما سمي المحرم لأن القتال كان يحرم فيه . وقد روى عن جماعة من المفسرين في قوله تعالى : « والفجر وليال عشر » أنها العشر الأوائل من المحرم وقال قتادة : أراد بالفجر فجر أول يوم من المحرم . أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار ، حدثنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ، أنبأنا علي بن أحمد بن محمد بن كيسان ، أنبأنا يوسف بن يعقوب القاضي ، حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير ، عن محمد بن المنثشر<sup>(١)</sup> عن حميد بن عبد الرحمن الحميري ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أفضل الصوم بعد رمضان شهر الله الذي تدعونه المحرم<sup>(٢)</sup> » .

أخبرنا ابن الحُصَيْن ، أنبأنا ابن المذهب ، أنبأنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبيد الله ابن أحمد ، حدثني خيثمة ، حدثني أبو معاوية ، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان ابن سعد ، عن علي قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا رسول الله أخبرني بشهر أصومه بعد رمضان فقال : « إن كنت صائماً شهراً بعد رمضان فصم المحرم فإنه شهر الله ، وفيه يومٌ تاب فيه على قوم ويُتاب فيه على آخرين » .

وقد روى ابن شاهين من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام يوماً من المحرم فله ثلاثون يوماً » .

ومن حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له عبادة تسع مائة سنة » .

ورويت أحاديث من هذا الجنس لا تثبت فلها تركناها .

ويستحب صيام التاسع والعاشر ، أما التاسع فذهب ابن عباس أنه هو عاشوراء قال

(١) في المتن ٦١٦/٢ : منتشر بن الأجدع روى عنه ولده محمد .

(٢) روى نحوه مسلم في صحيحه كتاب الصيام حديث رقم ٢٠٢ ، ٢٠٣ . وأخرجه أيضاً أبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي وأحمد .

الأزهرى : كأنه تأول فيه عشر الورد والعرب تقول : وردت الإبلُ عشراً إذا وردت يوم التاسع .

وأما يوم عاشوراء ففي الصحيحين من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فرأى اليهود يصومونه ويقولون : هذا يومٌ عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه ، فصامه موسى شكراً ففتح نصرته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ففتح أحق وأولى بموسى منكم » فصامه وأمر بصيامه <sup>(١)</sup> .

وفيهما من حديث سلمة بن الأكوع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلاً من أسلم أن أذن في الناس : من كان أكل فليصم : يعني بقية يومه . ومن لم يكن أكل فليصم فإن اليوم يوم عاشوراء <sup>(٢)</sup> .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار ، أنبأنا الحسن بن علي أنبأنا أبو الحسين علي بن محمد ابن كيسان ، أنبأنا يوسف بن يعقوب ، حدثنا إبراهيم بن بشار ، حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا عبيد الله ابن أبي يزيد ، قال سمعت ابن عباس سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال : « ما رأيت النبي <sup>(٣)</sup> صلى الله عليه وسلم صام يوماً يتحرى فضله على الأيام إلا هذا اليوم . يعني يوم عاشوراء . وهذا الشهر ، يعني شهر رمضان <sup>(٤)</sup> » .

قال يوسف : وحدثنا عبد الواحد بن غياث ، حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة ، عن غيلان بن جرير ، عن عبد الله بن معبد الزماني ، عن أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله عليه وسلم قال : « صوم عاشوراء يكفر العام الذي قبله » .

انفرد بإخراجه مسلم .

(١) صحيح البخارى ٢٧٩/١ ( ط الأميرية سنة ١٢٨٠ هـ ) كتاب الصوم ( باب صوم يوم عاشوراء ) وصحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٢٧ - ١٣٠ .

(٢) صحيح البخارى ٢٨٠/١ ، وصحيح مسلم ١٥١/٣ ط استامبول ( كتاب الصوم )

(٣) ت : ما رأيت رسول الله . (٤) صحيح مسلم ١٥٠/٣ ط استامبول . ( كتاب الصوم )

وقد روى في فضائل عاشوراء أحاديث موضوعة فلا فائدة في ذكرها ، مثل : من اغتسل ومن أكتحل ومن صافح . وكله ليس بشيء .

وقال معاوية بن قرة : صام نوح ومن معه في السفينة <sup>(١)</sup> قال ابن شاهين : ومن بلغنا أنه كان يصوم يوم عاشوراء على بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعلى بن الحصين وسعيد بن جبّير وطاوس . وفي الجملة هو يوم عظيم فينبغي أن يفعل فيه ما يمكن من الخير . [ فهو وأمثاله مواسم الخيرات فاغتنموها واحذروا الغفلات <sup>(٢)</sup> ] .

### ﴿ الكلام على البسملة ﴾

خُلِقْنَا لأحداث الليالي فرائسًا	تَرْفَ إلى الأجداث منا عرائسًا
تَجَهَّزْنَا للقبور عساكرًا	وَتُرْدِفُ أَعْوَادَ المنايا فوارسًا
إِذَا أَمَلْنَا أَرْخَى لَنَا من عَنَانِهِ	غَدَا أَجَلٌ عَمَّا نَحْوِ حَابِسًا
أَرَى الْفُضْنَ لَمَّا اجْتَثَّ وَهُوَ بِمَائِهِ	رَطِيبًا وَمَا أَصْبَحَ الْفُضْنُ يَابِسًا
نَشِيدُ قُصُورًا لِلْخُلُودِ سَفَاهَةً	وَنَصِيرُ مَا شَتْنَا فَتُورًا دَوَارِسًا
وَقَدْ نَعَتِ الدُّنْيَا إِلَيْنَا نَفُوسَنَا	بِمَنْ مَاتَ مِنَّا لَوْ أَصَابَتْ أَكَابِسًا
لَقَدْ ضَرَبْتُ كَسْرَى الْمُلُوكِ وَتُبَعًا	وَقِصْرَ أَمْثَالِ فُلْمِ نَرِ قَائِسًا
نَرَى مَا نَرَى مِنْهَا جِهَارًا وَقَدْ غَدَا	هَوَاهَا عَلَى نُورِ الْبَصِيرَةِ طَامِسًا
وَقَدْ فَضَحَ الدُّنْيَا لَنَا الْمَوْتُ وَأَعْظَا	وَهِيَّاتِ مَا نَزْدَادُ الْإِتْقَاعُسًا

غيره :

أَبْدًا تَفْهَمُنَا الْخُطُوبَ كَرُورَهَا	وَنَعُودُ فِي عَمَمٍ كَمَنْ لَا يَفْهَمُ
تَنْفَى مَسَامَعَنَا الْعِظَاتُ كَأَنَّمَا	فِي الظِّلِّ يَرُقُّمُ وَعَظُهُ مِنْ يَرْقُمُ
وَصَحَائِفُ الْأَيَّامِ نَحْنُ سَطُورَهَا	بِقِرَا الْأَخِيرِ وَيَذَرُجُ الْمُتَقَدِّمُ

لَحْدٌ عَلَى لَحْدٍ مُيَّالٌ ضَرِيحُهُ      وَبِأَعْظَمِ رِمَمٍ عَلَيْهَا أَعْظَمُ  
مَنْ ذَا تَوَقَّاهُ الْمُنُونُ وَقَبَلْنَا      عَادَةً أَطَاحَهُمُ الْجِمَامُ وَجُرْهُمُ  
وَالْتَّبَعَانِ تَلَا حَقًّا وَمُحَرَّقٌ      وَالْمَنْذِرَانِ وَمَالِكٌ وَمَتَمُّ

\*\*\*

كَأَنَّكَ بِمَا يُزْعَجُ وَيَرْوَعُ ، وَقَدْ قَلَعَ الْأَصُولَ وَقَطَعَ الْفُرُوعَ ، يَا نَأْتِمًا إِلَى كَمْ هَذَا الْمَجْجُوعُ ،  
إِلَى مَتَى بِالْهَوَى هَذَا الْوَلُوعُ ، أَبْنَعَكَ وَقْتَ الْمَوْتِ الدَّمُوعُ ، كَمْ لَكَ إِلَى التَّقَى عِنْدَ النَّزْعِ  
نُزُوعُ ، هِمَّاهُ لَا يَنْفَعُ الذَّلَّ إِذَا وَالْخُضُوعُ ، يَقُولُ فَرَّقُوا الْمَالَ فَالْعَجَبُ لَجُودِ الْمُنُوعِ ، هَذَا  
وَمَلَكَ الْمَوْتَ يَسْلُهَا مِنْ بَيْنِ الصُّلُوعِ ، رَشَقَكَ سَهْمُ النَّوْنِ فَمَا أَغْنَتْ الدَّرُوعُ ، وَأَتَى  
حَاصِدُ الزَّرْعِ وَأَيْنَ الزَّرُوعِ ، وَخَلَّتْ مِنْكَ الْمَسَاكِينُ وَفَرَّغْتَ الرَّبُوعَ ، وَنَابَ غَرَابُ  
الْبَيْنِ عَنِ الْوَرَقَاءِ الشُّجُوعِ ، وَتَمَنَيْتَ أَنْ لَوْ زِدْتَ مِنْ سَجُودِ وَرُكُوعِ ، فَاحْذَرِ مَكْرَ الْعَدُوِّ  
وَلَا تَقْبَلْ قَوْلَ الْخُدُوعِ .

ضَيَّعْتَ وَقْتَكَ ، فَانْقَضَى فِي غَفْلَةٍ      وَطَوَيْتَ فِي طَلَبِ الْخَوَادِعِ أَذْهَرًا  
أَفْهَمْتَ عَنْ هَذَا الزَّمَانِ جَوَابَهُ      فَلَقَدْ أَبَانَ لَكَ الْعِظَاتِ وَكَرَّرًا  
عَايَنْتَ مَا مَلَأَ الصُّدُورَ مَخَافَةً      وَكَفَلَكَ مَا عَايَنْتَهُ مِنْ أَخْبَرًا

\*\*\*

يَا عَجِبًا كَيْفَ أُنْسَ بِالدُّنْيَا مَفَارِقَهَا ، وَأَمِنْ النَّارِ وَارِدُهَا ، كَيْفَ يَفُتِلُ مَنْ لَا يُفُتِلُ عَنْهُ ،  
كَيْفَ يَفْرَحُ بِالدُّنْيَا مَنْ يَوْمُهُ يَهْدِمُ شَهْرَهُ ، وَشَهْرُهُ يَهْدِمُ سَنَتَهُ وَسَنَتُهُ تَهْدِمُ عُمْرَهُ ، كَيْفَ  
يَاهُو مَنْ يَقُودُهُ عُمْرُهُ إِلَى أَجَلِهِ وَحَيَاتِهِ إِلَى مَوْتِهِ .

إِخْوَانِي : الدُّنْيَا فِي إِذْ بَارٍ ، وَأَهْلُهَا مِنْهَا فِي اسْتِكْثَارٍ ، وَالزَّرَاعُ فِيهَا غَيْرُ التَّقَى لَا يَحْصِدُ

إِلَّا النَّدَمَ .

قال لقمان لابنه : يا بني لكل إنسان بيتان : بيتٌ شاهدويت غائب ، فلا يُلمينك بيتك الحاضر الذى فيه عُمرُك قليل عن بيتك الغائب الذى عُمرُك فيه طويل .  
إخوانى : أنفاس الحى خُطاه إلى أجله وربما أورد الطمع ولم يُصدر . يامن يَفنى ببقائه وَيَسْتَقِم بسلامته ويؤتى من مأمنه تيقظ ، الجدَّ الجد قبل بَغْثات المنايا ومجاورة أهل البلى ، لِيَحُلَّنَ بكم من الموت يوم ذو ظلم ينسيكم معاشرَةَ اللذات والنعم ، ولا يبقى فى الأفواه إلا طعم الندم .

\*\*\*

سَلْ بِالزَّمانِ خَبِيرًا	إِنَّهُ بِهِ لَعَلِيمٌ
دَاعِيَ الْإِمَانَةِ ظَالِعٌ	بِالْمُرءِ وَهُوَ مُقِيمٌ
ووراء ضيق حياته	نَفْسٌ وَلَيْسَ يَدُومُ
يَاسَادِرًا فى غِيَّهِ	حَتَّامٌ أَنْتَ مُلِيمٌ
لَا تُجَدِّعَنَّ بِمُنِيَّةٍ	أُمَّ الْخُلُودِ عَقِيمٌ
حَتَّامٌ يَجْذِبُكَ الشَّيْءُ	بِكَفِّهِ وَتَهِيمٌ
وَإِذَا الْمُنِيَّةُ أَبرَقَتْ	فَرَجَاؤُكَ الْمَهْزُومُ
عُشِقَ الْبَقَاءُ وَإِنَّمَا	طَوَّلُ الْحَيَاةِ هُمُومُ

أين الذين ملكوا الدنيا ونالوا ، زالوا سبقوك يا هذا إلى ما إليه آلوا ، أين المفرورون بالآلِ آلُوا إلى الشَّتَاتِ ، أين المسرورون بالمال مالوا إلى الكِفَاتِ ، غَلِقَ رَهْنُ أَعْمَالِهِمْ وَمَا عَلِقُوا إِلَّا بِالْوَبَالِ ، وصارت آصَارُهُمْ فى مصيرهم كالجبال ، فندموا إذ لا ندم ينفع ، وندبوا على المصاب ولكن بعد المضرع ، وتجرعوا كؤوس البأس من كل مَطْمَعٍ ، وَضُرَبُوا بِسِيفٍ مِنَ الْحِمَارَاتِ إِذْ تَهَزَّزَتْ قَطْعُ .

ظَلَّ مِنَ الدُّنْيَا تَقَلَّصَ زَائِلًا وَمُنَى مُيْذَاقٍ عَلَى جَنَاحِهَا الْعَلَقَمُ  
مَا هَذِهِ الْأَمَالُ إِلَّا رَقْدَةٌ فِيهَا بِأَضْفَاتِ الْأُمَامَى نَحْمُ

والكل في رِقِّ الفناء وإنما للناثبات مُعَرَّضٌ مِنْ يَهْرُمُ  
أبدًا تفهمنا الخطوبُ كرورها ونمود في عَمَةٍ كمن لا يفهم  
تَلْقَى مَسَامَعَنَا العِظَاتِ كَأَنَّمَا فِي الظِّلِّ يَرَقُمُ وعظه من يَرَقُمُ  
وصحائف الأيام نحن سُطورها بقرا<sup>(١)</sup> الأخير وَيَذْرَجُ المتقدِّمُ  
لحدٍّ على لحدٍّ يَهَالُ ضريحه مع<sup>(٢)</sup> أعظم رِمَمَ عليها أعظم  
من ذا توقَّاه البنون وقبلنا عاد أطاحهم الحِمَامُ وجُرُمُ  
والتَّبَعَانِ تلاحقا ومحرَّقِ والمُنْذِرَانِ ومالكٍ ومُتَمِّمٍ  
ومَمَالِكٍ مُنعت بها أربابها فتَجَبَّرُوا ثَقَّةً بها وتَعَظَّمُوا  
سُلبوا ثياب الخنزِزَانَةِ<sup>(٣)</sup> عَنُوةً فهِوُوا وشامِخُ عِزِّهم مهْدُمُ

### الكلام على قوله تعالى

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ<sup>(٤)</sup>﴾

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث أبى بكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم النحر بمكة : « دماؤكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فىساءلكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعلى ضلّالا يضرب بعضكم رقاب بعض<sup>(٥)</sup> » .

أخبرنا هبة الله بن الحصين ، أنبأنا الحسين بن على ابن المذهب ، أنبأنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنى أبى ، حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، قال قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء » .

(١) ت : ينى . (٢) ت : أو أعظم . (٣) الخنزوانة : الكبر . (٤) سورة الإسراء ٣٣  
(٥) صحيح البخارى ١/٢٤٤ (كتاب الحج) ، وصحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٣١١ ، ٣٢٩

قال أحمد : وحدثننا أبو النضر ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يُصَبْ دماً حراماً »

انفرد بإخراج هذا الحديث البخارى <sup>(١)</sup> واتفقا على الذى قبله <sup>(٢)</sup> .

أخبرنا على بن عبيد الله ، أخبرنا أبو الحسين ابن النُّقُور ، أخبرنا أبو حفص للكنانى ، حدثنا البغوى ، حدثنا محمد بن عبَّاد المكي ، حدثنا حاتم ينفى ابن إسماعيل ، عن كِشِير ينفى ابن المهاجر ، عن ابن بُرَيْدَةَ عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَقَتْلُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا » .

\*\*\*

واعلم أن الله عز وجل اختار هذا اليوم لاستشهاد الحسين .

أخبرنا ابن الحصين ، أخبرنا ابن المذهب ، أخبرنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبد الله ابن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا أبو النضر ، حدثنا مهدي ، عن محمد بن أبي يعقوب ، عن ابن أبي نعم ، قال جاء رجل إلى ابن عمر وأنا جالس عنده فسأله عن دم البعوض فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل العراق . قال : انظروا إلى هذا يسأل عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هما رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا » .

انفرد بإخراجه البخارى <sup>(٣)</sup> .

أخبرنا الكُروخي ، أنبأنا أبو عامر الأزدي . وأبو بكر الفُورَجِيّ ، أنبأنا الجرَّاحي ، حدثنا المحبوبي ، حدثنا الترمذي ، حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا أبو داود

---

(١) صحيح البخارى ٢٤٦/٣ (كتاب الديات) .

(٢) صحيح البخارى ٢٤٦/٣ (كتاب الديات) وصحيح مسلم كتاب القسامة حديث ٢٨ .

(٣) صحيح البخارى ١٦٩/٢ (كتاب المناقب) .



الحفري ، عن سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن ابن أبي نعيم ، عن أبي سعيد الخدري ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهل الجنة » . قال الترمذی : هذا حديث صحيح <sup>(١)</sup> .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ، أنبأنا الجوهري ، حدثنا ابن معروف ، حدثنا ابن صاعد ، حدثنا يوسف بن موسى القطَّان ، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، عن عاصم بن بهلثة ، عن أبي ذرٍّ ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذان ابناي فن أحبهما فقد أحببني » يعني الحسن والحسين عليهما السلام .

أخبرنا علي بن عبد الله ، أخبرنا علي بن أحمد بن البصري ، أخبرنا عبيد الله بن محمد ابن ربيعة إذنا ، قال : حدثني أبو صالح محمد بن أحمد ، حدثنا محمد بن عبيد الله البصري ، حدثنا عبيد الله بن محمد العبسي ، حدثنا أبان بن أبي عيَّاش ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ، قالت : كان جبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم وحسين معي فبكي فتركته فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه فبكي فأرسلته فذهب إليه فقال له جبريل : أتجبه يا محمد فقال : نعم . فقال : إن أمتك ستقتله فإن شئت أريتك تربة أرضه التي يُقتل بها . فبسط جناحه إلى الأرض التي يُقتل بها يقال لها كربلاء وأخذ بجناحه فأراه إياه . قال حماد : فأخبرني أبان أو غيره أن الحسين لما نزل كربلاء شمَّ الأرض وسألمهم عن اسمها فقالوا : كربلاء فقال : كرب وبلاء فقتل بها <sup>(٢)</sup> .

وروي عبد الله بن نجيم ، عن أبيه أنصار مع علي عليه السلام وكان صاحب مظهرته فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين نادى علي : اصبر أبا عبد الله ، اصبر أبا عبد الله بشط الفرات . قلت : وما ذاك ؟ قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم

(١) صحيح البخاري ٣٠٦/٢ (كتاب المناقب . باب مناقب الحسن والحسين) .

(٢) مجمع الزوائد ١٨٩/٩

وعيناه تفيضان قلت : يا بني الله أغضبك أحدٌ ماشأَن عينيك تفيضان ؟ قال : قام من عندي جبريل قبلُ فحدَّثني أن الحسين يُقتل بشط الفرات وقال لي : هل لك أن أُنثِمَكَ من تربته قلت : نعم فد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضنا <sup>(١)</sup> .

وروى عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه أو يتتبع فيها شيئاً ، قلت : يا رسول الله ماهذا ؟ قال : دم الحسين وأصحابه لم أزل أتبعه منذ اليوم . قال عمار : لحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قُتل ذلك اليوم <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

إنما رحل الحسينُ إلى القوم لأنه رأى الشريعة قد رُمِفت ، فجَدَّ في رفع قواعد أصلها الجَدَّ [ صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> ] ، فلما حضروه حصَّروه فقال : دعوني أرجع . فقالوا : لا ، انزل على حكم ابن زياد . فاختر القتل على الذلِّ ، وهكذا النفوس الأبية .

تَأَبَّى الدِّنَاءَةَ لِي نَفْسٌ نَفَسَتْهَا تَسْعَى لغير الرِّضَا بالرَّيِّ وَالْهَبْعِ  
فَلَا كُنْسابَ الْعُلَا حِلِّيَّ وَمُرْتَحِلِيَّ وَفِي حِمَى الْمَجْدِ مُصْطَافِيَّ وَمُرْتَبَعِيَّ  
لِي هِمَّةٌ مَا أَظُنُّ اللَّحْظَ يَذْكُرُهَا إِلَّا وَقَدْ جَاوَزَتْ فِي كُلِّ مُتَمَتِّعٍ  
لِأَصْحَابَتِنِي نَفْسٌ إِنْ هَمَّتْ بِأَنْ أَرْمِي بِهَا لِهَوَاتِ الْمَوْتِ لَمْ تَطْع <sup>(٤)</sup>  
ولقد تبَّع طريقَ الحسين عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ ، فإنَّ الحجاجَ عرض عليه الأمان فقال :

والله لَضَرْبَةُ سَيْفٍ فِي عِزِّ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلِّ ! وَكَانَ يَحَارِبُهُمْ وَيَنْشُدُ :  
اصْبِرْ عَصَامُ إِنَّهُ شِبْرَاقٌ <sup>(٥)</sup> قَدْ سَنَّ أَصْحَابُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ  
وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ

(١) مجمع الزوائد ١٨٧/٩ (٢) مجمع الزوائد ١٩٠/٩ (٣) من : ت  
(٤) الأبيات لبند الواحد بن نصر البياض ، وقد أورد بعضها ابن الجوزي في ذم الهوى ص ٣٤٣ .  
(٥) الشبراق : من كل شيء شدته .

قيل له قد لحق فلان وفلان بالحجاج . فأنشد :  
 فَرَّتْ سَلَامَانُ وَفَرَّتِ النَّيِّرُ      قَدْ (٢) تَلَقَى مَعَهُمْ فَلَا فِرَّةَ  
 وَكَانُوا يَرْمُونَ بِالْحَجَّارَةِ      فَيَقَالُ لَهُ مَا تَأْمَنُ أَنْ يَصِيبَكَ حَجَرٌ ؟ فَيَقُولُ :  
 هُوَنَّ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْأُمُورَ      بَكَفٍّ إِلَّا لَهُ مَقَادِيرُهَا  
 فَلَيْسَ بِأَتَيْكَ مَنِيَّهَا      وَلَا قَاصِرٌ عَنْكَ مَأْمُورُهَا  
 ولبس درعاً وجاء يودّع أمه أسماء فقالت : ما هذا الدرع ؟ قال : والله ما لبسته  
 إِلَّا لِأَقْوَى فَسْكَ !

فَإِنِّي لَيُفْنِي عَنِ السِّيفِ عَزَمَتِي      فَهَلْ فِيهِ مَا يَفْنِيهِ عَنْ كَفٍّ ضَارِبٍ  
 إِذَا عَرَضَ الدُّنْيَا أَلَانَ صَلَابِهَا      شَمَخْتُ بِأَفَى عَنْهُ وَأَزُورُ جَانِبِي  
 فَلَا تَنْتَسِبُ إِلَّا إِلَى بُعْدِ هِمَّةٍ      وَلَا تَكْتَسِبُ إِلَّا بِجُحْرِ الْقَانِبِ  
 فَإِنْ دَنَيْتِ السَّجَايَا إِذَا هَوَى      بِهَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْفَعَهُ عِزُّ الْمُنَاصِبِ  
 لله در هذه الأنفس فما أعزّها وهذه المهمم فما أرفعها !  
 وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضَ الْحَيَاةِ مَذَلَّةً      عَلَيْهِمْ وَعِزُّ الْمَوْتِ غَيْرَ مُحَرَّمٍ  
 أَبَوْا أَنْ يَذُوقُوا الْعَيْشَ وَالذَّمَّ وَاقِعٌ      عَلَيْهِ وَمَاتُوا مَيِّتَةً لَمْ تُدْمَمِ  
 وَلَا عَجَبٌ لِلْأَسَدِ إِنْ ظَفَرَتْ بِهَا      كَلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ  
 فَحَرَبَةٌ وَخَشْيَ سَفَتِ حَمْرَةَ الرَّدَى      وَحَتَفَ عَلَى فِي حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمِ

\*\*\*

أخبرنا علي بن عبيد الله ، أخبرنا علي بن أحمد السري ، أنبأنا عبد الله بن بطة ،  
 حدثنا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي ، حدثنا هلال بن بشر ، حدثنا عبد الله

ابن موسى عن هلال بن ذكوان ، قال لما قتل الحسين مُطِرَنا مطرا بقي أثره في ثيابنا مثل الدم .

قلت : لما كان الغضبان يحمرُّ وجهه فيقبين بالحمرة تأثير غضبه ، والحق سبحانه ليس بجسم ، أظهر تأثير غضبه بحمرة الأفق حين قتل الحسين .

وبالإسناد قال ابن بطة : وحدثنا إسماعيل ابن إسحاق القاضي ، حدثنا سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن هشام ، عن محمد بن سيرين ، قال : لم تر هذه الحمرة في السماء حتى قُتل الحسين .

قال ابن بطة : وحدثنا أبو ذر الباغندي ، حدثنا حماد بن الحسين الوراق ، قال سمعت علي بن أخي شعيب بن حرب يقول : ناحت الجنُّ على الحسين ابن علي فقالت جِنِّيَّة : جاءت<sup>(١)</sup> نساء الحى يبيكين شَجِيَّاتٍ ويلطمن خدودًا كاللذائير نقياتٍ ويلبسن ثياب السُّود بعد التَقصِيَّاتِ

ورويانا في حديث أنه حفظ من قول الجن :

مَسَحَ النَّبِيُّ جَبِينَهُ فَلَهُ بَرِيقٌ فِي الْخُدُودِ  
أَبَوَاهُ مِنْ عَلِيٍّ قَرِيشٍ وَجَدَّهُ خَيْرُ الْجُدُودِ<sup>(٢)</sup>  
وقال جنى آخر<sup>(٣)</sup> .

أَبَكِي قَتِيلًا بَكْرِبَلَاءِ مُضَرَّجٍ الْجِسْمَ بِالْدَمَاءِ  
أَبَكِي قَتِيلًا بَكِي عَلَيْهِ حُزْنًا بَنُو الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ  
أَبَكِي قَتِيلَ الطِّفْلِ ظَلَمًا بَغِيرِ جُرْمِ سِوَى الْوَفَاءِ  
هَتَّكَ أَهْلُوه فَاسْتَحْلَوْا مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي الْإِمَاءِ

(١) ب ، ج : جئن . (٢) أورد الميثمي هذا الخبر في مجمع الزوائد ٩/ ١٩٩ وقال : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه وأبو جثاب مدلس . (٣) ب ، ج : وقالت .

يَا بَإَبَى جِسْمِهِ الْمَعْرَى إِلا مَن الدِّينِ وَالْحَيَاءِ  
كُلِّ الرِّزَايَا لَهَا عَزَاءٌ وَمَالِذَا الرُّزْءُ مِنْ عَزَاءِ  
وروينا أن صخرة وجدت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث مائة سنة وعليها  
مكتوب باليونانية:

أَيْرَجُو مَعْتَرٌ قَتَلُوا حُسَيْنَا شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ  
ويح قاتل الحسين ! كيف حاله مع أبويه وجده !  
لَا بَدَّ أَنْ تَرِدَ الْقِيَامَةُ فَاطِمَةَ وَقَمِصَهَا بَدَمَ الْحُسَيْنِ مَلَطَّخُ  
وَيَلُّ لِمَنْ شَفَعَاؤُهُ خَصْمَاؤُهُ وَالْصُّورُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُنْفَخُ  
إِخْوَانِي : بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ مِنْ قُبْحِ عَلَى يُوسُفَ بَأَى وَجْهِ يَلْقَى يَعْقُوبُ !  
لَمَّا أَسْرَ الْعَبَّاسُ يَوْمَ بَدْرٍ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَامَ ، فَكَيْفَ لَوْ سَمِعَ  
أَنْبِيَا الْحُسَيْنِ ؟

لَمَّا أَسْلَمَ وَحُشِيَ قَالَ لَهُ : نَشِيبُ وَجْهَكَ عَنِّي . هَذَا وَاللَّهِ وَالسَّلَامُ لَا يُؤَاخِذُ بِمَا كَانَ فِي  
الْكُفْرِ ، فَكَيْفَ يَقْدِرُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبْصَرَ مِنْ قَتْلِ الْحُسَيْنِ ؟

\*\*\*

قوله تعالى : « وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا »  
لَقَدْ جَعَلُوا فِي ظَلَمِ الْحُسَيْنِ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ أَحَدٌ ، وَمَنْعُوهُ أَنْ يَرِدَ الْمَاءُ فِيمَنْ وَرَدَ ، وَأَنْ  
يَرْحَلَ عَنْهُمْ إِلَى بَلَدٍ ، وَسَبُّوا أَهْلَهُ وَقَتَلُوا الْوَلَدَ ، وَمَا هَذَا حَذًّا <sup>(١)</sup> دَفَعَ عَنِ الْوَلَايَةِ هَذَا  
سُوءَ مُعْتَقَدٍ .

نَبِعَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ جَدِّهِ فَمَا سَقَّوْهُ مِنْهُ قَطْرَةً !  
كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُبِّ الْحُسَيْنِ يَقْبَلُ شَفَتِيهِ وَيَحْمِلُهُ كَثِيرًا عَلَى

---

(١) ب ، ج : جند دفع .

عاتقيه<sup>(١)</sup> ، ولما مشى طفلاً بين يدي المنبر نزل إليه ، فلوراه مُلقًى على أحد جانبيه والسيوف تأخذه والأعداء حواليه والخليل قد وطئت صدره ومشت على يديه ودماؤه تجرى بعد دموع عينيه لضجّ الرسول صلى الله عليه وسلم مستغيثاً من ذلك ولعزّ عليه .

كربلاء زلت كرباً وبلاً	ما لي عندك أهل المصطفى
كم على تربك لما صرعوا	من دمٍ سال ومن دمع جرى
يا رسول الله لو عابنتهم	وهم ما بين قتل وسباً
من رميض <sup>(٢)</sup> يمنع الظلّ ومن	عاطش يسقى أنايب القنا
زأت عينك فيهم منظرًا	للحشا شجواً وللعين قذى
ليس هذا لرسول الله يا	أمة الطغيان والمين جزاً
غارس لم يأل في القرس لهم	فاذاقوا أهله مرّ الجنى
جزروا جزر الأضاحي نسله	ثم ساقوا أهله سوق الإما
هاتفات يا رسول الله في	بهر <sup>(٣)</sup> السعى وعثرات الخطا
قتلوه بعد علم منهم	أنه خامس أصحاب الكسا <sup>(٤)</sup>
يا جبال المجد عزاً وغلاً	وبدور الأرض نورا وسناً
جعل الله الذي نالكم	سبب الوجد طويلاً والبكا
لا أرى حزنكم يُنسى ولا	رؤاكم يُسلى ولو طال المدى



سبحان من رفع للحسين بقتله مكاناً ، ودفع من عاداه ضاد بعد العزّ مهاناً ، ماضراً .

(١) ت : على كتفيه . (٢) الرميض : من أصابته الرضاء ، وهي شدة الحرّ بالهجرة .

(٣) البهر : انقطاع النفس من الإعياء .

(٤) أى الذين غطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يردته وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي . وهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين .

حين الشهادة من أوسع خذلانا » ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً « هَلَك<sup>(١)</sup>  
أهل الزَّيْغ والعناد وكأنهم ما ملكوا البلاد وعاد عليهم اللعن كما عاد على عاد ، أين يزيد  
أين زياد ، كأنهما ما كانا لا كانا « قد جعلنا لوليّه سلطاناً »

تمتموا أياماً يسيرة ، ثم عادت أجنحة الملك كسيرة ، وبقيت سيرة الحسين أحسن  
سيرة ، ومن عزّت عاقبته والسيرة<sup>(٢)</sup> فكان لم يلق هواناً « قد جعلنا لوليّه سلطاناً »  
هزّ قوا والله كلّ ممزّق ، وتفرقوا بالشتات أتى متفرّق ، وظنوا أنهم رفوا<sup>(٣)</sup> ما جنوا  
فتخرّق ، إن ناصر المظلوم لا يتوانى « قد جعلنا لوليّه سلطاناً »

تعزّزوا على [مثل]<sup>(٤)</sup> الحسين وطالوا ، وظنوا بقاء الملك لهم بما احتالوا ، وكيّل  
لهم من الذم أضعاف ما كالوا ، وعجّل قلمهم من السلطة فزالوا سلطاناً سلطاناً « قد جعلنا  
لوليّه سلطاناً » .

ويلهم لو دبّروا أمرهم لرفضوا بطاعة الحسين قدّروهم ، ملكوا أياماً ثم بقي الخزي  
دهرهم ، اشتغلوا اليوم بتسيحكهم ودعوا ذكرهم أهواناً « ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه  
سلطاناً » . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) ب، ج : هكذا . معرفة . (٢) ب، ج : والسريرة . (٣) ت : وظنوا رفوا . (٤) ليست في ت

## المجلس الثاني

### في ذكر رجب .....

الحمد لله الذي فلق<sup>(١)</sup> النوى والحب ، وخلق<sup>(٢)</sup> الفاكهة والأب ، وأبغض وكره وأحب ، وأمرض وداوى وطب ، أنشأ الحيوان بقدرته فدب ، وبناه فأحسن تديره حين رب ، فالعجب لمربوب يتجدد الرب ، عم إنعامه فلم ينس في البحر الحوت وفي البر الضب . أحمد على تبليغنا هذا الشهر الشريف الأصب ، وأشكره على إيمان به في القلوب صب ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادةً اجتمع بها مراد التوحيد واستتب ، وأن محمداً عبده ورسوله السمي الأمين صغيراً وما شب ، ثم قهر الأعداء فألبسهم الزنار والقب<sup>(٣)</sup> وأجيب عنه لكل من عابه وسب « تبت يدا أبي لهب وتب » وعلى صاحبه أبي بكر الذي خاق صافيا في الصخرة واب ، وعلى عمر الذي قع كل جبار على الكفر أكب فكب ، وعلى عثمان المناجي طويل ليالته مناجاة الصب ، وعلى علي أشجع من حامى عن الإسلام وذب ، وعلى عمه العباس الذي أنته السحاب لما ذكر اسمه وهب . اللهم بارك لنا في شهر رجب الأصم واحفظنا فيه من موجبات السخط والدم ، وحطنا حياطة ننسى بها لطف الأب والعم ، عمن بأياديك يا خير من أعطى وعم .

\*\*\*

اعلموا إخواني أن شهركم هذا شهر محرم<sup>(٤)</sup> . وقد أخبرنا أبو علي بن محبوب ، أنبأنا طراد ابن محمد ، أنبأنا الحسين بن عمر بن برهان<sup>(٥)</sup> ، حدثني عثمان بن أحمد ، حدثنا إسحق ابن إبراهيم الحلي ، حدثنا الحسن بن علي بن يزيد الصدائي ، [ قال ]<sup>(٦)</sup> حدثنا أبي ،

(١) ت : فلق النوى (٢) ت : وخلق . (٣) القب : ما يدخل في جيب القميص من الرقاع .

(٤) : شهر محرم . (٥) : ابن بهران . (٦) من ١ .



عن هارون بن عنترة ، عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن شهر رجب شهر عظيم من صام منه يوما جزى [الله] <sup>(١)</sup> له ألف سنة ومن صام منه يومين جزى [الله] <sup>(٢)</sup> له ألفي سنة ومن صام منه ثلاثة أيام جزى [الله] <sup>(٣)</sup> له [صوم] <sup>(٤)</sup> ثلاثة آلاف سنة ، ومن صام من رجب سبعة أيام غُفِرت عنه أبواب جهنم ، ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنة الثمانية فيدخل من أيها شاء ، ومن صام منه خمسة عشر يوما بدلت سيئاته حسناتٍ ونادى مناد من السماء قد غُفِر لك فاستأنف العمل » <sup>(٥)</sup> .

وروى من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنة نهرا يقال له رجب من صام يوما من رجب سقاه الله عز وجل من ذلك النهر »

وروى من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رجب من الشهور الحرم وأيامه مكتوبة على أبواب السماء السادسة ، فإذا صام الرجل منه يوما وجرّد صومه لتقوى الله نطق الباب ونطق اليوم وقالاً : يارب اغفر له . وإذا لم يتم صومه بتقوى الله لم يستغفر له وقيل له خذ حظ نفسك » .

وقد رويت أحاديث كثيرة في فضائله من هذا الجنس غير أنها لا تثبت ولا تنصح ، فلذلك تجنبنا ذكرها .

[ وما يروى فيه من صلاة الرغائب لحديث لا أصل له وإني لأغار لصلاة التراويح من صلاة الرغائب وإنما يتهم بوضعها ابن جَهْضم ] <sup>(٦)</sup> .

وقد روى عن علي ابن أبي طالب أنه قال يمجني أن يفرّغ الرجل نفسه في أربع ليال : ليلة الفطر ، وليلة الأضحى ، وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب .

وروى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطاة : إن عليك بأربع ليال ، فإن الله يُفرِّغ فيهن الرحمة إفراغا . فذكر هذه الليالي الأربع .

(١) من ت (٢) من ب ، ج . (٣) ذكره في الآتي المصنوعة ١١٥/٢ وقال : لا يصح ، اقترأت مزوك . (٤) ليست في أ .

وقال قيس بن عباد : في اليوم العاشر من رجب يمحو الله ما شاء ويُثبت .  
وقد أغرى القصاص والمتزهدون بالتحريض على صومه <sup>(١)</sup> ، وإنما يصومه كله من  
يصوم السنة . قال حنبل سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن صيام رجب فقال : من كان  
يصوم السنة وإلا فلا يصمه متواليا يكره له ذلك ولا يشبهه برمضان .  
وقد كان عمر بن الخطاب يضرب أكف الناس في رجب حتى يضموها في الطعام ويقول :  
كلوا فإنما هو شهر كانت الجاهلية تعظمه .

ودخل أبو بكر على أهله فرأى عندهم سلالا وكيزانا فقال : ما هذا ؟ قالوا :  
رجب نصومه . فقال : أجمعتم رجبا كرمضان فألقى السلال والكيزان . قال عمرو  
الزاهد : حدثنا ثعلبة ، عن سلمة ، عن الفرّاء ، عن الأعمى وعن ابن الأعرابي عن الفضل  
قال : كلُّ العرب تقول : رَجَبْتُ فلانا أرْجُبه رَجْبا ورَجُوبا إذا عظَّمته . قال ثعلب :  
وإنما سُمِّيَ رجبا <sup>(٢)</sup> لتعظيمه . قال سليمان الشاذكُوني : إنما سُمِّيَ الأصم لأن العرب كانت  
لا يُغيّر بعضها على بعض فيه ولا تحمل فيه السلاح ، وكانوا لا يسمعون قعقة السلاح فسمي  
أصمَّ به . وأما تسميته برجب ف لأنها كانت تعظمه أشد من جميع العرب فأضيف إليها .  
وقد خصه خلق كثير من العوام بإخراج الزكاة فيه . وهذا جهل منهم فإن الزكاة إنما تجب  
في المال إذا حال الحول عليه ، فمَن ملك النصاب في الحرم مثلا وجبت الزكاة في الحرم ،  
فمَن أخرها إلى صفر أتم لأنها حقوق الفقراء فُرِضت لحاجتهم فلا وجه للتأخير . وقد يروى  
القصاص في رجب من الفضائل وأفعال الطاعات أشياء كثيرة لا نرى ذكر شيء منها  
لعلنا بعدم صحته ، بل نقول : ينبغي للإنسان أن يبادر [ إلى ] <sup>(٣)</sup> فعل الخير على الدوام  
والله الموفق .

### ﴿ الكلام على البسملة ﴾

ألا يا غافلاً يُخفى عليه من العمل الصغيرة والكبيرة  
 يصاح به ويُندَر كلَّ يوم وقد أنستَه غفلته مصيره  
 تاهَّبَ للرحيل قد تَدانى وأنذرك الرحيل أخَّ وجيره  
 وأنت رَخيَّ بال في غرور كأن لم تقتفِ فيها صِيرة  
 وكَم ذَنْبٍ أتيت على بصيرة وعينك بالذي تَأْتِي قِيره  
 تحاذر أن تراك هناك عينٌ وإنَّ عليك لَأَمِينُ البصيرة  
 وكَم حاولتَ من أمرٍ عظيم مُنعتَ برحمةٍ منه وخيره  
 وكَم من مدخل لو مِتَ فيه لكنتَ به نَكالاً في المشيره  
 وُقِيت السوء والمكروه فيه ورُحْتَ بنعمةٍ فيه سِيره  
 وكَم من نعمةٍ لله تُنسى وتصبح ليس تعرفها كثيره

\*\*\*

يا من بين يديه الموت والحساب ، والتوبيخ الشديد والعتاب ، وعليه بأفعاله وأقواله  
 كِتَاب ، وقد أذنب كثيراً غير أنه ماتاب ، وكلما عُوْنب خرج من باب إلى باب ،  
 إلى متى هذا الجهل والإلام هذا العاب ، ما أظنك حاضراً عدوك فيمن غاب .

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائمٌ فكيف يطيق النوم حيرانُ هائمٌ

ألت الذي دُمَّت على الخطايا وعصيت ، وبارزت بالقبيح وما استحييت ، وعلت  
 تحريمَ الذنب ثم أتيت ، وعرفت عظيم الجزاء وتناسيت ، ستُكف [منك] <sup>(١)</sup> الخمسُ  
 بعد الحركة واللمس ، وسيذهب اليومُ كما ذهب أمس ، وسيبدل النطق بالسكوت

والهَمْسُ ، وستعلم نورَ القمر وضوء الشمس ، وسيُقْلَعُ البستان وَيَبْسُ الغَرْسُ ، وقد قَرُبَ وقت الفَمْسِ في بحر الرَّمْسِ ، وسَيَنْسَى ذو العلم الدَّرْسَ [ بالدَّرْسِ ] <sup>(١)</sup> :

لا تَلْبَسِ الدهرَ على غِرَّةٍ فما لموتِ الحَيِّ من بُدٍّ  
ولا يَخْذَعُكَ طَوِيلُ البَقَا فَتَحْسِبِ الطَّوْلَ من الخُلْدِ  
يَتَفَدُّ ما كان له آخِرٌ ما أَقْرَبَ المَهْدِ من اللَّحْدِ

يا مَنْ يُنْصَحُ وليس منه إلا الإِبَاءُ ، أَيْنَ الأَجْدَادُ أَيْنَ الآبَاءُ ، أَيْنَ الإِخوانُ أَيْنَ الأَقْرَباءُ ، أدرك القومَ بعد القهرِ السَّيِّئِ ، فبِكَيْ لِسوءِ مُنْقَابِهِمُ الغَرْباءُ ، تاللهَ لقد قامتِ بالمواظِظِ الخطباءُ ، ولقد أَذْنَتْ بِرحيلِ الجيشِ النُّقَبَاءُ ، ولكن قد عَمَّتِ <sup>(٢)</sup> الغفلةُ والغفَاءُ ، وكأنَّ قد كَفَتْ عن الدواءِ الأطباءُ ، وهل مرضَ القلوبِ إلا حُبُّ الدنيا ، فعلى الدنيا العَفَاءُ :

أَقْلُ قليلها يَكْفِيكَ مِنْهَا ولكن لست تَقْنَعُ بالقليلِ  
ومن هذا الذي يَبْقَى وَتَبَقَى مَضارِبُهُ بِمَدْرَجَةِ السُّيُولِ

ويحك أنت في القبرِ محصورٌ إلى أن يَنْفَخَ في الصُّورِ ، ثم راكبٌ أو مجرورٌ ، حزينٌ أو مسرورٌ ، مُطْلَقٌ أو مأسورٌ ، فما هذا اللهُو والغرورُ . الحازمُ من تزود لما به قبل أن يصيرَ لما به .

إِخواني إنكم تَفْدُونَ وترُوحون في آجالٍ قد غَيَّيتِ عنكم ، فانظروا خلاصكم قبل انقضاءِ أعماركم ، الوَحَا الوَحَا ، فالطالبُ حثيثٌ ، تذكروا تلكَ الصَّرْعَةَ بين الأهلِ وهم لا يقدرون على ضرٍّ ولا نفعٍ ، والله ما بات عاقلٌ قط إلا على فراشِ حَذَرٍ ، إنما هو دَيْبٌ من سَقَمٍ ثم تؤخذون بالكظمِ ، فإن زَلَّتِ القدمُ لم ينفعَ ندمٌ ، لا توبةُ تُنال ولا عثرةُ تُقال ولا فداءٌ بمال .

أَغْفَلُ والدهرُ لا يَنْفُلُ وأنسى الذي شأنُهُ أَغْضَلُ

(١) ليست في ١ (٢) ت : قد غرت .

وَيُطْمَعْنِي أَنِّي سَالِمٌ      وداء السلامة لى أَقْتَلُ  
وَيَمْضِي نَهَارِي وَلِيْلِي مَعًا      بما غيره الأَحْسَنُ الأَجَلُ  
وَأَمَلٌ<sup>(١)</sup> أَنِّي أَفُوتُ الْحَمَامَ      أَمَانٍ<sup>(٢)</sup> لَعَمْرُكَ لى ضَلَلُ<sup>(٣)</sup>  
وَكَيْفَ يَرَى آخِرَةً<sup>(٤)</sup> أَنَّهُ      سَيَّبِقِي وَقَدْ هَلَكَ الأَوَّلُ  
فَحَتَّى مَتَى أَنَا لَا أُرْعَوِي      وكم ذا أَقُولُ وَلَا أَفْعَلُ  
أَيَا ذَاهِلًا وَنِدَاءَ الْخُتُوفِ      فى النَّاسِ تَوْقُظُ مِنْ يَذْهَلُ<sup>(٥)</sup>  
أَلَا أَيْنَ أَهْلُ النِّعَمِ الْعَزِيزِ      وَأَيْنَ الأَجَالُذُ وَالبَزَلُ<sup>(٦)</sup>  
تَنَاولُهُمْ مِنْ قِلَالِ الْقُصُورِ      فَاهْلِكُهُمْ مُزْعِجٌ مُعْجِلُ<sup>(٧)</sup>

\*\*\*

قُلْ لِلَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الْهُدَىٰ مَا تَبِعُوا ، وَخَوْفُوا يَوْمَ الرَّدَىٰ فَمَا ارْتَدَعُوا ، وَاسْمَعُوا  
الْمَوَاعِظَ فَكَأَنَّهُمْ مَا سَمِعُوا ، تَقَلَّبُوا كَيْفَ شِئْتُمْ وَمَا شِئْتُمْ فَاصْنَعُوا .  
غَدًا تَوَفَّى النُّفُوسُ مَا كَسَبَتْ وَيَخْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا  
إِنْ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لَأَنْفُسِهِمْ وَإِنْ أَسَاءُوا فَبِئْسَ مَا صَنَعُوا  
لَهُ دَرَّ أَقْوَامٌ بَادَرُوا الْأَعْمَالَ وَاسْتَدْرَكُوهَا ، وَجَاهَدُوا النُّفُوسَ حَتَّى مَلَكَوهَا ،  
وَتَاهَبُوا السَّبِيلَ<sup>(٨)</sup> التَّوْبَةُ ثُمَّ سَلَكَوهَا ، وَعَرَفُوا عِيُوبَ الْعَاجِلَةِ فَتَرَكَوهَا ، اسْتَعْمَلَهُمُ  
الْأَدَبُ<sup>(٩)</sup> فِى مُجَادَى كَرْجَب .  
يَاهَذَا إِذَا هَمَمْتَ بِخَيْرٍ فَبَادِرْ هَوَاكَ لثَلَا ثَقَلْبَ ، وَإِذَا هَمَمْتَ بِشَرٍّ فَسَوِّ هَوَاكَ  
لِعَلَّكَ تَقَلْبَ .

(١) : أَوَّل . (٢) : ب ، ج : أَمَان . (٣) : ظَلَل . ب ، ج : يَضِلُّ وَمَا أَتْبَعَهُ مِنْ ت .  
(٤) : أَحَد . (٥) : تَذْهَلُ مِنْ يَنْهَل .  
(٦) : البزل : جمع بازل وهو الرجل الكامل فى تعبيره . (٧) : ب ، ج : يَعْجَلُ . (٨) : البزل .  
(٩) : ب ، ج : للأدب . وما أَتْبَعَهُ مِنْ ت .

الحكمة نور الفطرة ، والصواب فرع الروية ، والتدبير قيمة الهمة ، والهوى ضد الحزم ، تُقِف نفسك بالآداب قبل صحة الملوك ، فإن سياسة الأخلاق<sup>(١)</sup> مَراقى العالی .  
قال بَزْرَجَهْر : أخذتُ من كل شيء أحسنَ ما فيه حتى من الكلب والغراب والهرة .  
قيل : وما أخذتَ من الكلب ؟ قال : ذبُّه عن حريمه وإفقه لأهله . قيل : فمن الهرة ؟ قال : رفقها<sup>(٢)</sup> عند المسألة ولين صياحها . قيل فمن الغراب ؟ قال : شدة حذره .  
يا هذا صنَّ حياةَ عقلك عن مخالطة غوغاء نفسك ، من طلب العالی استقبل العوالی ، من لازم الرُقَاد فاته المراد ، من دام كسله خاب أمله .

من صُفِّرَتْ نفسه فهتته      أبلغُ في قصده من الحَنِّ  
وقلَّ ما التذَّنَّ بالسرور فتى      لم يحنَّه من عواقب الحزنِ  
لولا سخط نفس أبي بكر عليه لمفارقة هواها مانال مرتبة « أنا عنك راضٍ »  
لولا غرني أُوَيْسُ مَالِيسِ حَلَّةٌ « يشفع في مثل ربعة ومضر<sup>(٣)</sup> » .

### الكلام على قول تعالى :

﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله<sup>(٤)</sup> ﴾

قال المفسرون : نزلت هذه الآية من أجل النسيء الذي كانت العرب تقطعه . والنسيء تأخير الشيء وكانت العرب تحرم الشهور الأربعة . هذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم ، وربما احتاجوا إلى تحليل الحرم لحرب تكون بينهم فيؤخرون تحريم الحرم إلى صفر ثم يحتاجون إلى تأخير صفر ، ثم كذلك حتى تتدافع الشهور فيستدير التحريم على السنة . فكانوا يستنسون الشهر الحرام ويستقرضونه .

قال الفراء : كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا الصَّدْر من مِني قام رجل من بني كنانة

(١) ت : من مراق (٢) ب ، ج : رفقها .

(٣) هو أُوَيْسُ القرني الصعابي . (٤) سورة التوبة ٢٦ .

يقال له نعيم بن ثعلبة ، وكان رئيس الموسم فيقول : أنا الذي لا أعاب ولا أخاب ولا يرُدُّ لي قضاء . فيقولون : أنسبنا شهراً يريدون آخر عنا حرمة الحرم فاجعلها في صفر . فيفعل ذلك . وقال مجاهد : أول من أظهر النسيء جُنَادَةُ بن عوف الكِنَانِي فواقت حجة أبي بكر الصديق ذالقعدة ، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام القابل في ذى الحجة فذلك حين قال : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض .

أخبرنا عبد الأول ، أنبأنا الداودي ، أنبأنا ابن أعين ، حدثنا القُرْبَرِيُّ ، حدثنا البخاري ، حدثنا محمد بن سلام ، أخبرنا عبد الوهاب ، أنبأنا أيوب ، عن محمد بن أبي بَكْرَةَ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حُرُمٌ ثلاثة متواليات : ذو القعدة وذو الحِجَّة والحرم ورجب مضر [ الذي ] <sup>(١)</sup> بين جمادى وشعبان .  
أخرجاه في الصحيحين <sup>(٢)</sup> .

قال العلماء : أعلم الله عز وجل بهذه الآية أن عدد شهور المسلمين التي يعدونها <sup>(٣)</sup> اثنا عشر شهراً على منازل القمر . وقوله : « في كتاب الله » أي في اللوح المحفوظ الذي كتبه الله يوم خلق السموات والأرض « منها أربعة حرم » وإنما سماها حُرُمًا لمعنيين : أحدهما تحريم القتال فيها . والثاني : لتعظيم انتهك الحرمات فيها .  
وقوله تعالى « ذلك الدين القيم » قال ابن قتيبة : يعني الحساب الصحيح والعدد المستوي .

« فلا تظلموا فيهن أنفسكم » اختلفوا في هذه الكناية على قولين : أحدهما أنها تعود على <sup>(٤)</sup> الاثني عشر شهراً . قاله ابن عباس . فيكون المعنى : لا تجملوا حرامها حلالاً ولا حلالها حراماً كفضل أهل النسيء . والثاني : أنها ترجع إلى الأربعة الحرم وهو قول

(١) من ١ (٢) صحيح البخاري ١٦٩/٢ وصحيح مسلم كتاب القسامة حديث رقم ٢٩ .

(٣) ب ، ج : التي يسمونها (٤) ١ : إلى .

قتادة والفرّاء واحتج بأن العرب تقول لما بين الثلاثة إلى العشرة : ثلاث خلون وأيام خلون . فإذا جازت <sup>(١)</sup> العشرة قالوا : خلت ومضت . ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة هن وهؤلاء فإذا جزت <sup>(٢)</sup> العشرة قالوا : هي وهذه ، إرادة أن يُعرف اسم القليل من الكثير .

وفي المراد بهذا الظلم قولان : أحدهما : أنه خص النهى عن الظلم بهذه الأشهر لأن شأن المعاصي يُعظّم فيها أشد من تعظيمه في غيرها لفضلها على ما سواها كما عظمت طاعة الحرم وممصيته وإن كان العبد مأمورا بذلك في غيرها . هذا قول الأكثرين . والثاني : أن المراد بالظلم فيهن فعل النسئ قاله ابن إسحاق .

\*\*\*

واعلم أن تفضيل بعض الشهور على بعض ليكون الكف عن الهوى ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها ، تدريجا للنفس إلى فراق مألوفها المكروه شرعا .

فبادروا في هذا الشهر من الخير كل مُمكن مادام الأمر يمكن ، واعلموا أن العمر لا قيمة لأوقاته وزمان الصحة لا مثل لساعاته ، فحاسبوا أنفسكم قبل الحساب وأعدّوا للسؤال صحيح الجواب ، واحفظوا بالتقوى هذه الأيام واغسلوا عن الأجرام قبيح الإجرام ، قبل ندم النفوس حين سيّاقها ، قبل طمس شمس الحياة بعد إشراقها ، قبل ذوق كأس مرّة في مذاقها ، قبل أن تدور بدور السلامة في أفلاك محاقها ، قبل أن تُجذب الأبدان إلى القبور بأطواقها ، وتفتّش في اللحود أخلاق أخلاقها ، وتنفصل المفاصل بعد حُسن اتساقها ، وتشتد شدة الحشرات حاسرة عن ساقها ، وتظهر مُخبّآت الدموع بسرعة اندلاقها ، وتقلب القلوب في ضنك ضيق خناقها ، ويطول جزع من كان في عمره <sup>(٣)</sup> ناقبا ، وتسكى النفوس في أسرها على زمان إطلاقها :

(١) ب ، ج : فإذا جزت (٢) : فإذا حضرت . (٣) : طول عمره .



أَلَا بِالْقَوْمِ لِحَى رَدَى وَلِلْمَرْءِ يَجْهَلُ مَا فِي غَدِ  
وَلِلَّيْتِ جَمَعَ أَمْوَالَهُ لآخر في الحى لم يجهد  
سَيْلُكَ أَهْلَكَ وَالْحَامِلُونَ وَأَعْضَاءُ جَسْمِكَ لَمْ تَبْرِدِ  
وَيَصْبِحُ مَالُكَ لِلْوَارِثِينَ وَأَنْتِ شَقِيتَ وَلَمْ تُحْمَدِ

هذا حادى المات قد أسرع ، هذه سيوف الملمات قد تقطع ، هذه قصور الإخوان  
بَلَقَمَ ، مال صاحب المال فإذا المال يُوزَّع ، أنفعه حرصه حين سلب ما جمع أجمع ، إنما هذه  
الدنيا نخذ منها أودع ، إن وصلتْ فعلى نية أن تقطع ، وإن بذلت فبعزمت أن تمنع ،  
انتظر سلبها يامشغولا<sup>(١)</sup> بها ، وتوقع أسفا لبكبد على حبها تنقطع ، أتراها أنها  
مأملت أنها تخدع ، أفيها حيلة أم في وصلها مطمئ ، أين كسرى أين قيصر أين تبع ، أين  
حاتم الجود أين من كان يجمع ، أين قيس وسحبان أين ابن المقفع ، إنها التحو العين ثم  
للاثر تَقْلَعُ ، إن لك مَقْنَعًا في وعظها لو كفاك المقنع ، يامفرقا في البلى قل لمن تجمع ،  
إذا خلوت وخليت فكيف تصنع ، أترى أنت عندنا أو ماتسمع ، ياطروش الشقوة  
أما الحديث معك أما التخويف لك ، واعمجا رجب الأعم أم أنت<sup>(٢)</sup> :

أُدْمِى لَفَرَقْتَكُمْ فِي إِهْمَالِهَا سُخْبُ  
مَسْمِى إِذْ عَذَلُوا فِي صَبَابِى رَجَبُ

\*\*\*

من مُبْلَغِ قَوْمِى عَلَى قُرْبِهِمْ وَبُعْدِ أَسْمَاعٍ مِنَ الْوَاعِظِينَ  
هُبُوا فَقَدْ طَالَتْ بِكُمْ نَوْمَةٌ وَانْتَبَهُوا مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ  
حُتُّوا مَطَايَا الْجَدِّ تَرْفُلُ بِكُمْ نَاجِينَ فِي النَّاجِينَ أَوْ مُعْذِرِينَ  
سَلُّوا قِبَابَ الْمَلِكِ عَنْ مَعْشَرٍ كَانُوا هَا مِنْ قَبْلِكُمْ مُبْتَنِينَ

(١) : يامشغولا . (٢) ب ، ت : أو أنت .

تُخْبِرُكُمْ عَنْ زَمَنِ لَمْ يَزَلْ يَحْدُو لِقَوْمٍ مَضَوْا لِأَعْيُنٍ  
 قَدْ شَاخَ جَدُّ النَّاسِ فِي بَاطِلٍ وَضَرَبُوا فِي غَمْرَةٍ حَاطِرِينَ  
 وَأَطْبَقَ الشَّرُّ عَلَى جَمْعِهِمْ وَدَقَّ شَخْصُ الْحَقِّ فِي الْعَالَمِينَ  
 وَرَكُضُوا فِي الْجَوْرِ رَكْضًا فَا تَحْسِبُهُمْ تَقْوَى حَيَاءٍ وَدِينٍ  
 تَسْرُهُمْ خُضْرَاءُ دُنْيَاهُمْ قَدْ أَمِنُوا الدَّهْرَ وَبُئْسَ الْقَرِينَ  
 فَإِنْ يَكُونُوا مِنْ أَنْاسٍ دَرَوْا فَإِنِّي كُنْتُ مِنَ النَّاصِحِينَ  
 مَعْدِرَةٌ مِنِّي إِلَى حَاضِرٍ وَأَثَرٍ فِي صَحْفِ الْفَاطِرِينَ  
 يَا عَجَبًا مِنْ نَاصِحٍ لَمْ يُطْعَمْ كَمْ حَازِمٍ قَدْ ضَاعَ فِي الْجَاهِلِينَ

للهِ دَرَقَوْمٍ فَهَمُوا مِنَ الْوُجُودِ ، وَتَأَمَّلُوا الْمَقْصُودَ وَاشْتَغَلُوا بِطَاعَةِ الْمَعْبُودِ ، وَانْتَبَهُوا  
 وَالْخَلْقُ رَقُودٌ ، يَصِفُّونَ الْأَقْدَامَ [ يَنَاجُونَ الْمَلِكَ الْعَلَامَ ] <sup>(١)</sup> وَيَصِفُّونَ الْهِمَمَ ، وَيَصِفُّونَ تَقْصِيرَهُمْ  
 وَيَصِفُّونَ الشُّكْرَ لِلنِّعَمِ ، تَحْمَلُوا تَعَبَ السَّهْرِ وَكَابَدُوا مَشَقَّةَ الظُّلَمَاءِ ، وَأَخْلَصُوا الْعَمَلَ فَزَادَ  
 عَمَلُهُمْ <sup>(٢)</sup> وَنَمًا ، وَجَرَى الْقَدَرُ فَرَضُوا وَلَمْ يَعْتَرِضُوا بَلَمَ وَلَمَّا ، فَيَا حَسَنَ مُجْتَهِدِهِمْ يَذْكُرُ الذَّنْبَ  
 فَيَبْكِي نَدَمًا .

إِخْوَانِي : اسْلُكُوا جَادَةَ الْقَوْمِ لَعَلَّ مَشَاعِلَهُمْ تَلُوحُ لَكُمْ ، تَعْلَقُوا بِغَبَارِهِمْ لَعَلَّ الْحَادِي  
 يَنْوَهُ بِكُمْ ، صَوِّتُوا بِالْقَوْمِ عَسَى يَقِفَ بَعْضُ السَّاقَةِ لَكُمْ ، ابْكُوا عَلَى تَأْخِرِكُمْ لَعَلَّ عَظْفَ  
 الرَّحْمَةِ تَنْعَطِفُ نَحْوَكُمْ .

أَوْمَضْ لِي عَلَى الْفُؤُورِ بَارِقُ فَهَاجَ مِنْ وَمِيضِهِ التَّاسَفُ  
 لَهْفِي عَلَى عَيْشٍ مَضَى بِرَامَةٍ أَوْرَدَ مُشْتَاقًا بِهِ تَلَهْفُ  
 يَا مَالِكِي رِقَّ الْحُبِّ قَسَمًا عَلَيْكُمْ بِحُبِّهِ تَعَطَّفُوا  
 وَيَا حُدَاةَ الظُّلْمِ قَدْ أَسْلَمَنِي إِلَى الضَّنَائِفِ اقْكُم لِي قَفُّوا

(١) من : ت (٢) : ف زاد عليهم .

لعلنى أن أشتقى بنظرة يبل منها السهام المدنف  
ففى الضلوع جمره ما تنطق وفى الشئون عبء ما تنزف

\*\*\*

إخوانى : كأنكم بالحافظ الذى حرسكم وقد حصدكم بعد أن غرسكم ، وبث الموت  
فسيب فرسكم وفرسكم ، فلينوا إلى التقى فى هذه الأشهر وخلوا شرسكم « فلا تظلموا  
فيهن أنفسكم » .

هذه أوقات مُعظمة وساعات مكرمة وقد صيرتم ضحاها بالذنوب عتمة ، فيبضوا  
بالتوبة صحنكم المظلمة ، فالملك يكتب خطاكم ونفسكم « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .  
لقد ضيعتم معظم السنة فدعوا من الآن هذه السنة ، واسموا المواعظ قد نطقت  
بالسنة ، ودعوا الخطايا يا فيكنى ما قد وكسكم « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .

البدار البدار قبل القوت ، الحذار الحذار قد قرب الموت ، اليقظة اليقظة قد أسمع  
الصوت ، قبل أن يضيق الحساب محبسكم « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » لا بد أن تنطق  
الجوارح وتشهد عليكم بالقبايح ، فاملاؤا الأوقات بالعمل الصالح ، فإنكم إذا نزلتم بطون  
الصفائح آنسكم « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .

اعزموا اليوم على ترك الذنوب ، واجتهدوا فى إزالة العيوب ، واحذروا سخط علام  
العيوب ، واكتبوا على صفحات القلوب مجلسكم « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .

## الجلس الثالث في ذكر المعراج

الحمد لله فائق الحبِّ والنَّوى ، وخالق العبد وما نوى ، المطلع على باطن الضمير  
وما حوى ، بمشيئته رشد من رشد وغوى من غوى ، وإرادته فسد ما فسد واستوى  
ما استوى ، صَرَف من بناء إلى الهدى وعطف من شاء إلى الهوى ، قَرَّب موسى نَحِيًّا  
وقد كان مَطْوِيًّا من شدة<sup>(١)</sup> الطوى ، فَمَنَحَه فَلَاحًا وكَلَّمَه كِفَاحًا وهو بالواد المقدس  
طُوًى ، وعَرَجَ بِمُحَمَّدٍ إِلَيْهِ فَرَّاهَ بَعِينِهِ ثُمَّ عاد وفرَّاشه ما انطوى . فأخبر بقربه من ربه  
وحدث بما رأى وروى ، فأقسم على تصديقه من حَرَسَه بتوقيفه عن قُوًى « والنجم إذا هوى  
ما ضلَّ صاحبُكم وما غوى<sup>(٢)</sup> » .

أحمده على صَرَفِ الهم والجوى ، حمد من أناب وارغوى ، وأشهد أن لا إله إلا الله  
وحده لا شريك له فيما نَشَرَ وطوى ، وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله وعودُ الهدى قد  
ذَوًى ، فسقاه ماءً المِجَادَةَ حتى ارتوى ، صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر الصديق صاحبه  
إن رَحَلَ أو ثَوًى ، وعلى الفاروق الذى وَسَمَ بِجِدَّة<sup>(٣)</sup> جبين كل جبار وكوى ، وعلى  
ذى النورين الصابر على الشهادة ساكنًا ما التوى ، وعلى الذى زهد فى الدنيا فباعها  
وما احتوى<sup>(٤)</sup> ، وعلى عمه العباس الذى منع الله به الخلافة عن غير نبيه وزوى .

\*\*\*

قال الله عز وجل : « والنجم إذا هوى » .

هذا قسم . وفى النجم خمسة أقوال : أحدها أنه الثريا . رواه العوفي عن ابن عباس .  
قال ابن قتيبة : والعرب تسمى الثريا وهى ستة أنجم نجمًا . وقال غيره : هى سبعة أنجم ،

(١) : بشدة الطوى . (٢) سورة النجم  
(٣) : وسَمَ بِجِدَّة وحيز كل جبار . (٤) كذا فى ١ وفى ب ، ج : فباعها واجتوى .

فستة ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به أبصارهم .  
والثاني : الرجوم من النجوم ، وهي ما يُرمَى به الشياطين . رواه عكرمة  
عن ابن عباس .

والثالث : أنه القرآن نزل نجوماً متفرقة . رواه عطاء عن ابن عباس . وقال مقاتل :  
كان ينزل نجوماً ، ثلاث آيات وأربع آيات ونحو ذلك .

والرابع : نجوم السماء كلها . روى عن مجاهد . فلي هذا هو اسم جنس .  
والخامس : أنها الزهرة قاله السدي . فلي قول من قال : النجم [ هو ] <sup>(١)</sup> الثريا  
يكون « هوى » بمعنى غاب . ومن قال : هي الرجوم يكون هويها في رجم <sup>(٢)</sup> الشياطين  
ومن قال القرآن يكون هوى نزل <sup>(٣)</sup> . ومن قال نجوم السماء كلها فقيه قولان : أحدهما أن  
هويها حين تقيب . والثاني : أن تنتثر يوم القيامة .

قوله تعالى : « ما ضلّ صاحبكم » هذا جواب القسم . والمعنى : ما ضلّ عن طريق الهدى  
والمراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما غوى » .

قوله « وما ينطق عن الهوى » أي ما يتكلم بالباطل . وقال أبو عبيدة : عن  
بمعنى الباء . وذلك أنهم قالوا : إنه يقول القرآن من تلقاء نفسه .

« إن هو » أي ما القرآن إلا « وحى » من الله « يُوحى » . علمه شديد القوى «  
أي علم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم . وكان من قوته أنه قلع قرّيات قوم لوط  
وحملها على جناحه فحلبها عليهم . وصاح بشود فأصبحوا خامدين .

« فاستوى وهو بالأفق الأعلى » فيه قولان : أحدهما فاستوى جبريل ، وهو يعنى  
النبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى أنهما استويا بالأفق الأعلى لما أسرى برسول الله

(١) من ١ . (٢) كذا في ت . وفي ١ : يكون هوى بمعنى رمى الشياطين : وفي ب ، ج : يكون  
هويها في رمى الشياطين .

(٣) ١ : بمعنى نزول القرآن .

صلى الله عليه وسلم . قاله الفراء . والثاني : فاستوى جبريلُ وهو ، يعنى جبريل ، بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية ، لأنه كان يتمثل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل ، وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراه على حقيقته فاستوى في أفق المشرق فلأ الأفق فيكون المعنى : فاستوى جبريل بالأفق الأعلى في صورته قاله الزجاج . والأفق الأعلى : مَطْلَعُ الشمس وإنما قيل له الأعلى لأنه فوق جانب المغرب في صعيد الأرض لا في الهواء .

قوله تعالى : « ثم دنا فتدلى » قال الزجاج دنا : بمعنى قَرَّب . وتدلى : زاد في القرب ومعنى اللفظين واحد .

وفي المشار إليه بقوله : « ثم دنا » ثلاثة أقوال : أحدها : أنه الله . روى البخارى ومسلم في الصحيحين من حديث شريك ابن أبي نمر عن أنس قال : « ثم دنا <sup>(١)</sup> الجبار رب العزة » <sup>(٢)</sup> وقد قال الخطابي : هذا من غلط شريك راوى <sup>(٣)</sup> أنس .

قال ابن الجوزي : قلت : وإذا كان الدنو لا على ما يُعْقَل في الأجسام كان المراد به القرب المذكور في قوله تعالى : « من تقرَّب منى شبراً تقرب منه ذراعاً » فإن قيل : كيف يصح هذا وقد حُصِرَ قَدْرُ المسافة ؟ قلنا : إنه مثل بأقرب الأشياء كما قال : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » <sup>(٤)</sup> .

والثاني : ثم دنا محمد من ربه . قاله ابن عباس .

والثالث : أن جبريل دنا من محمد . قاله الحسن .

والقالب : القَدَر . وقال ابن فارس : القالب ما بين القَبْض والسَّيَّة ، وهي ما عُطِفَ من

(١) ب ، ت ، ج : قال دنا . وما أثبتته من ١ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التوحيد باب قوله : « وكلم الله موسى تكليماً »

(٣) كذا في ت وهو الصواب . وفي ١ : وراء أنس . وفي ب ، ج : ورأى أنس .

(٤) سورة ق : ١٦ .

طَرَفِي الْقَوْسِ . وقال ابن قتيبة : قَدَر قَوْسَيْنِ . وقال الكسائي : أراد بالقوسين قوساً واحداً .

« أَوْ أَدْنَى » بل أدنى . « فَأَوْحَى » الله عز وجل « إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى » قال ابن عباس : رأى ربه عز وجل والمعنى : ما أَوْهه فؤاده أنه رأى ولم ير .

« وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى » قال ابن عباس : رأى محمد ربه . وبيان هذا : أنه لما تردد لأجل الصلوات رأى ربه مرة أخرى . وقال كعب : قسم الله عز وجل كلامه ورؤيته بين محمد وموسى فرآه محمد مرتين ، وكلمه موسى مرتين .

قوله تعالى : « عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى » السِّدْرَةُ : شجرة النَّبِيِّ وهي فوق السماء السابعة . وهو في الصحيحين من حديث مالك بن صعصعة . وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود أنها في السماء السادسة . وإنما سميت بسدرة المنتهى لأن إليها ينتهى ما يُصْعَدُ به من الأرض فَيُقْبَضُ منها ، وإليها ينتهى ما يُهْبَطُ به من فوقها فيُقْبَضُ منها ، وإليها ينتهى عِلْمُ الْمَلَائِكَةِ .

« عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى » قال ابن عباس : هي عن يمين العرش وهي منزل الشهداء .

« إِذْ يَفِشَى السِّدْرَةُ مَا يَفِشَى » قال ابن مسعود : غشيها فراش من ذهب « مَا زَاغَ الْبَصَرُ » أي ما عدلَ بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يميناً ولا شمالاً « وَمَا طَنَى » أي ما جاوز ما رأى .

وهذا كان في ليلة المعراج . واتفق العلماء على أن هذا المعراج كان بمكة قبل الهجرة ، واختلفوا في المدة التي كانت بينهما على أربعة أقوال : أحدها : سنة . قاله ابن عباس . والثاني : ستة أشهر . قاله السُّدِّي . والثالث : ثمانية عشر شهراً . قاله الواقدي . ذكر

هذه الأقوال عنهم أبو حفص . بن شاهين . والرابع : ثمانية أشهر .

فأما الهجرة فإنها كانت في يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول ، أعنى اليوم الذى قدِم فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة . فعلى القول الأول يكون المعراج في ربيع الأول . وعلى الثانى والثالث يكون في رمضان . وعلى الرابع يكون في رجب . وقد ذكر محمد بن سعد عن الواقدي عن أشياخ له قالوا : كان المعراج ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا<sup>(١)</sup> . إلا أنه لما اشتهر ذكر المعراج برجب ذكرناه فيه .

أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحصين ، أنبأنا أبو علي الحسن بن علي التيمي ، أنبأنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا همام بن يحيى ، قال سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أُسرى به قال : بينما أنا في الخطيم وربما قال قتادة في الحجر مضطجع إذ أتاني آت فجعل يقول لصاحبه : الأوسط بين الثلاثة . قال فأتاني فقدَّ وسمعت قتادة يقول : فشقَّ ما بين هذه إلى هذه . قال قتادة : قتل للجارود وهو إلى جنبي<sup>(٢)</sup> ما يعنى ؟ قال : من نُفْرة نَحَره إلى شِعْرته . وقد سمعته يقول من قَصَّه إلى شعرته قال فاستخرج قلبي . قال : فأتيت<sup>(٣)</sup> بطست من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة ففسل قلبي ثم حُشِيَ ، ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض . فقال له الجارود : أهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال : نعم . يقع خَطْوُهُ عند أقصى طرفه .

قال : فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد قيل : أو قد بُعث إليه ؟ قال : نعم فقيل مرحبا

(١) طبقات ابن سعد ١/١٤٣ ( القسم الأول ) ط ليدن .

(٢) ب ، ت ، ج : وهو في جنبي . (٣) : ثم أتيت .



به ونعم المجيء جاء . قال : ففتّح له <sup>(١)</sup> فلما خلصتُ إذا فيها آدم قال : هذا أبوك آدم فسلم عليه . قال : فسلمت عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح .  
ثم صعد حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح قفيل : من هذا ؟ قال : جبريل قفيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قفيل : أو <sup>(٢)</sup> قد أرسل إليه ؟ قال نعم قفيل : مرحبا به ونعم المجيء جاء .  
قال : ففتّح [لنا] <sup>(٣)</sup> فلما خلصتُ إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة ، قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما . قال فسلمتُ عليهما فردّا السلام ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح قفيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قفيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قفيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قفيل مرحبا به ونعم المجيء جاء . قال : ففتّح فلما خلصتُ إذا يوسف . قال : هذا يوسف فسلم عليه فسلمتُ عليه فردّا السلام ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح قفيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قفيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قفيل أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قفيل : مرحبا به ونعم <sup>(٤)</sup> المجيء جاء . قال : ففتّح فلما خلصتُ إذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه . فسلمت عليه فردّا السلام ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قفيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قفيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قفيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قفيل : مرحبا به ونعم المجيء جاء . ففتّح له <sup>(٥)</sup> ، فلما خلصتُ إذا أنا بهارون قال : هذا هارون فسلم عليه . فسلمتُ عليه فرد السلام ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قفيل : من هذا ؟ قال : جبريل

(١) : ففتّح لنا . وفي ت : ففتّح . (٢) ب ، ت ، ج : وقد . وفي صحيح مسلم : فأرسل إليه ؟ . (٣) من . (٤) : ولنعم . (٥) : ففتّح لنا .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم قيل : مرحبا به ونعم  
الحيء جاء ففتح له <sup>(١)</sup> فلما خلصت إذا أنا بموسى ، قال : هذا موسى فلم عليه ، فسلمت  
عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح . قال : فلما جاوزت بكى  
فهيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلاما بُعث بعمدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها  
من أمتي !

قال : ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل .  
قيل : ومن معك قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ! قال : نعم . قيل : مرحبا به ونعم  
الحيء جاء . قال : ففتح فلما خلصت إذا إبراهيم قال : هذا إبراهيم فلم عليه فسلمت عليه  
فرد السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم رُفعت إلى سِدْرَةِ المنتهى فإذا نَبَقها مثل قَلَالِ هَجَرٍ وإذا ورقها مثل آذان  
الفيلة ، فقال : هذه سِدْرَةُ المنتهى . قال : وإذا أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران  
ظاهران ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فهريان في الجنة ، وأما الظاهران  
فالنيل والفرات .

قال : ثم رفع لى البيت المعمور . قال قتادة : وحدثنا الحسن عن أبي هريرة عن  
النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم  
لا يعودون فيه إلى يوم القيامة .

ثم رجع إلى حديث أنس . ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ،  
قال : فأخذت اللبن قال : هذه الفطرة أنت <sup>(٢)</sup> عليها وأمتك .

قال : ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم وليلة ، قال : فرجعت فمرت على  
موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع

(١) : التي أنت عليها .

خمين<sup>(١)</sup> صلاة، وإني قد خبرت<sup>(٢)</sup> الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشدَّ المعالجة، فارجع إلى ربك عز وجل فأسأله التخفيف لأمتك قال: فرجعت فوضع عني عَشْرًا، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: بأربعين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة [في]<sup>(٣)</sup> كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك [وعالجت بني إسرائيل أشدَّ المعالجة]<sup>(٤)</sup> فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك. قال فرجعت فوضع عني عَشْرًا آخر فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: بأمرت بثلاثين صلاة كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع ثلاثين<sup>(٥)</sup> كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشدَّ المعالجة فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك. قال: فرجعت فوضع عني عَشْرًا آخر فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: بمشرين صلاة كل يوم. فقال إن أمتك لا تستطيع عشرين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشدَّ المعالجة فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك. قال: فرجعت فأمرت بعشر صلوات صلوات كل يوم قال: فرجعت إلى موسى قال: بم أمرت؟ قلت: بمشرين صلوات كل يوم. فقال: إن أمتك لا تستطيع عشر صلوات كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشدَّ المعالجة فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك. قال فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشدَّ المعالجة فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف قال: قلت: قد استحييت من ربي ولكني أرضى وأسلم فلما جاوزت<sup>(٦)</sup> نادى مناد: قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي.

(١) ب، ج: خمين. (٢) ١: قد اخترت. (٣) من ١. (٤) من ١. (٥) ب، ج: ثلاثين.

(٦) كذا في ا وفي هية النسخ: فلما نفذت.

أخرجاه في الصحيحين<sup>(١)</sup> وليس للمالك بن صمصمة في الصحيح غيره .

وفي الصحيحين من حديث أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أنه مرَّ بآدم وعن يمينه أسودة<sup>(٢)</sup> وعن يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى فقال: يا جبريل من هذا؟ قال آدم وهذه الأسودة التي عن يمينه وشماله<sup>(٣)</sup> نسَمَ بنيه ، عن يمينه<sup>(٤)</sup> أهل الجنة وعن يساره أهل النار .

وفي أفراد مسلم من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أُتيت بالبراق فركبته فسار بي حتى أُتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت ركعتين<sup>(٥)</sup> .

وقد روى حديث المراج جماعة منهم علي بن أبي طالب وابن مسعود وحذيفة وأبو ذر وابن عباس وأبو سعيد وأبو هريرة وجابر وأم هانئ في آخرين .

### السلام على البسمة

يا صاح إن كنت ليبيًا حازمًا فكن لأسباب الهوى مُرَاعِمًا  
وإن أردت أن تفوز في غدي فكن تقيًا واهجر الحارمًا  
لا تهو دنيك فإن حبها رأس الخطايا يُكسب للمآثمًا  
غدارة فكل من حلت له لا بد أن تذيقه العلاقمًا  
وإنها<sup>(١)</sup> تخدم من أهانها كما تهين من أتاها خادمًا  
فكن بها مثل غريب مُصلح أزواده على الرحيل عازمًا

(١) صحيح البخارى ١٨٧/٢ « كتاب بدء الخلق باب المراج » وصحيح مسلم ٩٩/١ ( ط استامبول ) .

(٢) الأسودة : يكنى بها عن الشخص .

(٣) من ١ . (٤) ١ : فالذى عن يمينه .

(٥) ب، ج : فصليت الركعتين . والحديث في صحيح مسلم كتاب الإيمان ( ٩٩/١ ط ) استامبول

(٦) ت : فإنها . .

فَانْمَا عُمْرُ الْفَتَى سَوْفَ لَهُ يَرْوَحُ عَنْهَا خَاسِرًا وَغَانِمًا  
 يَا عَجِبًا لِمَعْشَرِ أَتَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَّخِذُوا بِهَا لِلْكَارِمَا  
 وَلَا شَرَوْا مَعَ عَلَيْهِمُ زَوَالَهَا بِهَا جَنَانًا وَنَعِيمًا دَائِمًا  
 إِيَّاكَ وَالتَّسْوِيفَ فَالْعَاقِلُ مَنْ يُنْجِزُ مَا كَانَ عَلَيْهِ عَازِمًا  
 وَإِنَّمَا الْمَوْتُ مُغِيرٌ هَائِلٌ أَعْظَمُ بِهِ عَلَى النَّفُوسِ هَاجِمًا  
 وَالْقَبْرِ إِمَامًا رَوْضَةٌ لِلْمُتَّقِي أَوْ حُفْرَةٌ لِلنَّارِ تَصِيبُ الظَّالِمَا  
 يَا لَهْفَتِي مِنْ اسْتِقْطَاقِ حُفْرَتِي وَمَحْشَرِي إِلَى الْحِسَابِ رَاغِمًا  
 وَمَوْقِفِي أَسْأَلُ عَمَّا قَدْ جَنَّتْ بَدَأَ مِنْ سُوءٍ فَأَبْقَى وَاجِمًا  
 وَحِينَ يَأْتِينِي كِتَابِي فَأَرَى فِيهِ الَّذِي أَتَيْتُهُ مُكَاتِمًا  
 فَإِنْ يُنَاقِشَنِي فَصِدُّ هَالِكٌ وَإِنْ عَفَا نَجَوْتُ<sup>(١)</sup> مِنْهَا سَالِمًا

\*\*\*

إِخْوَانِي : هَذَا شَهْرُ رَجَبٍ قَدْ رَحَلَ أَكْثَرُهُ وَبَانَ<sup>(٢)</sup> ، وَنُورُ شَعْبَانَ قَدْ لَاحَ وَبَانَ ،  
 وَقَدْ سَارَ إِلَى دِيَارِ الْفَوْزِ رُكْبَانُ ، وَأَقْدَمَ<sup>(٣)</sup> الشَّجَاعُ وَوَلَّى الْجَبَانُ<sup>(٤)</sup> ، هَذَا الشَّهْرُ الْأَصَمُّ  
 يُؤْذَنُكُمْ بِإِقْلَاعِهِ وَيُنْخَبِرُكُمْ بِرَحِيلِهِ وَوَدَاعِهِ ، فَأَيْكُمُودَعُهُ قَدْ أَوْدَعَهُ مَا يَنْفَعُهُ غَدَا ، وَأَيْكُمُودَاوَمُ  
 الْمَعَاصِي فَلَمْ يُقْلَعْ حَتَّى غَدَا ، وَبَلَّ لِمَنْ ذَهَبَ عَنْهُ شَهْرُ رَجَبٍ وَانْصَرَمَ وَهُوَ فِي عِدَادِ مَنْ هَجَرَ  
 الْهَدَى وَصَرَمَ ، كَيْفَ يَرْجُو الْفَضْلَ وَالْكَرَمَ مَنْ اجْتَرَمَ وَمَا احْتَرَمَ .  
 أَكْثَرَ هَذَا الشَّهْرِ قَدْ مَضَى وَتَوَلَّى عَنْكُمْ مَعْرَضًا ، وَبَاقِيهِ قَدْ نَادَى لِلتَّوْبَةِ مُعْرِضًا ،  
 فَاحْذَرُوا أَنْ يَفُوتَكُمْ الْفَرَانُ مَعَ الرِّضَا . أَيْنَ مِنْ اسْتَدْرَكَ بَاقِي سَاعَاتِهِ وَقَضَى ، وَطَالَبَ  
 نَفْسَهُ بِالْإِنَابَةِ وَاقْتَضَى ، أَيْنَ مِنْ خَافَ لَهَبَ السَّمِيرِ وَحَرَّ لَظَى ، فَبادَرَ إِلَى مَا يُؤَثِّرُ مِنَ الْخَيْرِ  
 وَيُرْتَضَى ، أَيْنَ مِنْ جَرَّدَ سَيْفَ التَّوْبَةِ عَلَى الْخَطَايَا وَاتَّقَى ، قَبْلَ أَنْ يَعُودَ بَعْدَ التَّحْرِيزِ  
 حَرَضًا<sup>(٥)</sup> .

(١) ت : وَإِنْ عَفَى عَنِّي نَجَوْتُ سَالِمًا . (٢) بَانَ : بَعْدَ . (٣) ١ : وَهَدَمَ .  
 (٤) كَذَا فِي ١ . وَفِي بَقِيَةِ النُّسخِ : وَمَا تَقْدَمُ جَبَانُ . (٥) الْهَرَضُ : الْفَاسِدُ الْمَرِيضُ .

آه لأوقات مضت من رجب لاسبيل إلى رجوعها ، وأهلاً بنفوس صَبَرَتْ فِيهِ  
على عَطَشِهَا وَجُوعِهَا ، وبِأَسْفَا لأَعْمَالٍ مَا يُقْبَلُ شَيْءٌ مِنْ مَرْفُوعِهَا ، ولَأَصْوَاتٍ رُدَّتْ  
لَعْدَمِ صِدْقِ مَسْمُوعِهَا .

إِخْوَانِي : فَارْقُوا خَطَايَاكُمْ قَبْلَ مَفَارِقَتِهِ ، وَسَابِقُوا بِالتَّوْبَةِ رَحِيهَ قَبْلَ مَسَابِقَتِهِ ، وَاعْلَمُوا  
أَنَّ الْأَوَاقَاتِ عَلَيْكُمْ شَاهِدَةٌ بِمَا هِيَ مِنْكُمْ مُشَاهِدَةٌ ، فَالْحَذَارُ الْحَذَارُ أَنَّ يَفُوتَ وَقْتُ الْاِقْتِدَارِ ،  
فَازَالَتِ الدُّنْيَا تَجْدَعُ وَتَفْرُثُ ثُمَّ تَرْحَلُ وَتَمُوتُ .

غَنَّتْكَ دُنْيَاكَ الْخُلُوبُ وَحُبَّهَا فِي الْكَفِّ عُودُ  
أَمَّا إِسَاءَتُهَا فَقَدْ كَانَتْ وَحُسْنُهَاا وَعُودُ

لِقِرْبَانِ الْمَوْتِ عَلَى دِيَارِنَا نَعِيبُ ، وَنَحْنُ نَحْرُصُ عَلَى مَا لَطَالِبُهُ <sup>(١)</sup> نَعِيبُ ، الْخَلْقُ  
بِأَسْرَمٍ فِي قَبْضَةِ التَّلَفِ أُسْرَى ، وَمَا يَعْدُونَهُ إِرْبَاحًا يَمُودُ غَدًا خُسْرًا ، سَيْفُ اللَّتُونِ  
مَا يَنْبُو وَلَا يَقْنَعُ ، وَبَطْنُ الْأَرْضِ يَا كُلَّ الْخَلَائِقِ وَمَا يَشْبَعُ .

إِخْوَانِي : لَا لِلْمَوْتِ بِالْاِسْتِعْدَادِ تَنْتَظِرُونَ ، وَلَا بِالْقُلُوبِ فِي الذِّكْرِ تَحْضُرُونَ ،  
وَكَأَنَّكُمْ لِلتَّلَفِ تَأْمِنُونَ أَوْ بِالْوَعِيدِ مَا تَوْمِنُونَ ، أَمَّا عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ تَرْحَلُونَ ، أَمَّا تَرَوْنَ  
الْأَقْرَانَ أَيْنَ يَنْقَلِبُونَ ، كَأَنَّا وَاللَّهِ بَنَّا إِذْ قَدِمْنَا وَقَدْ نَدِمْنَا ، وَوَضَعَ الْحِسَابَ وَقَدْ دَمِنَا ، وَطَلَبْنَا  
مَا يَرْضَى مِنَ الْعَمَلِ فَعَدِمْنَا ، وَرَبِحَ الْمُتَتُونَ بِالتَّقَى وَحُرِمْنَا ، وَأَقْنَأَ لِقِرَاءَةِ الصَّحَفِ فَلَمَّا فَهِمْنَا  
هَهُنَا ، فَرَحِمَ اللَّهُ عِبَادًا اسْتَدْرَكَ بَقِيَّةَ هَذَا الشَّهْرِ فَرِيحًا لَا يَرَى مِثْلَهُ فِي الدَّهْرِ ، قَبْلَ أَنْ يُوْخَذَ  
بَشَدَةِ الْقَهْرِ وَيَحْاسِبَ عَلَى فِعْلِ السَّرِّ وَالْجَهْرِ .

\*\*\*

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ يَوْمٌ مَعْظَمٌ .  
أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْأَنْصَارِيُّ ، أُنْبَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ الْآبَنُوسِيُّ ، أُنْبَأَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ

---

(١) ت : على ما لطالبها . وفي أ : لطالبنا .

ابن عمر البزّاز ، أنبأنا أبو حفص بن شاهين ، حدثنا أحمد بن عبد الله البزار ، حدثنا علي بن سعيد الرّقي ، حدثنا صمّرة ، عن ابن أبي شوذب ، عن مطر الوراق ، عن شهر ابن حوشب ، عن أبي هريرة قال : « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا <sup>(١)</sup> » . وهو اليوم الذي نزل فيه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وأول يوم هبط فيه .

### قوله تعالى

« سبحان الذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا »

معنى التسييح : التنزيه عن كل سوء . واعلم أن الله تعالى سبح نفسه عند كل عظيم لما كان اختلاف الليل والنهار من عجائب الأمور وما لا يقدّر عليه غيره ، ثم ادعى المشركون وجود شريك معه نزّه نفسه عن ذلك فقال : « فسبحان الله حين تمسون وحين تُصبحون » <sup>(٢)</sup> ولما اختار عائشة لنبية قدّفت سبّح نفسه أن يختار للمختار إلا خيرة فقال : « سبحانك هذا بهتان عظيم » <sup>(٣)</sup> ولما أسرى بنبيه صلى الله عليه وسلم فكذبه الكفار سبّح نفسه لأن قدرته لا تمعز . ولنمّ عليه بذلك أهل فقال « سبحان الذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا » .

وَأَسْرَى بمعنى سیر <sup>(٤)</sup> عبده . ويقال : سرّيت وأسريت ، إذا سرت ليلاً . وقد جاءت اللغتان في القرآن . قال تعالى : « والليل إذا يسر » .

والمراد بعبده ها هنا : محمد صلى الله عليه وسلم

قوله سبحانه وتعالى : « من المسجد الحرام » فيه قولان : أحدهما أنه من قس المسجد قاله الحسن وقتادة ويؤيده <sup>(٥)</sup> ما ذكرنا في حديث مالك بن صفصعة : « يئنا أنا في الحطيم أو في الحجر » .

(١) أحاديث فضائل صيام الأيام أكثرها موضوع أحسن ما فيها ضعيف - (٢) سورة الروم ١٧ .

(٣) سورة التور ١٦ (٤) ١ : بمعنى سرت عبده . (٥) كذا في ١ . وفي بقية النسخ : وبنيده

الثاني : أنه أُسرى به من بيت أم هانئ \* . ذكره جماعة من المفسرين فعلى هذا يعنى بالمسجد الحَرَم والحرم كله مسجد .

وأما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس . وقيل له الأقصى لبُعد المسافة بين المسجدين . ومعنى « بَارَكْنَا حَوْلَهُ » أن الله تعالى أجرى الأنهار وأنبت الأشجار . وقيل إنه مقرّ الأنبياء ومهبط الملائكة . قال أبو هريرة دخل بيت المقدس وصلى فيه بالأنبياء ثم عُرج به إلى السماء .

\*\*\*

واعلم أن الإسراء كان إلى بيت المقدس والمعراج من هنالك إلى السماء ، وإنما جعل كذلك لأربعة فوائد :

الفائدة الأولى : أنه لو أخبر بصموده إلى السماء في بدء الحديث لاشتد إنكارهم ولو وصفها لهم لم يكن عندهم علم بذلك ، فلما أخبرهم ببيت المقدس ووصفه لهم دلَّ صدقه في ذلك على صدقه في حديث المعراج .

وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لما كذبني قريش قت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فظنقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه <sup>(١)</sup> » . وروى عروة عن عائشة قالت : لما أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح يحدث الناس بذلك فسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا : هل لك في صاحبك يزعم أنه أُسرى به إلى بيت المقدس ؟ قال : وقد قال ذلك ؟ قالوا : نعم . قال : إن كان قال ذلك لقد صدق . قالوا : تصدقه أنه ذهب إلى الشام في ليلة وجاء قبل أن يُصبح ؟ قال : نعم إني لأصدق في خبر السماء في غدوة أو روضة . فلذلك سمي أبو بكر الصديق .

الفائدة الثانية : أنه سيره في الأرض يستأنس ثم درج إلى الصعود إلى السماء ، فهو

---

(١) صحيح البخارى ٢/٢٦٤ ( ط الأميرية ) وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٧٦ ( ط المجلد ) .



نظير قوله : « وما تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى » <sup>(١)</sup> فلما أنس بالخطاب مُجِّل الرسالة إلى فرعون .  
الفائدة الثالثة : أن الأنبياء جُمعوا هنالك فعلى بهم فبان فضله بالتقديم عليهم في دار  
التكليف . وكان اتمامهم به مشيراً إلى نسخ شرائعهم بشرعه .  
الفائدة الرابعة : أنه مرَّ بالنواحي التي كُلِّمَ عندها موسى ، ثم صعد فكلَّم في السموات  
ليظهر التفاوت بتقدمه .

\*\*\*

ومذهب أهل السنة أنه رأى ربَّه ليلة المعراج . وقد ذكرنا ذلك عن ابن عباس  
وكعب .

أخبرنا ابن المذهب أخبرنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثني أبي ،  
حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ربِّي تبارك وتعالى » <sup>(٢)</sup> .  
وقد تعلَّق من أنكر ذلك بإنكار عائشة أن يكون رآه . والجواب من ثلاثة أوجه :  
أحدها : أنه رأى منها لارواية ، فلا يقاوم رواية من روى عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم أنه قال « رأيت ربِّي » .

والثاني : أنها نفَتَ والعمل على الإثبات .

والثالث : أنها كانت في زمن المعراج صغيرة ولم تكن عند رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، وقول الرجال العلماء من الصحابة مقدَّم .  
وقد زعم قوم أن المعراج كان مناماً . ويرد قولهم أن المشركين أنكروا عليه ما قال ،  
ولو كان مناماً لم ينكره أحد .

---

(١) سورة طه ١٧ .

(٢) تراجع روايات مسلم في صحيحه التي تنفي الرؤية « كتاب الإيمان » .

وقد رأى تلك الليلة الجنة والنار .

أخبرنا هبة الله بن محمد ، أنبأنا الحسن بن علي ، أنبأنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبد الله ابن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا وركيع ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أُسرى بي على قوم تُقرَضُ شفاههم بمقاريض من نار ، قلت من هؤلاء قال : خطباء أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون .

\*\*\*

إخواني : فتقوا ليلة المعراج على قدم الشكر ، تارة لما أنعم الله على نبيكم من إسرائه ، تارة للإِنعام عليكم بالإيمان بمِعْراجِه ، والذي ناله للصطفى من الارتفاع والعلو يَحْتِ امته على التماس القرب والدنو ، فالسعيد من تأهب للقاء ربه بتأديب نفسه وتطهير قلبه .  
بأى عينٍ ترائي يا من بارزني وعصاني ، بأى وجهٍ تلتقاني ، يا من نسي عظمة شاني  
خاب المحجوبون عني وهالك المبعدون مني :

يا من يحدث نفسه	بدخول جنات النعيم
إن كنت مُتَقِيًّا فَأَ:	ت على الصراط المستقيم
لا تَرْجُونَ سَلامَةَ	من غير ما قلب سليم
فاسلك طريق المتقي	نَّ وِظَنَ خيرا بالكريم
واذكر وقوفك خائفا	والناس في أمرٍ عظيم
إِما إلى ذل الشقا	وة أو إلى العز القيم
فاجعل نُقْطَتَكَ وَقايةً	في الحشر من نار السُّمُومِ
واغنم حياتك واجتهد	وأَنِبْ إلى الربِّ الرحيم

\*\*\*

سبحان من أسرى بعبده<sup>(١)</sup> فأصبح الحساد أسرى ، قصرت دولته قيصر و كسرت هيبته كسرى ، أقامه بالليل من وطئه ودنائه ، ورفع فوق السموات بقوته واقتداره ، وأراه مافي جنته وما في ناره ، وأوحى إليه ما أوحى من أسراره ، ثم أعاده في الليل إلى مسكنه وقراره ، وجاوز أفق الشمس والقمر ، وعلا على الملائكة والبشر ، وفاز بالتقريب والنظر ، وما حضر أحد قط حيث حضر ، ارتقى إلى مقام القرب بتقديمه ، والأملأ تحف به من جانيبه ، وجبريل يمشي خادماً بين يديه ، والرب قد أنعم بتقريبه إليه ، وكشف له الحجاب حتى رآه بعينه ، فحماه بالطفاه من الزئغ في طريقه ، وأيده بإسمافه وإسعاده وتوفيقه ، وعضده في صدقه بتصديق صديقه ، سبحان من رفعه فوق الأفلاك ، وقدمه على الأنبياء والأملأ ، وإنه والله أهل لذلك ، لأنه أطول القوم في جهاد أهل الإشرأك ذبلاً « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » .

طَّيِّبَهُ بِأَزْكَى الْخَلَائِقِ ثُمَّ رَفَعَهُ [ عَلَى أَزْكَى الْخَلَائِقِ ]<sup>(٢)</sup> فَوْقَ السَّبْعِ الشَّدَادِ الطَّرَائِقِ ، فَيَا فَخْرَ ذَاكَ الْمَقْدَمِ السَّابِقِ رَجُلًا وَخَيْلًا « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » .  
أَوْ قَدْ لَهْدَايَةِ الْخَلْقِ سِرَاجَهُ ، وَشَادَ قَوَاعِدَ دِينِهِ وَأَبْرَاجَهُ ، وَقَوَّى دَلِيلَهُ وَأَظْهَرَ احْتِجَاجَهُ ، فَالْخَزْيَ كُلَّ الْخَزْيِ لِمَنْ جَعَدَ مَعْرَاجَهُ وَيَلًا لَهُ وَيَلًا « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » .  
كَلَّمَهُ كِفَاحًا ، وَمَنَحَهُ فَلَاخًا ، وَسَقَاهُ مِنْ شَرَابِ الْحُبَّةِ رَاحًا يَمِيلُ بِأَعْطَافِهِ مَيْلًا « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » .

أَصْلَحَ بِتَدْيِيرِهِ طِبَاعَ الْمَرْضَى ، وَجَعَلَ طَاعَتَهُ عَلَى الْخَلْقِ قَرَضًا ، وَضَمِنَ أَنْ يَعْطِيَهُ حَتَّى يَرْضَى ، كَيْلًا يُحْصَرُ مَا يُعْطَى وَزَنًا وَكَيْلًا « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » .  
عَاشَ فِي الدُّنْيَا بِالتَّقْنَاعِ ، وَصَبَرَ عَلَى الْفَقْرِ وَالْحِجَاجَةِ ، وَبَكَفِيهِ فَخْرًا شَرَفُ الشَّفَاعَةِ ، وَشَفَلَهُ ذِكْرُ الْقِيَامَةِ وَالسَّاعَةِ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا أَوْ قَيْلًا « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » .

(١) ت : سبحان من أسرى بعبد أسرى . و ب ج : سبحان من أسرى بأسرى عبده . و ما أثبتته من :

(٢) من ب ج .

كان ينجوع فيشد الحجرَ، ويفتقر فيصابر الضرر ، راضيا بالظما وقَطْرًا المطر من سحاب  
الدنيا يجرى سَيْلاً « سبحان الذى أسرى بعده ليلاً » .

سبحان من شَرَّفنا بهذا الرسول ، ورزقنا موافقة المنتول ، فنحن أهل السنة لا أهل  
الفضول ، لا نزال<sup>(١)</sup> على الصراط ولا نزول ، ما نعرف ميلاً « سبحان الذى أسرى  
بعده ليلاً » .

فخر نبينا أجلّ وأعلى ، ومناقبه من الشمس أجلّ ، وذكره في قلوبنا والله أحلى عند  
قيس من ليلي « سبحان الذى أسرى بعده ليلاً » .  
والحمد لله وحده .

## المجلس الرابع

### في ذكر فضائل شعبان

الحمد لله أحق من شكر وأولى من حمد، وأكرم من تفضل وأرحم من قصد، المعروف بالدليل والدليل عبْد، القديم لم يولد ولم يلد، أحاط علماً بالمعلومات وحوأها، وأنشأ المخلوقات بالقدرة وبنهاها، وأظهر الحكم في الموجودات إذ برأها، ومن يتَّح حكماً لمرآها فلينظر بالفهم وليفتقد، تعرّف إلى <sup>(١)</sup> خلقه بالبراهين القاهرة، وأظهر في مصنوعاته العجائب الباهرة، وتفرّد في ملكه بالقدرة القاهرة، ووعد المتقين الفوز في الآخرة، فالبشرى للموعود بما وعد. تعالى أن يُشبه ما صنعه <sup>(٢)</sup> وأن يقاس بما جمعه، سبحانه لا وزير له ولا شريك معه. نادى موسى ليلة الطور فأسمعه، فاعلم هذا واعتقد وتمسك بالكتاب والسنة ولا تمل عنهما وسلم إليهما وتسلم العلم منهما ولا تنطق برأيك وظنك فيهما، هذا مذهب أهل السنة لا تنقص ولا تزد.

أحمد حمداً إذا قيل صعد، وأصلى على رسوله محمد خير مولود وُلد.

\*\*\*

عن أبي سلمة قال: «حدثني عائشة: قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر من السنة أكثر من صيامه من شعبان كان يصومه كله»  
أخرجاه في الصحيحين <sup>(٣)</sup>.

وفيها من حديث عائشة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى قول لا يُفطر ويفطر حتى قول لا يصوم، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر منه صياماً في شعبان <sup>(٤)</sup>»  
وفي لفظ انفرد به مسلم قالت: كان يصومه إلا قليلاً <sup>(٥)</sup>

(١) ب ج : في خلقه . (٢) أن يشبه بما صنعه .

(٣) صحيح البخارى ٢٧٥/١ ( ط الأُميرية وصحيح مسلم ١٦١/٣ بروايات مختلفة ( ط استامبول ) .

(٤) صحيح البخارى ٢٧٥/١ . وصحيح مسلم ١٦١/٣ ط استامبول (٥) صحيح مسلم ١٦١/٣ .

( البصرة ٢/٤ )

أخبرنا محمد ناصر بسنده عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم شعبان كله حتى يصلي به رمضان ، ولم يكن يصوم شهراً تاماً إلا شعبان ، فإنه كان يصومه كله ، قلت : يا رسول الله إن شعبان لمن أحب الشهور إليك أن تصومه . فقال : « نعم يا عائشة ، إنه ليس من نفس تموت في سنة إلا كُتِبَ أجلها في شعبان ، فأحب أن يُكتب أجلى وأنا في عبادة ربي وعمل صالح » .

وعن أسامة بن زيد ، قال : قلت يا رسول الله رأيتك تصوم في شعبان صوماً لا تصومه في شيء من الشهور إلا في شهر رمضان ، قال : « ذاك شهر يُفَقِّلُ الناسُ عنه بين رجب وشهر رمضان ترفع فيه أعمالُ الناس ، فأحب أن لا يُرفع على إلا وأنا صائم » <sup>(١)</sup>

\*\*\*

واعلم أن الأوقات التي يُفَقِّلُ الناسُ عنها معظمة القدر لاشتغال الناس بالمعادات والشهوات ، فإذا تأثر عليها طالب الفصل دلَّ على حرصه على الخير . ولهذا فضلُ شهود العَجَر في جماعة لفيلة كثير من الناس عن ذلك الوقت ، وفضل ما بين العشاءين وفضل قيام نصف الليل ووقت السحر .

عن عائشة قالت : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناسٌ يصومون رجياً فقال : « قَاينَ هم عن صيام شعبان » .

قالت لؤؤة مولاة عمار : كان عمار يتهاى لصوم شعبان كما يتهاى لصوم رمضان . وكان عمرو بن قيس الملائي إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن في شعبان ورمضان . وعن الحسن بن شُهَيْل <sup>(٢)</sup> ، قال : قال شعبان : يارب جعلتني بين شهرين عظيمين فإلى ؟ قال : جعلت فيك قراءة القرآن .

وقد ذكرنا في حديث أن الآجال تكتب في شعبان .

وعن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(١) أخرجه النسائي وأحمد وأبو داود وصححه ابن خزيمة . شرح المواهب ١٢٦/٨

(٢) ب ج : ابن سهيل .

« تُقَطَّعُ الْآحِلُ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى شَعْبَانَ حَتَّى إِنْ الرَّجُلُ يَنْكَحُ وَيُولَدُ لَهُ وَلَقَدْ خَرَجَ اسْمُهُ فِي الْمَوْتِ » .

فهذا الحديث وحديث عائشة لم يَمَيَّنْ فيهما متى يكون ذلك من شعبان وقد روى في حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليلة النصف من شعبان تَنَسَّخُ فِيهَا الْأَجَالُ وَالْأَرْزَاقُ .

وقال أبو هريرة ، إذا كان هلال شعبان دُفِعَ إِلَى مَلِكِ الْمَوْتِ صَحِيفَةٌ يَقْبِضُ مِنْ فِيهَا إِلَى شَعْبَانَ مِنْ قَابِلٍ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لِيُغْرَسَ الْغُرْسَ وَيَبْنَى الْبِنْيَانُ وَيَنْكَحُ وَيُولَدُ لَهُ وَيُظَلَّمُ وَيُفَجَّرُ وَمَا لَهُ فِي السَّمَاءِ اسْمٌ وَمَا اسْمُهُ إِلَّا فِي صَحِيفَةِ الْمَوْتِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُهُ الَّذِي يُقْبِضُ فِيهِ أَوْ لَيْلَتُهُ

\*\*\*

فيا أيها الغافل تنبّه لرحيلك ومُسْرَاكِ ، واحذر أن تُسْتَلَبَ عَلَى مَوَاقِعَةِ هَوَاكَ ، انتقل إلى الصلاح قل أن تُنْقَلَ ، وحاسب نفسك على ما تقول وتفعل ، ولا تغفل عن التدارك الله الله لا تغفل .

السلام على البسملة

قد آنَ بعد ظلام الجهل إِبْصَارِي	الشيبُ صُنْحٌ يَنَاجِينِي بِإِسْفَارِ
لَيْلُ الشَّبَابِ قَصِيرٌ فَاسِرٌ مُبْتَدِرٌ	إِنْ صَبَاحُ قُصَارَى الْمَدْلِجِ السَّارِي
كَمْ اغْتَرَارِي بِالْدُنْيَا وَزُخْرُفِهَا	أَبْنَى بِنَاهَا عَلَى جُرْفٍ لَهَا هَارِي
وَوَعْدِ زُورٍ وَعَهْدٍ لَا وِفَاءَ لَهُ	تَعْلَمُ الْقَدَرَ مِنْهَا كُلُّ غَدَارِ
دَارٌ مَا نَمُهَا تَبْقَى وَلَدَتْهَا	تَفْنَى أَلَا قُبِحَتْ هَاتِيكَ مِنْ دَارِ
فَلَيْتَ إِذْ صَفَرْتُ مِمَّا كَسَبْتُ يَدِي	لَمْ تَمْلُقْ مِنْ خَطَايَاها بِأَوْزَارِ

ليس السعيد الذى دنياه تُسعدُه      إن السعيد الذى ينجو من النار

\*\*\*

لقد بالفت المواعظ وبلغت أىَّ إبلاغٍ وأىَّ بلوغٍ، وأنت تتلون هكذا وهكذا ثم ترُوغ  
إياك وسُور<sup>(١)</sup> الهوى فسُور الهوى مايسُوغُ، وقد رأيت غيرك أفلا يتعظ الملوغُ، يا مُمَجِّلا  
قد أُجْدَبَ عامُه، يا مُفْرِقًا قد أَهْلَكَ قَلْبَه سَامُه، يا مُقْتُولَ الهوى قد قطعَه حُسامُه. أما علمت أن  
الراعى لا تطيش سهامه، أين الطَّيِّبُ الكُدْسُ، أين السَّكَمِ الأشْوَسُ، أين من تكبَّر وعبس  
تساوى فى القبور اللين والأحمس<sup>(٢)</sup>، واعتدل فى اللُحود النَّطُوق والأخرس، ورمى  
الكلَّ سهمُ المنون قمر طَس<sup>(٣)</sup>، وعروا فى العراء من حُلَّهم فتماثل المابس.

ونادتنا الرسومُ وهُنَّ صُمٌّ      ومنطقتها المعاجمُ والسَّطَّارُ<sup>(٤)</sup>  
وكان اليأسُ أجَلَ فانصرفنا      ودمعُ العين تجرَّاه انحذارُ<sup>(٥)</sup>

زار عمرُ بن عبد العزيز قبورَ آبائه ثم رجع وهو يبكى، قال لأصحابه: نادانى التراب:  
ألا تسألنى عما صنعتُ بأحبائك؟ فقلت: ما فعلت؟ قال: فصلت الكفين من الساعدين  
والقدمين من الساقين، وفعلت وفعلت. فلما وليت نادانى: ألا أدلك على كفن لا يبلى؟  
قلت: بلى. قال: التقوى.

إخوانى: سلُّوا المقابرَ بالسنة الفِكرَ تجبكم بكلام العبر:

عُوجُوا فخيُّوا لنعمِ دِمْنَةِ الدار      ماذا تُحْيُونَ من نُوى وأحجار<sup>(٦)</sup>  
أَقْوَى وأقفر من نَعْمٍ وغيِّرها      هُوَجُ الرياح بهارى انثربِ مَوَارِ<sup>(٧)</sup>  
وقفتُ فيها سَراةَ اليوم أسألها      عن آل نَعْمٍ أمونا غُبرَ أسفارِ<sup>(٨)</sup>

(١) السُّور: البقية والفضلة.

(٢) الأحمس: الصلب. (٣) قرطس: أصاب. (٤) كذا فى ١ ت. وفى ب ج: الدطار.

(٥) ب ج: البتة الحدار. (٦) ب ج: لنعمى. والدمنة: آثار الدار.

وفى ١: دمنة الوادى. والنوى: الحنجر حول الحباء أو الخيمة يمتنع السيل.

(٧) هارى الزب: مائهال منه وتبدد. (٨) الأمون: الناقة الوثيقة الخلق.

وناقة غُبرَ أسفار: مثقلة قوية تشق مامرت به يريد: أنه وقف ناقته أول اليوم على أطلال نعم يأسها.



فاستعجمتُ دارُ نُمى ما تكلمنا والدارُ لو كَلَمْتنا ذاتُ أخبارٍ  
فما وجدتُ بها شيئاً أعجج به إلا الثَّامَ وإلا مَوْقدُ النارِ (١)

\*\*\*

أما يكنى العاقلَ تجاربه ، أما أيقظ الفطنَ نوائبه ، غلب الموتُ فمن ذا-يفالبه ، قهر  
الخلقَ فمن ذا يحاربه ، كأنكم به قد دبَّت عقاربُه ، قل للمفرط وقد حانت مصائبُه ، القلب  
غائب فكيف نغائبه ، لقد قتل الهوى آله بلا آله فما لكم وماله ، خلوا له ماله ، كم طالبُ  
مرادٍ ماناله ، كم لذة أُفئيت وأبقت (٢) قاله ، إياكم وإيا الدنيا فإنها محتالة .

ومَكاسبُ الدنيا وإن كَثُرَتْ فما يبقى سوى تبعاتها والمائم  
فعليك بالفعل الجميل فإنه أنس (٣) المقيم غداً وزادُ المعدم  
كان حبيب المعجى إذا أصبح بكى ، وإذا أمسى بكى فستلت زوجته عن بكاؤه ،  
فقال : يخاف والله إذا أمسى أن لا يصبح وإذا أصبح أن لا يمسي ، يقول لى : إن مِتُّ  
فافعل كذا واصنعى كذا .

وكان شُمَيْطُ بن عَجْلان يقول : أيها المفترِّ بصحته أما رأيت ميتاً من غير ستم أيها  
المفترِّ بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً من غير علة ؟ !

كان شيخ متعبد فى تيم الله يجتمع إليه فتيان الحى فيعظهم فإذا أرادوا أن يتركوا قال :  
يا إخوتاه قوموا قيام قومٍ قد يسوا من الماودة لجلسهم خوفاً من ورطات الذنوب وخوفاً  
من خطفات الموكِّل بالنفوس فيبكي . ويبكى .

وكان يزيد الرقاشي يقول : إلى متى تقول غداً أفعل كذا وبعد غدٍ أفعل كذا  
أغفلتَ سفرك البعيد ونسيت الموتَ ، أما علمت أن دون غدٍ ليلةٌ تُحترَم فيها أنفُسُ ،  
أما رأيت صريعاً بين أحبابه لا يقدر على ردِّ جوابهم ؟ !

(١) أعجج به : أرضى . والثَّام : نبت . (٢) : وبقيت قاله . (٣) ت : فإنه لبس المقيم .

مضى اناسٌ وأصبحنا على ثقة أنا سَتَمَعُ بالأشجان نُعْتاجُ  
إن أدلجوا وتخلّفنا وراءهم وما نسير فإننا سوف نَدَلُجُ

الكلام على قوله تعالى

« أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعلوا الصالحات <sup>(١)</sup> »

قام تميم الدارى ليلةً إلى الصباح هذه الآية وكذلك الربيع بن خثيم قام بها ليلة لم يزد .

قال الحسن : لا يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبداً أبطأ عنده .

وقال شبيب بن مجملان : الناس ثلاثة : فرجل ابتكر الخير في حادثة سنة ثم دام عليه حتى خرج من الدنيا فهذا المقرب . ورجل ابتكر عُمره بالذنوب وطول الغفلة ثم راجع بتوبة ، فهذا صاحب يمى . ورجل ابتكر الشرّ في حادثة سنة ثم لم يزل فيه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب شمال .

إخوانى : المعاصى تنكس الرأس وما مخاط كمن كاس <sup>(٢)</sup> ، ولا بان على رمل كحكيك الأساس ، إن بينهما كما بين الطهارة والأنجاس ، وعلى وجه الطائع نور طاعته وعلى وجه العاصى ظلام مخالفته ، وعند الموت يُتَقَى هذا بالبشارة ويقع هذا في الخسارة ، وفي القبر يَفْتَرَش هذا مهاد الفلاح ويُبَلَقى ذاك على حاك <sup>(٣)</sup> القَبَاج ، وعند الحشر هذا يَرَكِب وذاك يُسَحَب ، ثم يقال للعصاة : هَلَا ذَكْرُكُمْ وللطائعين : سلامٌ عليكم بما صبرتم . كم بين خجل بَذَل وبين طائع يُدَل . إياكم وإياكم والذنوب ، احذروا عواقب العيوب ، لقد ورطت الذنوبُ أربابها أى إرباط ، وأسقطت أصحابها أى إسقاط ، وأبعدتهم عن أغراضهم أشواطاً بعد أشواط ، وضربت عليهم سرادقا من الندم بعد فسقاط ، هذا جنى

الجنابة فأين التقي الخطا . تنبهوا لهذا يا أصحاب اللّم الشّماط <sup>(١)</sup> ، تيقظوا فهذا الموتُ بكم قد أحاط ، إياكم والزّلل فكم من دم قد أشاط ، آذيتم أنفسكم بالذنوب فهلاككم إفراط ، هذا العدوُّ مُرّاصِدٌ فعليكم بالربّاط ، هذا الفتور وإنما مهرُ الجِدّة النشاط ، سار الصالحون وقد سلكتم غير الصراط ، ما الذي شغلكم عن أهل الحبّة ؟ جَمع الحبّة والقيراط ، كانوا يصومون وأنتم مُفطرون ، ويقومون وأنتم نائمون ، ويبكون خوفاً وأنتم تضحكون .

روى عن هشام ، قال : بلغني أن منادياً ينادى من أول الليل : أين العابدون . فيقوم ناس فيصلّون ثم ينادى في وسط الليل : أين الفائزون فيقوم ناس فيصلّون . ثم ينادى في السحر أين المستغفرون فيقوم ناس فيصلّون . فإذا أصبح قال : أين الغافلون .

يامن إذا صلى خفف وإذا كال طُفّف ، وإذا دعى تحفّف ، وإذا قيل له تُبّ سوف ، ما يؤثّر عنده قول من حذّر وخوف ، ثم يطمع في لحاق الصالحين فما أنصف ، جدّ القوم وأنت قاعد ، وقربوا وأنت متباعد ، كم بين راغب وزاهد ، كم بين ساهر وراقد ، شغلهم حُبّ مَولاهم عن لذات دنياهم ، اسمع حديثهم إن كنت ما تراه ، خوْفهم الشديد قد أزعج وأقلق ، وحذرهم العظيم قد أتلف وأحرق ، وحادى جدّهم مُجْدماً يترقّق ، كلما رأى طول الطريق نصّ <sup>(٢)</sup> وأعنتق ، وكيف يحسّن الفتور وأوقات السلامة تُسرق ، دموعهم في أنهار الخدود تجري وتندفق ، يكاد حزينهم لكثرة الذنوب يَشْرُق ، يشتاقون إلى الحبيب والحبيب إليهم أشوق ، يا حُسْنهم في الدجى ونورهم قد أشرق ، والحياة فائض <sup>(٣)</sup> والرأس قد أطرق والحنين والأنين قد أخرسا الحماّم المطوق ، والأسير يبكي ويشكو ويرجو أن يُفَتّق ، فإذا جاء النهار دخلوا سوراً من التّقي بعد خلق ، تعرّفهم بسيماهم وللصدق رونق ، اسلك طريقهم وسلّ مُعِينهم توفّق . احذر من الهوى فالهوى عدوٌّ أزرق ، يا من كلما أنهم

(١) اللّم : جمع لمقوى الشعر المجاوز لشحمة الأذن . والشماط : جمع شمطاء وهي ما خالطياض الشعر فيها سواده .

(٢) نصّ : أسرع . وكذا أعنتق . (٣) كذا في ١ وفي ب ت ج : والحياة قابض .

ناصحه أن تجد ، وكلما غرب شروق ، قد بقى القليل وهذا الرهن يفتاق .

\*\*\*

أستغفر الله الذى بقضائه مطر السحاب وأخصب الأب  
نبأ لقوم أذهبوا أوقاتهم لعباً وأشهد أنهم تنبوا  
وصبوا إلى الدنيا فكلهم بها كلف يُغفر مجبها صب  
شئوا الحروب على حطام زائل وعلى فساد غرائز شبوا  
رقدوا فما قدت كرمي أجفانهم حتى إذا حان الردى هبوا  
لبوا وقد دعت الدعاة إلى الخنا فجميعهم خطئوا فما لبوا

يا قليل النظر فى أمره ، يا غافلا عن ذكر قبره ، أما نقل الموت واحداً واحداً ،  
وها هو قد أضحى نحوك قاصدا ، كم سلب ولداً وأخذ والدا ، إلى متى تصبح جاهلا  
وتمسى ماردا ، وتحت على انهوض وما تبرح قاعدا ، متى يذوب دمع ما يزال جامدا ،  
متى ينقص جهل ما يفتأ زائدا ، يا من إذا قاربه النصيح أضحى متباعدا ، لقد نظرت لنفسك  
نظراً فاسداً ، كم أثمرت بك عدوا وأفرحت حاسدا ، يا نائما عن خلاصه راقدا ؛ يا مريضا  
ما نرى له عائدا ، كم نوضح الأمثل ونضرب حديداً بارداً ، أترضى هذا الحال أن يكون  
زادا لارتحال ، تذكر عبث اليمين والشمال إذا خابت جميع الآمال ورأيت حسرة ما جمعت  
من مال ، وتيقنت فراق الأيتام والأطفال ، وحملت هما خفت عنده الجبال ، وبان لك  
أن حديث المتى محال ، يا مؤثر الغنى تأمل رشدك ، ياراحلا عن قليل تعرف قصدك ،  
أصلح بالتقى يومك قبل أن تاتى غدك ، إياك والهوى ودع متعودك :

أصبحت عادت للصبا رشداً جهلاً وأسلمت للهوى قودك  
حتى متى لا تُفنيق من سنة ولا يداوى مُفند فندك<sup>(١)</sup>

تُعْمَلُ فِي صَيْدٍ كُلِّ صَائِدَةٍ خَتَلَكَ طَوْزًا وَنَارَةً طَرَدَكَ<sup>(١)</sup>  
تَرْمِي الَّتِي إِنْ أَصَابَ ظَاهِرَهَا سَهْمُكَ شَكَّتْ بِحِدَّةِ كَيْدِكَ

كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ : حَادِثُوا<sup>(٢)</sup> هَذِهِ الْقُلُوبَ فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ ، وَافْرَعُوا هَذِهِ الْأَنْفُسَ  
فَإِنَّهَا طُلْعَةٌ ، وَإِنَّهَا تَنَازِعٌ إِلَى شِرْغَابَةٍ ، فَتَبَصَّرُوا وَتَشَدَّدُوا ؛ فَإِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ قَلِيلٌ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ  
رَكَبٌ وَقُوفٌ يَوْشِكُ أَنْ يُدْعَى أَحَدُكُمْ فَيَجِيبُ وَلَا يَلْتَفِتُ ، فَانْتَقِلُوا بِصَالِحٍ مَا بَحْضَرْتُمْ<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

يَا هَذَا زَاخِمٌ بِاجْتِهَادِكَ لِلْمُتَّحِينَ ، وَسِرٌّ فِي سَرَبٍ<sup>(٤)</sup> أَهْلُ الْيَقِينِ ، هَلِ الْقَوْمُ إِلَّا رِجَالٌ  
طَرَقُوا بَابَ التَّوْفِيقِ فَفَتَحَ لَهُمْ ، وَمَا نِيَّاسُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ .

إِذَا أَعْجَبَتْكَ خِصَالُ امْرِئٍ فَكُنْهُ يَكُنْ مِنْكَ مَا يُعْجِبُكَ  
فَالَيْسَ عَلَى الْجُودِ وَالْمَكْرَمَاتِ إِذَا جُنَّهَا حَاجِبٌ يُحْجِبُكَ

لَتَذْ رَضِيَتْ لِنَفْسِكَ الْغَيْبِيَّةَ ، وَبَعْتَ الدَّارَ الشَّرِيفَةَ بِالدَّارِ الْمُهَيَّنَةِ ، وَأَعْجَبَكَ مَعَ عَتَلِكَ  
مَا يَعْجِبُ الْأَطْفَالَ مِنَ الزَّيْنَةِ ، أَتَرَاكَ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الدُّنْيَا صَحْبَةُ سَفِينَةٍ ، إِنْ ذُكِرَ الصَّالِحُونَ  
فَلَسْتَ فِيهِمْ ، وَإِنْ عُدَّ الْأَبْرَارُ فَمَا أَنْتَ مَعَهُمْ ، وَإِنْ قَامَ الْعُبَادُ لَمْ تَرُ بَيْنَهُمْ ، وَيَحْكُ أَنْطَمَعَ  
فِي الْحَصَادِ وَلَا يَذُرُ لَكَ ، أَتَرْجُو الْأَرْبَاحَ وَلَا تَجَارَةَ مَعَكَ ، تَبْنِي بِلَا أُسَاسٍ وَلَا يَثْبِتُ الْبِنَاءُ ،  
وَتَحْمِلُ عَلَى عَسْكَرِ الْهَوَى بِلَا عَزْمٍ فَلَا تَصِلُ إِلَى مَرَادٍ ، وَيَحْكُ دُمٌّ عَلَى الْحَنِيمَةِ يَزُلُ أَنْزُرُ  
التَّخْلِيطِ ، وَاسْتَوْثِقَ مِنْ عَقْدِ الْعَزْمِ خَوْفًا أَنْ يَنْحَلَّ ، فَإِنْ عَرِضَ تَقْصِيرُ يَوْهِنٍ فَاسْتَدْرِكْ تَعْنُ  
إِذَا مَا عَقَدْتَ الْعَقْدَ ثُمَّ تَرَكْتَهُ وَلَمْ تَنْتَهَ عَقْدًا وَهِيَ ذَلِكَ الْعَقْدُ  
وَمَا الْيَدُ لَوْلَا أَخْتَهَا بِقُوَّةٍ وَلَا الرَّجُلُ لَوْلَا رِجْلُ تَمْشِي وَلَا تَعْدُو

(١) الختل : المتداع والطرد : مزاولة الصيد .

(٢) حادثوا : حدثوا . (٣) ذم الهوى ص ٣٦ . (٤) السرب : الطريق .

ولا كل محتاج إلى ما يشده فيعسف إلا والوهاء له وكد<sup>(١)</sup>  
ترفع عن التعذير<sup>(٢)</sup> غير مذمم إلى شرف الإعذار يخلص لك الحمد  
ويحك ضاق الوقت فمتى تزود ، تعب الرائض وما تترك المتعود .

عجبت للطالب الأمر البصير بما فيه من الغنى إذ يسعى له طلباً  
وللكب على مالٍ يشره وسوف يصبح منه المال منتهباً  
وللداوى ضنى جسم عراه وقد دعا إلى نفسه الأوجاع والوصب  
فذكر النفس هولاً أنت راكبه وكربة سوف تلقى بعدها كربة  
لا تحقرن من الآنام محتقراً كل امرئ سوف يجزى بالذى اكتسباً  
إذا أتيت المعامى فاخش غايتها من يزرع الشوك لا يحصد به عنباً

لتعظمن على أهل الخالفات الآفات<sup>(٣)</sup> ، ولتعظمن أفئدة المفرطين بالزفرات ، وليشتهرن  
الفاجر في الخلوات بالجلوات ، ولتمورن السوق يوم السوق الحاسبات ، ولتسيلن  
الدماء بعد الدموع على الوجنات ، وليتحمسن أهل المعامى إذا لاحت درجات الجنات ،  
ولينادين منادى الجزاء يُخبر بتفاوت العطاء ووقوع السيئات « أم حسب الذين اجترحوا  
السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

(١) يصف : يتيل ويعمل . والوهاء : الضعف . والكد : الدأب . (٢) : عن التذكر .

(١) : الأوقات

## المجلس الخامس

### في ذكر ليلة النصف من شعبان

الحمد لله الذي لا ناقض لما بناه . ولا حافظ لما أفناه ، ولا مانع لما أعطاه ، ولا رادّ لما قضاه ، ولا مظهر لما أخفاه ، ولا ساتر لما أبداه ، ولا مُضِلّ لمن هداه ، ولا هادي لمن أعماه ، أنشأ الكون بقدرته وما حواه ، ورزق الصّون بمنته ومنّه من والاه ، « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » . خلق آدم بيده وسوّاه وأسكنه في حرم قرّبه وحماه ، وأمره كما شاء ونهاه ، وأجرى القضاء بموافقته هواه ، فنزعت يدُ التفريط ما كساه ، ثم تاب عليه فرحه واجتباؤه وحالُه ينذر من يسعى فيما اشتباهه ، وطرده إيمس وكانت السموات مأواه فأصممه بمخالفته كما شاء وأعماه ، وأبعدته عن بابهِ للصّيان<sup>(١)</sup> وأشقاه وفي قصته نذير لمن خالفه وعصاه . ألان الحديد لداود كما تمنّاه ، يَأْمَنُ لابسُهُ من يلقاه ، ثم صرع صانعه بسهم قدرٍ ألقاه ، فلما تسوّر الحراب خصّماه أظهر جدال التويخ نغمماه « وظنّ داود أنما فتنّاه » وذهب ذو النون مغاضباً فالتمه الحوت وأخفاه ، فندم إذ رأت عيناه ما جنت يده ، فلما أقلقته كُربُ ظلامٍ نفّثاه تضرع مستغيثاً ينادي مولاه : « إني كنت من الظالمين . فنجّيناه » .

تعالى ربنا وسبحانه وحاشاه أن يخيب راجيه وينسى من لا ينساه ، أخذ موسى من أمه طفلاً وراعاه ، وساقه إلى حِجْرِ عدوه فربّاه ، وجاد عليه بنعم لا تُحصى وأعطاه ، فثنى في البحر وما إبتلت قدماه ، وتبعه العدوُّ فأدركه الفرق وواراه ، فقال آمنت فإذا جبريل يصدّقه ، وكان من غاية شرفه ومنتهاه أنه خرج يطلب ناراً فناده : « يا موسى إني أنا الله »

وشرف أمته شرفاً بيننا أولاه « وأنى فضلتكم على العالمين » بكنتم<sup>(١)</sup> خير أمة أخرجنا .  
خلق محمداً واختاره على الكل واصطفاه ، وكشف له الحجاب عند قاب قوسين  
فرآه ، وأوحى إليه من سرّه المستور ما أوحاه ، ووعدّه المقام المحمود وسيلّغه مناه .  
فالحمد لله الذى دلنا بنبية عليه وعرفناه ، وأجلنا بالقرآن العظيم القديم وعلمناه ، وهدانا  
إلى بابه بتوفيق أودعناه ، حمداً لا ينقضى أولاه ولا ينفد آخراه .  
وصلّى الله على محمد ما تحركت الألسن والشفاة ، وعلى آله وصحبه صلاة دائمة تدوم  
بدوام ملك الله ، وسلم تسليماً .

\*\*\*

عباد الله إن ليلتكم هذه النصف ، عظيمة التدبر وعجيبة الوصف ، يطام الله فيها على العباد ،  
فيفقر لكل ما خلا أهل العباد .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قتدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة  
فخرجت فإذا هو بالبتيع رافع رأسه إلى السماء فقال : كنت تخافين أن يحيف الله عليك  
ورسوله ؟ قلت : يا رسول الله ، ظننت أنك أتيت بعض نساءك . فقال : « إن الله عز وجل  
ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيفقر لأكثر من عدد شعر غنم كلب »  
وعنها أيضاً قالت : كانت ليلة النصف من شعبان ليلتى فبات رسول الله صلى الله عليه  
وسلم عندي ، فلما كان في جوف الليل فقدته فأخذنى ما يأخذ النساء من الغيرة . فتلفعت  
بسرطى ، أما والله ما كانى مرطى خزاً ولا قرزاً ولا حريراً ولا ديباجاً ولا قطناً ولا كتاناً .  
قيل : فمـ كان ؟ قالت : كان سداً شعراً ولحمته من أوبار الإبل . قالت : فظلمته فى حجر  
نسائه فلم أجده فانصرفت إلى حجرى فإذا به كالثوب الساقط على وجه الأرض ساجداً  
وهو يقول فى سجوده : سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى ، هذه يداى  
وما جنيتُ بهما على نفسى ، يا عظيماً يرتجى لكل عظيم اغفر الذنب العظيم ، أقول كما قال

(١) : وكنتم خير أمة أخرجنا . (٢) الحديث أخرجه الزمذى فى صحيحه كتاب الصوم باب  
ما جاء فى ليلة النصف من شعبان . قال الزمذى : وسعت محمداً يضعف هذا الحديث . ورواه ابن ماجه  
فى سننه حديث رقم ١٣٨٩



داود عليه السلام أَعَفَّ وجهي بالتراب لسيدي وَحُقَّ له أن يسجد وجهي للذي خلقه وَشَقَّ سمعه وبصره . ثم رفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم ارزقني قلباً نقيّاً من الشرك لا كافراً ولا شقيّاً . ثم سجد وقال : أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من معاقبتك ، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . قالت : ثم انصرف ودخل معي في الحيلة ولى نفسٌ عالٍ فقال : ما هذا النفس يا حميراء ؟ قالت : فأخبرته فطفق يمسح يده على ركبتي ويقول : « ويح هاتين الركبتين ماذا لقيتا في هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ، إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا <sup>(١)</sup> فيغفر لعباده إلا لمشرك أو مشاحن » .

وفي رواية أخرى عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يا حميراء أما تدريين ما هذه الليلة ؟ هذه ليلة عتقاء من النار بملء شعر غنم كلب . قلت : يا نبي الله وما بال غنم كلب ؟ قال : ليس في العرب قوم أكثر غنماً منهم ، لا أقول فيهم ستة : مُدْمَن خمر ولا عاق والدبه ولا مصرّ على ربا أو زنا ولا مُصَارِم ولا [ مصوّر ] <sup>(٢)</sup> ولا قَتَات » .

وروى عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يطلع الله إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا لاثنتين : مشاحن وقاتل نفس <sup>(٣)</sup> » .

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلة النصف من شعبان يغفر الله لعباده إلا لمشرك أو مشاحن » .

قلت : والظاهر من <sup>(٤)</sup> المشاحن أنه الذي بينه وبين أخيه المسلم عداوة . وقد قال الأوزاعي : هو الذي في قلبه شحنة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يُسْح <sup>(٥)</sup> الله الخير في أربع ليالٍ سَحّاً : الأضحى والفطر وليلة النصف من شعبان تُنْسَخ فيها الآجال والأرزاق ويكتب فيها الحاج ، وفي ليلة <sup>(٦)</sup> عرفة إلى الأذان » .

(١) ت : إلى السماء الدنيا . (٢) ليست في ت . (٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ١٧٦/٢ .

(٤) ت : والظاهر أن المشاحن الذي بينه . (٥) يسح : يفيض . (٦) ت : وليلة عرفة .

وفي حديث عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : خمس ليالٍ لا يُردّ فيهن الدعاء . فذكر منهن ليلة النصف من شعبان .

وروى ابن كِرْدَوَس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحيا لياقي العيدين وليلة النصف من شعبان لم يمُت قلبه يوم تموت القلوب <sup>(١)</sup> » .

وعن عليّ أنه قال : « إذا كان ليلة النصف من شعبان قال الله تعالى : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من مسترزق فأرزقه ؟ حتى ينفجر الفجر . فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيام ليلتها وصيام نهارها » .

وقال حكيم بن كيسان : يطلع الله إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان فمن طهره في تلك الليلة زكاه إلى مثلها من قابل .

روى عن عكرمة في قوله تعالى : « فيها يُفرقُ كُلُّ أمرٍ حكيم <sup>(٢)</sup> » قال : في النصف من شعبان يدبر الله أمر السنة ويُنسخ الأحياء من الأموات ، ويكتب حاج بيت الله الحرام فلا يزيد فيهم أحدا ولا ينقص منهم أحدا .

واعلم أن الرواية بهذا عن عكرمة مضطربة ، فتارة يروى هكذا وتارة يروى أنها ليلة القدر كباقي المفسرين . وقد سبقت الأحاديث أن الآجال تكتب في شعبان ، فجاء أن يختص شعبان بما يتعلق بالآجال ويكون القدر العام في ليله القدر .

وقد رويت لهذه الليلة خمس صلوات ليس في أسانيدنا شيء صحيح ، ولا فيها ما يثبت ، فلذلك سكتنا عن ذكرها ، فإن الحديث إذا لم يصح كان وجوده كالعدم .

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط بدون : « وليلة النصف من شعبان » . مجمع الزوائد ١٩٨/٢

(٢) سورة الدخان ٤

### السلام على السمكة

سَهْمُ الْمَنَالِ (١) أَبَدًا صَائِبٌ      يَدْعُو إِلَيْهِ النَّاسُ مُسْتَعْرِضًا  
بَيْنَا الْفَتَى فِي عَيْشِهِ نَاعِمٌ      تَقْرُهُ الْأَيَّامُ حَتَّى قَفَى  
وَكُلُّ يَوْمٍ مَرًّا مِنْ عُمْرِهِ      يَحْدُوهُ لِلتَّرْحَالِ مُسْتَنْهَضًا  
وَالنَّفْسُ دَيْنَ الْمَوْتِ عِنْدَ الْوَرَى      وَدَيْنُهُ لَا بَدَّ أَنْ يَقْتَضَى  
يَا عَجَبًا مِنْ عَالَمٍ آمِنٍ      مِنْ غَدْرِهِ أَوْ سَيْفِهِ الْمُنْتَقَى  
أَيْنَ الَّذِينَ اسْتَبَقُوا لِلنَّهْيِ      وَاعْتَبَقُوا بِالشَّرْبِ الْارْتَقَى  
طَوَسَهُمُ الْأَجْدَاثُ فِي ضَيْقِهَا      وَعَادَ مِنْ يَهْوَاهُمْ مُقْرِصًا

أَيْنَ الْحَبِيبِ وَالْخَلِيلِ ؟ وَدَعَا ، أَيْنَ الرَّفِيقِ ؟ رَحَلَ عَنْكُمْ وَدَعَا ، أَتَقْبِي الْمَوْتَ لَكُمْ  
فِي الْحَيَاةِ مَطْمَعًا ؟ أَخَذَ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ مَعًا ، صَاحَ الْوَالِدَ وَالْوَلَدَ فَاسْرِعَا ، جُزِعْ عَلَى الْقُبُورِ  
تَرَى الْقَوْمَ خُسْعًا ، أَيْنَ الْفَهْمِ وَالتَّدْبِيرِ ، أَيْنَ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالتَّكْبِيرِ ، أَيْنَ مَنْ فَسَحَ لِنَفْسِهِ  
فِي الزَّلَلِ ، أَيْنَ مَنْ خَانَهَا بِقَبِيحِ الْعَمَلِ ، بَيْنَنَا هُوَ يَعْمُرُ فِي رِبَاعِهَا ، وَقَدْ اشْتَرَاهَا وَمَا بَاعَهَا ،  
يُخْفِرُ فِيهَا الْأَنْهَارَ ، وَيُفْرَسُ فِيهَا الْأَشْجَارُ ، وَالْمَالِكُ تَدُورُ حَوْلَ الدَّارِ [ وَالسَّرَّارِ بِحُسْنِهَا  
تَسْرَ ، وَتُخَوِّرُهَا قَدْ زَانَهَا الدَّرُّ ، وَالتُّخُوتُ تَمْلَأُ الصَّنَادِيقَ ، وَرُكْنُ الْعِزِّ فِي الدُّنْيَا وَثِيقٌ ،  
وَالْمَالُ يُجْمَعُ فَوْقَ الْمَالِ ، وَالْخَلِيلُ تَرْدِي فِي الْجِلَالِ ، وَالْمَرَاكِبُ مِنْ الْخَلَى تُصَاغُ ، وَقَدْ مُنَحَتْ  
الصِّحَّةُ إِلَى الْفَرَاغِ ، ثُمَّ سَاعَدَ سَاعِدَ الشَّبَابِ كَفَّ الْمَهْرَى عَلَى الْاسْتِلَابِ ، وَالْهُودُ قَدَرَتْ ثُمَّ عَادَ ،  
وَالْبَطْشُ فِي الْمَلِكِ بَطْشُ عَادَ ، وَقَدْ أَسْكُرَتْ مِنْ قَبْلِ شُرْبِ الْخَمْرِ لَذَّةُ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ ، صَاحَتْ  
بَيْنَ الْبَيْنِ أَغْرَبَةُ الْبَيْنِ ، فَزَوَّتِ الْعَيْنُ وَأَسْخَنَتِ الْعَيْنُ ، تَالَلَّهِ لَقَدْ اسْتَلَبَ صَاحِبُ الْقَصْرِ  
بِكُفِّ الْقَصْرِ ، فَصَارَ بِالْقَهْرِ أَحْدُوثةُ الدَّهْرِ ، وَلَقَدْ كَانَ عَلَى غَايَةِ الْمَنَى فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ ، فَوَاجِبَا  
لِجَنَةِ صَارَتْ كَالنَّصْرِيمِ بَعْدَ الزَّهْرِ (٢) ] .

(١) ت : سهم النية . (٢) ما بين القوسين ساقط من ت .

نُودِي بِصَوْتٍ أَيْمًا صَوْتِ مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَوْتِ  
كَأَنَّ أَهْلَ النَّعْيِ فِي غِيَّتِهِمْ قَدْ أَخَذُوا أَمْنًا مِنَ الْفَوْتِ  
كَمْ مُصْبِحَ يَعْمُرُ يَتَسَاءَلُهُ لَمْ يُمْسِ إِلَّا خَرِبَ الْبَيْتِ  
هَذَا وَكَمْ حَتَّى بَكَى مَيِّتًا فَأَصْبَحَ الْحَيُّ مَعَ اللَّيْتِ

\*\*\*

يامشغولا بما لديه عما بين يديه ، ياغا فلا عن الموت وقد دنا إليه ، ياساعيا إلى ما يضره  
بقدميه ، يا مختار المؤذي له من حالتيه ، بأمن الدهر وقد رأى صَرْفِيهِ ، كم عاينَ مَيِّتًا  
لو اعتبر بعينيه ، إنما أغار على شبابه هاجمٌ على قَوْدِيهِ ، أينفعه يوم الرحيل دمعٌ مِلاَ خديه ؟ يا من  
يصير عن قليل إلى حُفْرَةٍ ، تنبّه لنفسك من هذه السَّكْرَةِ ، لو أنك تذكَّرت لحدك كيف  
تَبَيَّتَ وحدك ، ويباشر الترابُ خَدَّكَ وتَقَسَّمَ الديدان جلدك ، ويضحك الحبُّ بَعْدَكَ  
ناسيًا عنه بَعْدَكَ ، والأهلُ قد وجدوا المَالَ وما وجدوا قَدَّكَ ، إلى متى وحتى متى تترك  
رُسْدَكَ ، أما تُحْسِنُ أَنْ تُحْسِنَ قَصْدَكَ ، الأمرُ مُجِدَّةٌ جِدًّا فالزم جِدَّكَ .

ذهب الأُحِبَّةُ بعد طُولِ تَوَدُّدٍ وَنَأَى الزَّارُ فأسلهوك وَأَقْسَمُوا  
خَذَلُوكَ أَفْقَرَ مَا تَكُونُ لُغْرَبَةٍ لَمْ يُونْسُوكَ وَكُرْبَةً لَمْ يَدْفَعُوا  
قَضَى الْقَضَاءَ وَصَرَّتْ صَاحِبُ حُفْرَةٍ عَنْكَ الْأُحِبَّةُ أَعْرَضُوا وَتَصَدَّعُوا

\*\*\*

إخواني : إنكم تَفْدُونَ وتروحون في آجالٍ قد غَيَّبَتْ عنكم ، لا تدرون متى تهجم  
عليكم ، فالوحا فالوحا فالطالب حَيْثُ .

يَجِدُّ بِنَا صَرْفُ الزَّمَانِ وَنَهْزَلُ وَنُوقِظُ بِالْأَحْدَاثِ فِيهِ وَنَنْقَلُ  
وَمَا النَّاسُ إِلَّا ظَاغِينٌ أَوْ مَوَدَّعٌ وَمُسْتَلَبٌ مُسْتَجَلٌّ أَوْ مُؤَجَّلُ  
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَنَازِلُ إِذَا مَا قَطَعْنَا مَنْزِلًا بَانَ مَنْزِلُ

فَنَالَهُ مُلْحٌ مَا يُفِيبُ جَمِيعَنَا إِذَا عَاشَ مِنَّا آخِرٌ مَاتَ أَوَّلُ  
وَكَمْ صَاحِبٍ لِي كُنْتُ أَكْرَهُ مُتَمَدِّدَهُ تَسْلَمُهُ مِنِّي الْفَنَاءُ الْمَجْجَلُ

اسمعوا عظة الزمان إن كنتم تسمعون وتأملوا تقلب الأحوال إن كنتم تبصرون .  
قال يحيى بن معاذ : لو سمع الخلائق صوت النياحة على الدينار من ألسنة الفناء لتساقطت  
القلوب منهم حزناً ، ولو رأت العقول بعين الإيمان نزهة الجنة لذابت النفوس شوقاً ،  
ولو أدركت القلوب كنهه المحبة لخالقتها لتخلعت مفاصلها ولها . فسبحان من أغفل الخليفة  
عن كنهه عين هذه الأشياء ، وألهام بالوصف عن حقائق هذه الأنبياء :

مَنْ نَالَ مِنْ جَوْهَرِ الْأَشْيَاءِ بُغِيَّتَهُ يَأْسَى وَيَحْقِرُ قَوْمًا حَظَّهُمْ عَرَضُ  
إِنِّي لَا أُعْجِبُ مِنْ قَوْمٍ يَشْفَهُمْ حُبُّ الزَّخَارِفِ لَا يَدْرُونَ مَا الْقَرَضُ  
أَلَا عَقُولٌ أَلَا أَحْلَامُ تَزْجُرُهُمْ بِلَى عَقُولٌ وَأَحْلَامٌ بِهَا مَرَضُ

إخواني : من أثر قناع القناعة حاطه من رداء الردى . ومتى ساعد الفقر ساعد  
الصبر قلعة القلعة الحرس فاستنارت طريق الهدى بتصباح اليقظة ، ومتى تاججت نيران  
الخوف<sup>(١)</sup> أحرقت مواطن الهوى وطردت عنه الدنيا :

تَزُودُ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ هَالِكٌ وَتَتْرِكُ لِلْأَعْدَاءِ مَا أَنْتَ مَالِكٌ  
وَوَسَّعَ طَرِيقًا أَنْتَ سَالِكُهُ غَدًا فَلَا بَدَّ مِنْ يَوْمٍ تَضِيقُ الْمَسَالِكُ

(١) ت : نيران الحزن

## الكلام على قوله تعالى حم والكتاب المبين

اختلف المفسرون في « حم » على قولين : أحدهما : أنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه . وهذا مذهب جماعة من المفسرين . والثاني : أنها معروفة المعنى . ثم لهؤلاء فيها قولان : أحدهما أنها حروف من أسماء . ولهؤلاء فيها ثلاثة أقوال : أحدها : أنها من الرحمن . قال ابن عباس : الر ، وح ، ون ، اسم الرحمن على الهجاء . والثاني : أن الحاء مفتاح اسمه حميد والميم مفتاح اسمه مجيد قاله أبو العالية . والثالث أن الحاء مفتاح كل اسم ابتدأه حاء مثل حكيم وحليم وحى . والميم مفتاح كل اسم ابتدأه ميم مثل ملك ومجيد . حكاه أبو سليمان الدمشقي .

والقول الثاني : أن معنى حم : قُضِيَ ما هو كائن . رواه أبو صالح عن ابن عباس كأنه يصير إلى حمّ الأمر .

قال المفسرون : حم قسم جوابه : « إنا أنزلناه » والهاء كناية عن الكتاب وهو القرآن . « في ليلة مباركة » وفيها قولان : أحدهما أنها ليلة القدر . قاله الأكثرون . والثاني : ليلة النصف من شعبان : وقد ذكرناه عن عكرمة . « إنا كنا مُنذِرِينَ » أي مخوفين عقابنا . « فيها يُفَرَّق » أي يُفصل « كل أمر حكيم » .



اجتهدوا الليلة في محو ذنوبكم واستغفثوا إلى مولاكم من عيوبكم ، هذه ليلة الإجابة فيها تُفَتَّح أبواب الإجابة ، أين اللأئذ بالجناب ، أين المتعرض<sup>(١)</sup> بالباب ، أين الباكي على ما جنى ، أين المستغفر لأمر قد دنا ، كم منقول في هذه الليلة من ديوان الأحياء مُثَبَّت في صُحُف أهل التلف والفنا ، فهو عن قريب يفجأ بالمات وهو مقيم على السيئات ، ألا ربَّ فرح بما يؤتى قد خرج اسمه مع الموتى ، ألا ربَّ غافل عن تدبير أمره قد انفصمت عرى

(١) ت : المتعرض .

عُمره ، ألا رب مُعْرَض عن سبيل رُشدِه قد آن أوانُ شَقِّ لَحْدِه ، ألا ربِّ رَافِلٍ في ثوب  
شبابِه قد أُرِفَ فراقِه لأحبابِه ، ألا رب مقيم على جهلِه قد قرب رجيلِه عن أهله ، ألا رب  
مُشغول بجمع ماله قد حانت خيبة آماله ، ألا رب ساعٍ في جمع حُطامِه قد دنا تشيت عِظامِه ،  
ألا رب مُجِدِّ في تحصيل لذاته قد آن خرابُ ذاته ، أين من كان مثلَ هذه الأيام في منازلِه  
يَذْسأ في طمأنينته إزعاجُ مُنَازِلِه ، مشغولا بشهواته مغرورا بهاجلِه ، أما أصاب مَقَاتِلَه سَهْمُ  
مُقاتِلِه ، أما ظهر خُصارِه عند حساب مُعامِلِه ، أين المعتذر مما جَنَاه قد اطلع عليه مولاه ، أين  
الباكي على تقصيره قبل تحسُّره في مَصيره ، يامطرودا مادري ، تعاتب ولا تفهم ماجري ،  
متى تُرَى على الباب ترى :

تعالوا كلَّ من حضرا لنطرق بابَه سَحْرَا  
ونبكي كلُّنا أسفاً على من بات قد هَجِرَا

روى عن كعب الأحبار رضى الله عنهما قال : إن أهل الجنة ليفرحون بدخول شهر  
رمضان من الحور والخزنة والولدان كما يفرح أهل النار من ذرية آدم بدخول الجنة إذا  
سكنوها ، وذلك أن الله عز وجل يبعث جبريل عليه السلام في ليلة النصف من شعبان  
فيقول : السلام عايكن أيُّها الجنان أنا جبريل الأمين رسول رب العالمين تزيّن وتجددى  
وازدادى نوراً وتلاثى وافتحى أبواب مقاصيرك المَرْجانية وحجالك المَبْقَرية التي  
بطائنها من إستبرق وحشوها أذْفَرِيَّات المسك ، وأخرجى متضمنات المخلوقات التي لم  
يطمئن إنس قبلهم ولا جان ، فإن الله عز وجل قد أعتق في ليلتك هذه عدد نجوم السماء  
وعدد أيام الدنيا ولياليها وعدد ورق الشجر وزنة الجبال وعدد الرمال <sup>(١)</sup> .



يا مضيماً اليومَ تضيعة أَمَس ، تيقظ ويحك قد قتلت النفس ، وتنبه للاستعداد فإلى  
كم نَحْس . واحفظ بقية العمر قد بعت الماضى بالبخص <sup>(٢)</sup>

(١) هذا من المبالغات التي لا ترجع إلى أصل صحيح (٢) ت : بوكس .

أَطْلُ جَفَوَةَ الدُّنْيَا وَتَهْوِينَ شَأْنَهَا      فَمَا الْعَاقِلُ الْمَغْرُورُ فِيهَا بِعَاقِلٍ  
يَرْجَى خُلُوداً مِمَّ شَرُّ ضَلَّ ضَلُّهُمْ      وَدُونَ الَّذِي يَرْجُونَ غَوْلُ الْغَوَائِلِ  
وَلَيْسَ الْأَمَانُ لِلْبَقَاءِ وَإِنْ مَضَتْ      بِهَا عَادَةٌ إِلَّا تَعَالِيلُ بَاطِلٍ  
وَمَا الْمَقْلُوتُونَ أَجْمَلُ الدَّهْرِ فِيهِمْ      بَأَكْثَرِ مَنْ فِي عِدَادِ الْحَبَائِلِ  
يُسَارُ بِنَا قَصْدَ الْمُنُونِ وَإِنَّا      لَنُسَعِفُ أحياناً بَطِيَّ الرَّاحِلِ  
غَفَلْنَا عَنِ الْأَيَّامِ أَطْوَلَ غَفْلَةً      وَمَا جُوبِهَا لِحَشْيٍ <sup>(١)</sup> مِنْهَا بِغَافِلٍ

\*\*\*

إِخْوَانِي حِبَالِ الْأَمَلِ رِثَاثٌ، وَسَاحِرُ الْهَوَى نَفَاثٌ، رَحَلَ الْأَقْرَانُ إِلَى ظِلَامِ الْأَجْدَاثِ،  
لِلَّهِ مَا صَنَعَتِ الْأَجْدَاثُ فِي الْأَحْدَاثِ . أَفْسَدَهُمْ بِلَاَهُمْ فَإِذَا هُمْ بِبِلَاِهِمْ إِلَى اللَّهِ وَعَاثُ  
بَاتُوا شِبَاعاً مِنَ الْأَمَلِ فَإِذَا هُمْ غِرَاثُ <sup>(٢)</sup> . وَبَانَ لَهُمْ أَنْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْهَوَى أَضْغَاثُ  
وَأَسْتَغَاثُوا بِالْخُلَاصِ وَقَدْ فَاتَ الْغِيَاثُ . عَجَبًا لَهُمْ مَا لَهُمْ صَيَّرَ النَّوَى مَا لَهُمْ فِي الْمِيرَاثِ . فَدَبَّرُوا  
أَنْتُمْ أَحْوَالَكُمْ فَعَدَّاءُ تَرُونَ أَمْوَالَكُمْ لِلْوَرَاثِ ، أَسْفَا لَأَجْسَامٍ ذَكَورٍ وَعَقُولٍ إِنَاثُ :  
أَكْبَرُ بَنُو الدُّنْيَا عَلَيْهَا وَإِنَّمَا      لَتَنْبَاهُهُمُ الْأَيَّامُ عَنْهَا لَوْ أَنْتَهُوْا  
مَضَى قَبْلُنَا قَدِمْ قُرُونٌ كَثِيرَةٌ      وَنَحْنُ وَشَيْكَا مَا سَنَمُضِي كَمَا مَضَوْا  
سَيَبْكُونُ حُزْنًا حَوْلَ قَبْرِكَ سَاعَةً      وَلَا يَبْرَحُونَ الْقَبْرَ إِلَّا وَقَدْ سَكَوْا  
رَأَيْتُ بَنِي الدُّنْيَا إِذَا مَا سَمَوْا بِهَا      هَوَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا عَلَى قَدَرٍ مَا سَمَوْا

\*\*\*

يَا مَنْ يَجُولُ فِي الْمَعَاصِي قَلْبُهُ وَهَمُّهُ ، يَا مُؤَثِّرُ الْهَوَى عَلَى التَّقَى لَقَدْ ضَاعَ حَزْمُهُ ، يَا مُعْتَقِدَا  
صِحَّتِهِ فِيمَا هُوَ سَقَمُهُ ، يَا مَنْ كَلَّمَا زَادَ عَمْرُهُ زَادَ إِثْمُهُ ، يَا طَوِيلَ الْأَمَلِ وَقَدَرَقَ عَظْمُهُ ،  
أَمَّا وَعَظْلُكَ الزَّمَانَ وَزَجْرُكَ مُلَمَّةً ، أَيْنَ الشَّبَابُ قُلْ لِي قَدْ بَانَ رَسْمُهُ ، أَيْنَ زَمَانُ الْمَرْحِ لَمْ يَبْقَ  
إِلَّا اسْمُهُ ، أَيْنَ اللَّذَّةُ ذَهَبَ الْمَطْمُومِ وَطَعْمُهُ ، كَيْفَ يَقَاوِي الْمَقَاوِي وَالْمَوْتُ خَصْمُهُ ، كَيْفَ

(١) ب ج : وما جوبها المحنى . (٢) الغرث : الجوعى .



خلاص من قد أغرق<sup>(١)</sup> فيه سَهْمَه ، يالْدِيع الأمل قد بالغ فيه سَمَه ، يا قليل العبر وقد رحل  
أبوه وأمه ، يا من سيجمعه اللحدُ عن قليل ويضمّه ، كيف يوعظ من لا يعظه عقله ولا فهمه ،  
كيف يُوقظ من نام قلبه لا عينه ولا جسمه .

إِذَا لَمْ تَكُنْ دُنْيَاكَ دَارَ إِقَامَةٍ	فَمَا لَكَ تَبَنِّيَهَا بِنَاءً مُقِيمٍ
وَمَا صَحَّ وَدَّ الْخَلِّ فِيهَا وَإِنَّمَا	يُعَرِّ بَوْدٍ فِي الْحَيَاةِ سَقِيمٍ
وَجَدْتُ بَنِي الْأَيَّامِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ	يَعْدُونَ فِيهَا شِقْوَةً كَنَعِيمٍ
تَزِيدُكَ فَقْرًا كُلَّمَا أَزْدَدْتَ ثَرَوَةً	فَتُفْلِقِي غَنِيًّا فِي ثِيَابٍ عَدِيمٍ

## المجلس السادس

### لاستفتاح شهر رمضان

الحمد لله اللطيف الرؤوف العظيم المَنَّان ، الكبير القدير القديم الديان ، الفنى العلى  
القوى السلطان ، الحليم الكريم الرحيم الرحمن ، الأول فالسَّبق لسَّبقه ، المنعم فما قام مخلوق  
بحقه ، الموالى بفضله على جميع خلقه بشرائف المنايح على توالى الزمان ، جلَّ عن شريك  
وولد ، وعزَّ عن الاحتياج إلى أحد ، وتقدَّس عن نظير وانفرد ، وعلم ما يكون وأوجد  
ما كان . أنشأ المخلوقات بحكمته وصنَّعها ، وفرَّق الأشياء بقدرته وجمعها ، ودحا الأرض على  
لناء وأوسعها « والسماء رفعها ووضع الميزان » .

سالت الجوامدُ هيبته ولانت ، وذات الصَّعاب لسطوته وهانت ، وإذا بطش « انشقت  
السماء فكانت ورْدَةً كالدهان » .

يُعزُّ ويذل ، ويفقر ويفنى ، ويُسعد ويُشقى ، ويبقى ويُفنى ، ويشين ويزين ، وينتقض  
ويبنى « كلَّ يومٍ هو فى شأن » .

قدَّر التقدير فلا رادَّ لحُكمه وعلم سِرَّ العبد وباطن عَزْمه « وما تحمَلُ من أثْقَى  
ولا تَضَعُ إلا بعلمه » ، ولا ينتقل قدم من مكان .

مدَّ الأرض فأوسعها بقدرته ، وأجرى فيها أنهارها بصنْعتِه ، وصبَّغ ألوان نباتها بحكمته ،  
فمن يقدر على صبِّغ تلك الألوان . ثبَّتْها بالجلال الرواسى فى نواحيها ، وأرسل السحاب بمياه  
تُخَيِّبها ، وقضى بالفناء على جميع ساكنيها « كلُّ مَنْ عليها فان » .

من خدَمه طامعا فى فضله نال ، ومن لجأ إليه فى رَفَع كربه زال ، ومن عامله أربحه  
وقد قال : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » .

إلهٌ يُذِيب عِبَادَه ويعاقب ، ويهب الفضائل ويمنح المناقب ، فالقوز للمتى والعزُّ للمراقب

« ولمن خاف مقامَ ربه جَنَّتَانِ » .

أنعم على الأمة بتمام إحسانه، وعاد عليها بفضلِه وامتنانه، وجعل شهرها هذا مخصوصا بعميم غفرانه « شهرُ رمضان الذي أنزل فيه القرآن » .

أحمدُه على ما خصَّنَّا به فيه من الصيام والقيام ، وأشكره على بلوغ الآمال وسُبُوغ الإنعام ، وأشهد أنه الذي لا تحيط به العقول والأذهان ، وأن محمدا أفضل خلقه وبريَّته ، المَقْدَم على الأنبياء ببقاء معجزته ، الذي انشق ليلة ولادته الإيوان ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى أبي بكر الصديق رفيقه في الغار ، وعلى عمر فتَّاح الأمصار ، وعلى شهيد الدار عثمان ، وعلى عليٍّ كاشف غمِّه سيد الشجعان <sup>(١)</sup> ، وعلى عمه العباس المطهر من الأرجاس ، الذي دُعِيَ به فسال من السحاب تهتَّان .

\*\*\*

قال الله عز وجل : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » <sup>(٢)</sup> .

إنما سمِّي الشهر شهراً لشهرته في دخوله وخروجه . قاله النحاس . وأما أسماء الشهور فذكر أبو منصور الأزهري عن المفضل قال : كانت العرب في الجاهلية تقول لرمضان ناتق ، ولشوال وعِل ، وللمحرم مؤتمر ، ولصفر ناجر ، ولربيع الأول خُوَّان ، ولربيع الآخر بُصَّان ، ولجمادى الأولى رُبَى <sup>(٣)</sup> ، ولجمادى الآخر حَنِين ، ولرجب الأصم ، ولشعبان عاذل . قال : وكانت عاد تسمى هذه الأشهر بهذا فلما نقلت العرب أسماء هذه الأشهر سموها بما وقعت فيه من الزمان <sup>(٤)</sup> . قال ثعلب : سمِّي رمضان لأن الإبل ترُمض فيه من الحرِّ ، وسمي شوال لأن الألبان كانت تشُول فيه أي تذهب وتقل . وسمي ذو القعدة لأنهم كانوا يقعدون فيه . وذو الحجة لأنهم كانوا يحجُّون فيه . والمحرم لتحريم القتال فيه . وصفر لأنهم

(١) ت : وعلى علي سيد الأبرار . (٢) سورة البقرة ١٨٥ .

(٣) الذي في المخصص لابن سيده ٤٣/٩ : والحنين : جمادى الأولى .. وربى جمادى الآخرة ويسمى أيضا ملجان .

(٤) وانظر في أسماء الشهور العربية أيضا : مروج الذهب ٢٤٨/١ ، ونهاية الأرب ١٥٧/١ والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢٧٢/١ .

كانوا يطلبون القطر فيه ، يقال صَفِرَ السَّقَاءُ إِذَا خَلَا . وربيع لأنهم كانوا يربعون فيهما .  
وَجُمَادَى لِأَن الْمَاءَ يَجْمَدُ فِيهِمَا . ورجب من التعظيم يقال رَجَبُهُ يَرْجَبُهُ إِذَا عَظَّمَهُ . وقال سَمَرُ :  
ومنه سَمَى رَجَب . وشعبان لأنهم يتفرقون ويتشعبون فيه . وقال قُطْرَب : سَمَى صَفْرًا لِأَنَّهُمْ  
كانوا يخرجون إلى بلاد تسمى الصفريّة يمتارون منها .

وقد أحدثت العرب لأسماء شهور الأعاجم أسماء . فنقلت من خط أبي بكر بن الأنباري  
في كتاب قد صنعه أبو محمد الصُّبْحِيُّ قال : لَقَّبَتِ الْعَرَبُ شَهْرَ الْعَجَمِ بِالْقَابِ غَيْرَ مَا سَمَّيَاهُ  
العجم : تشرين الأول أحد وثلاثون يوما والعرب تسميه مُطْلَقًا ، والثاني ثلاثون يوما  
واسمه عند العرب طَلِيق ، وتسمى التَّشْرِينُ الْقَصَائِينَ لَفَشَوِ الْمَوْتِ فِيهِمَا وَكَثْرَةِ مَيِّمَاتِ ،  
وكانون أحد وثلاثون يوما واسمه عند العرب مجدح ، وكانون الآخر اسمه عند العرب  
حديج وتسميهما أيضا شَيْبَان وَمَلْحَانِ لِلتَّلَجِّ وَبَيَاضِهِ وَشِدَّةِ الْبَرْدِ قَالَ الْكُمَيْتُ :

وَأَصْبَحَتْ الْآفَاقُ حُمْرًا جُنُوبَهَا بِشَيْبَانٍ أَوْ مَلْحَانٍ فَالْيَوْمَ أَشْيَبُ<sup>(١)</sup>

ويقال لها أيضا الهزار لشدة البرد . وشباط تسعة وعشرون يوما واسمه عند العرب فَرِيح ،  
وآذار أحد وثلاثون يوما واسمه عند العرب مَسْهَل . ونيسان ثلاثون يوما واسمه عندهم  
صَحَّان ، وحزيران ثلاثون يوما واسمه عندهم واقد ، وتموز أحد وثلاثون يوما واسمه عندهم  
ضرام ، وأيلول ثلاثون يوما واسمه عندهم طلق .

\*\*\*

قوله تعالى : « الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ » فيه أربعة أقوال : أحدها : أنه أنزل القرآن  
في شهر رمضان إلى السماء الدنيا جملة واحدة . وروى عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل  
القرآن في رمضان ليلة القدر إلى بيت العزة من سماء الدنيا جملة واحدة ثم أنزل نجوما .

(١) رواية البيت في اللسان مادة ( ملح ) :

إِذَا امْسَتْ الْآفَاقُ حُمْرًا جُنُوبَهَا لِشَيْبَانٍ أَوْ مَلْحَانٍ وَالْيَوْمَ أَشْهَبُ

والثاني : أنزل القرآن بقرض صيامه . قاله مجاهد والضحاك .

والثالث : أنزل في فضله القرآن . قاله سفيان بن عيينة .

والرابع : ابتدئ فيه بإزال القرآن . قاله ابن إسحاق وأبو سليمان الدمشقي .

قوله تعالى : « هُدًى للناس » أى بياناً لهم . والبيّنات : الآيات الواضحات .

والفرقان : الفرق في الدين بين الضلالة والشبهة .

أخبرنا أبو القاسم بن الحصين بسنده عن نافع بن أويس أن أباه حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسُلت الشياطين » <sup>(١)</sup> .

وقد روينا أيضاً عالياً عن أبي سهيل نافع بن مالك فذكره . وقال : فتحت أبواب الجنة . أخرجه في الصحيحين <sup>(٢)</sup> . ونافع يكنى أبا سهيل وهو من تابع التابعين ، والزهرى من التابعين فقد روى الزهرى عن هو دونه ، فهو يخرج في رواية الأكبر عن الأصغر . وقد روى جماعة من الصحابة عن التابعين فروى ابن عمر وابن عمرو وابن الزبير وأنس وأبو هريرة كلهم عن كعب . وقد روى جماعة عن أولادهم ، فروى أبو بكر الصديق عن عائشة حديثين ، وروى العباس عن ابنه الفضل حديثاً وعن ابنه عبد الله حديثاً وروى سليمان التيمي عن ابنه المعتمر حديثين ، وروى أبو بكر ابن عيَّاش عن ابنه إبراهيم حديثاً وروى أبو داود السجستاني <sup>(٣)</sup> عن ابنه حديثين ، في خلق يطول ذكرهم .

أخبرنا أبو منصور القزاز بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليس بتارك أحد من المسلمين صبيحة أول يوم من رمضان إلا غفر له » <sup>(٤)</sup>

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/٢٨١ ، ٤٠١ . (طالعية) .

(٢) صحيح البخارى كتاب الصوم الباب الخامس . وصحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١ - ٥ .

(٣) الأصل : السخيتاني . محرفة .

(٤) أورده السيوطى في اللائى المصنوعة ١/١٠١ وقال : لا يصح ، سلام متروك وزيد كذاب والعجيب أن ابن الجوزى نفسه هو الذى حكم على هذا الحديث بالوضع في كتابه الموضوعات ، إذ أن كتاب السيوطى اختصاره .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدَت الشياطين ومردة الجن وغلَّت أبواب  
جهنم فلا يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنان فلم يفلق منها باب وينادى مناد : يا باغي  
الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر والله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة <sup>(١)</sup> » .  
أخبرنا عبد الأول بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه » .  
أخرجاه في الصحيحين .

وقد أخرجاه من حديث يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة ولفظه : « من قام رمضان  
إيماناً واحتساباً <sup>(٢)</sup> » .

أخبرنا أبو نصر أحمد بن منصور الهنائي بسنده عن علي بن أبي طالب قال :  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استهلَّ شهرُ رمضان استقبل القبلة بوجهه ثم قال :  
اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والعافية والحملة والرزق الحسن ودِّفاع  
الأسقام والعون على الصلاة والصيام وتلاوة القرآن ، اللهم سلِّمنا لرمضان وسلِّمنا من  
يقضي وقد غفرت لنا ورَحِّمتنا وعفوت عنا . ثم يُقبل على الناس بوجهه فيقول : يا أيها  
الناس إنه إذا استهلَّ شهر رمضان فُتِّحت أبواب السماء وأبواب الرحمة وأبواب الجنان ،  
وغلَّت أبواب النار وسُلِّست الشياطين وكان لله عز وجل عند كل فطر عتقاء من النار  
ونادى منادٍ كلَّ ليلة : اللهم أعطِ كلَّ مُمسِك تَلَقَّاً وأعطِ كلَّ مُنْفِق خَلَقاً . فإذا استهلَّ  
هلال شوال نودي المؤمنون أن اغدوا إلى جوائزكم . وأقلُّ ما يجازى به الرجل أن  
يُكتب له ألف ألف حسنة ويُمحي عنه ألف ألف سيئة .

(١) أخرجه الترمذى في صحيحه كتاب الصوم حديث رقم ١

(٢) صحيح البخارى كتاب الصوم باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً . وصحيح مسلم كتاب صلاة  
المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان حديث رقم ١٧٣ .

أخبرنا محمد بن منصور بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله عز وجل إلى خلقه وإذا نظر الله إلى عبد  
لم يعدّ به أبداً ، والله في كل ليلة ألف ألف عتيق من النار <sup>(١)</sup> » .

قال أبو عمرو : فشككت في شيء من هذا الحديث فكتبته من الحسن بن يزيد ،  
وكنت سمعته أنا والحسن بن عبد الله بن الحكيم ، حدثنا القاسم بن الحكم العرني ،  
عن الضحّاك ، عن ابن عباس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن الجنة لتتجدّد  
وترين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان . فإذا كانت أول ليلة من شهر رمضان  
هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة فتصقّق ورق أشجار الجنات وحلق المصاريع  
فيُسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه ، فيُشرقن الحور العين حتى يقفن على  
شجر الجنة فينادين : هل من خاطب إلى الله عز وجل فيزوجّه ؟ ثم يقفن : يارضوان ماهذه  
الليلة ؟ فيجيبهن بالتلبية ثم يقول : يا خيرات حسان هذه أول ليلة من شهر رمضان فتفتح  
فيها أبواب الجنات للصائمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويقول الله عز وجل يارضوان  
افتح أبواب الجنان يامالك أغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة محمد صلى الله عليه  
وسلم ، يا جبريل اهبط إلى الأرض فصفّد مرّدة الشياطين وغّاهم في الأغلال ثم اقذف بهم  
في لجج البحار حتى لا يفسدوا على أمة حبيبي صيامهم . قال : ثم يقول الله عز وجل في كل  
ليلة من شهر رمضان ثلاث مرّات : هل من سائل فأعطيه سُؤلَه . هل من تائب فأتوب  
عليه : هل من مستغفر فأغفر له ؟ من يقرض المليّ غير المُعَدَّم الوفيّ غير الظلّوم .

قال : والله عز وجل في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من  
النار ، فإذا كان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعتق في كل ساعة ألف ألف عتيق من النار كلهم  
قد استوجب العذاب ، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق الله عز وجل في ذلك اليوم

---

(١) أورده في الآليّ المصنوعة ١٠١/٢ وقال : موضوع فيه مجاميل

بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره ، فإذا كانت ليلة القدر يأمر الله عز وجل جبريل فيهبط في كُتُكبة من الملائكة معه لواء أخضر فيركز اللواء على ظهر الكعبة وله ستمائة جناح منها جناحان لا ينشرها إلا في ليلة القدر فينشرها تلك الليلة فيجاوزان المشرق والمغرب قال : ويث جبريلُ الملائكة في هذه الأمة فيسلُّون على كل قائم وقاعد ومصلٍّ وذاكر ، فيصالحونهم ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر فإذا طلع الفجر نادى جبريل : يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل . فيقولون : يا جبريل ما صنع الله في حوائج المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : إن الله عز وجل نظر إليهم في هذه الليلة فغفر لهم إلا أربعة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهؤلاء الأربعة مُدْمَن خمر ، وعاق لوالديه ، وقاطع رحم ومشاحن . قيل : يا رسول الله وما المشاحن ؟ قال : هو المصارم . فإذا كانت ليلة الفطر سميت ليلة الجائزة ، فإذا كان غداة الفطر يبعث الله تعالى الملائكة في كل بلد فيهبطون إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع من خلق الله إلا الجن والإنس فيقولون : يا أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يغفر الذنوب العظيم . فإذا برزوا في مُصَلَّاهم يقول الله تعالى : يا ملائكتي ما جزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ فتقول الملائكة : إلها وسيدنا جزاؤه أن توفيه أجره . فيقول الله تعالى : أشهدكم يا ملائكتي أني قد جعلت ثوابهم في صيامهم شهر رمضان وقيامهم رَضًا ومغفرتي . فيقول الله عز وجل : سلوني فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم شيئاً في جفمكم هذا لا آخرتكم إلا أعطيتكموه ولا الدنيا إلا نظرت لكم ، وعزتي لأسترنَّ عليكم عثراتكم ما راقبتموني ، وعزتي لا أخزبكم ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود أو الجلود . شكَّ أبو عمرو . انصرفوا مغفورا لكم قد أرضيتموني ورضيت عنكم . قال : فتفرح الملائكة ويستبشرون بما يعطى الله عز وجل هذه الأمة إذا أظفروا <sup>(١)</sup> .

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت أمتي خمسَ

(١) أورد نحوه السيوطي في الآلية المصنوعة ٩٨/٢ عن ابن حبان وقال : لا يصح . وأخرج نحوه المهيمن في مجمع الزوائد ١٤١/٣ - ١٤٢ عن أبي يعلى والطبراني ، وفيه ضعف .



خصال في شهر رمضان لم تُعطَهن أمةٌ قبلهن : خُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يُفطروا ، ويزين الله كلَّ يومٍ جَنَّتَه ثم يقول : يوشك عبادي الصالحون يُلقوا عنهم المؤنة أو الأذى ويصيروا إليك . وتُصفدُ مردةُ الشياطين فلا يَخْلصون إلى ما كانوا يَخْلصون إليه في غيره ، ويُغفر لهم في آخر ليلة . قيل : يا رسول الله أهى ليلةُ القدر؟ قال : لا ولكن العامل يوفى أجره إذا قضى عمله <sup>(١)</sup> .

وعن ابن عباس وعائشة قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل شهرُ رمضان أطلق كلَّ أسير وأعطى كل سائل .

وذكر أبو جعفر بن أبي شيبه في كتاب العرش عن كعب قال : قال الله تعالى : يا موسى ابن عمران إني أمر حمة العرش أن يُمسكوا عن العبادة إذا دخل شهر رمضان وأن يقولوا كلما دعا صائم رمضان : آمين . فإني آليت على نفسي أن لأردَّ دعوة صائم رمضان .

### الكلام على البسملة

مَنْ نَالَهُ دَاءٌ دَوِّ بِذَنْوَبِهِ فليأت في رمضان بابَ طيبِهِ  
فخلُوف هذا الصوم باقوم اعلموا أشهى من المسك السَّحِيق وطيبِهِ  
أو ليس هذا القولُ قولَ مَلِيكِكُمْ الصومُ لى وأنا الذى أجزى به  
أين من كان معكم في رمضان الماضى ؟ أما أفنته آفات المنون القواضى ، أين من  
كان يتردد إلى المساجد في الظلم ؟ سافر عن داره منذ زمان ولم ، أين من صبر على مشقة  
الجوع والظما ، غاب فما آبَ ومعنى فها ، أين الذين ارتفعت أصواتهم بالأدعية خرجت تلك  
الجواهر من تلك الأوعية ، أين من جمع مالا ووفرا ، وأغلق من ظَفَره بالمراد ظُفرا ،

(١) أخرجه الامام أحمد والبخاري وفيه همام بن زياد أبو المقدم وهو ضعيف .

ومشى إلى أغراضه <sup>(١)</sup> جَزَا <sup>(٢)</sup> وطَفَرَا ، أما أخرج الموت كَفَّهُ صَفَرًا ؟ أما أعاد دياره بالخراب قَفَرًا ؟ كانت تلاحظه عيونُ الأجداث خَزَرًا <sup>(٣)</sup> وتَلَمَّحه وهو في لذاته شَزَرًا ، فنقلته وهو أثقل بالوزر أَزَرًا ، ثم طال عذابه وإنما نال نَزَرًا ، وأوطأته بَجَرًا لا يشبه جمرا فبان في أسره أذلُّ الأسرى <sup>(٤)</sup> .

سَلِ الأيامَ ما فعلتُ بكِسرَى      وقِصِرَ والقصورَ وساكنيها  
أما استدعيتُهم للموت طُرًّا      فلم تدعِ الحليمَ ولا السَّفيها  
دنتْ نحو الدَّيِّ بِسَهمِ خَطْبٍ      فأصمَّتْ <sup>(٥)</sup> وواجهتِ الوجيها  
أما لو بيعت الدنيا بفلس      أنفتُ لعاقِل أن يشتريها

\*\*\*

إخواني : تفكروا لماذا خلقتُم فالتفكر عبادة ، وامثلوا أمرَ الإله فقد أمرَ عباده ، والتفتوا عن أسباب الشقاء إلى أسباب السعادة ، واعلموا أنكم في نقصٍ من الأعمار لافى زيادة .

آه لنفسي أقبلت على العدوِّ وقَبِلْتُ ، وبادرت ما يؤذيها من الخطايا وعَجِلْتُ ، من لها إذا نُوقِشت على أفعالها وسُئِلَتْ ، وَقَرَّرْتُ بقبايحها يوم الحشر فحَجِلْتُ ، وقِيدْتُ بقيود الندم على التفريط وكُبِّلْتُ ، وشاهدت يومَ الجزاء قُبْحَ ما كانت عملت ، وسُلَّ عليها سيفُ العتاب يومَ الحساب فَقُتِلْتُ .

\*\*\*

أيها الغافل عن فضيلة هذا الشهر اعرف زمانك ، يا كثير الحديث فيما يؤذى احفظ لسانك ، يا مسئولاً عن أعماله اعقل شانك ، يامتلوئنا بالزلل اغسل بالتوبة ما شانك ، يا مكتوباً عليه كلُّ قبيح تصفِّح ديوانك .

(١) ت : على إعراضه . (٢) الجز : المشى السري . (٣) الجزر : النظر بلحظ العين .  
(٤) ت : أذل من كسرى . (٥) أصمته : قتلته . يقال : أصمى الصيد : إذا رماه فقتله مكانه .

أَقْلَلْ كَلَامَكَ واحترز من شرِّه    إنَّ البلاءَ يبعضه مقرونُ  
وَكُلْ فؤادَكَ باللسانِ وقلْ له    إنَّ الكلامَ عليكما موزونُ  
فزيَّناه فليكنْ مُحْكَمًا في قِلَّةٍ    إنَّ البلاغةَ في القليلِ تكونُ

يا من أكثر عمره قد مضى ، يا من نفسه مع اللحظات مُتَقَتِّضِي ، يا من قد أُنْذِرُهُ  
سَلْبَ القَرِينِ مُعْرِضًا ، كيف يحترس العربيان من سيفٍ مُتَقَتِّضِي ، إن كان ما فرط يوجب  
السخط فاطلب في هذا الشهر الرِّضَا ، يا كثير القبائح غداً تنطق الجوارح ، أين الدموع .  
السوافح على تلك القبائح ، يا ذا الداء الشديد الفاضح ، ما أعسر مرض الجوارح ، هذا  
الشيْب دليلٌ واضح ، وهو في المعنى عَدُوْلٌ ناصح ، جائحته لا تُشَبِّه الجوارح ، يُضَفِّضُ  
الأركان الصَّحائِح ، يَسُدُّ أبوابَ اللّهُو والمَآزِح <sup>(١)</sup> ، والموتُ في خِلَالِه مُبِينٌ لأمح ، أين زادك  
بأيها الرائح ، أين ما حصَّلت هل أنت رايح ، يا أسفى لهذا النازح ، كيف حاله في الضَّرائِح ،  
من له إذا أوثقه الذابح ، من له إذا قام النائح ، واستوى لديه العائب والملاح ، ولم ينفعه  
في بطون الصَّفائِح إلا عملٌ إن كان له صالح ، أتراه يمتقد أن النصيح مازح ، ضاعت  
للمواعظ إلا أن الموعوظ سَكِرَ أن طافح .

\*\*\*

يا من قد سارت بالمعاصي أخباره ، يا من قد قَبِحَ إعلانه وإسراره ، يا فقيرا من الهدى  
أهلكه إعساره ، أتؤثر الخسران قل لي أو تختاره ؟ يا كثير الذنوب وقد دنا إحضاره ،  
يا أسيرا في حبس الطرد لا ينفعه إحضاره <sup>(٢)</sup> ، قدَّكَ بهرج إذا حُكَّ مِيعاره ، كم رُدَّ  
على مثلك درهمه وديناره ، يا مُحْتَرَقًا بنار الحِرْص حتى متى تنجو ناره ، للذكرون بينكم  
قد أصبحوا كالشمار ، وأنتم قد جعلتم المواعظ مثل الأسمار ، وكأن القرآن عندكم صوتٌ مزمار ،  
وقد ضاعت في هذه الأمور الأعمار ، فأين يكون لهذا الفرس إعمار :

مَقَى زَمَانِي وَتَقَفَّى اللَّدى    فليتنى وَقَّتْ هذا الزَّمَيْنِ

أَرْزَمَتِ النَّارُ وَعَارَضَتْهَا فَلْيَعْجَبِ السَّامِعُ لِلْمُرْزَمِينَ<sup>(١)</sup>  
لَيْتَ دُمُوعِي بِمَنْى سُبُكْتُ لِيَشْرَبَ الْحُجَّاجُ مِنْ زَمْزَمِينَ

الكلام على قوله تعالى

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ »

كتب : بمعنى فُرِضَ . أخبرنا أبو بكر بن حبيب ، أنبأنا أبو سعيد بن أبي صادق ،  
أخبرنا أبو عبد الله بن باكوية ، قال سمعت حسان بن أحمد الهاشمي يقول . سأل المأمون  
عليّ بن موسى الرضا : أى شئ فائدة الصوم في الحكمة ؟ فقال : عِلِمَ الله ما ينال الفقير من  
شدة الجوع فأدخل على الغنى الصوم ليزوق طعم الجوع ضرورة حتى لا ينسى الفقير من  
[ شدة<sup>(٢)</sup> ] الجوع . فقال المأمون : أقسم بالله لا كتبتُ هذا إلا بيدي !

والصوم آداب يجمعها : حفظ الجوارح الظاهرة وحراسة الخواطر الباطنة ، فينبغي أن  
يُتَلَقَّى رمضان بتوبة صادقة وعزيمة موافقة . وينبغي تقديم النية وهي لازمة في كل ليلة ،  
ولا بد من ملازمة الصمت عن الكلام الفاحش والغيبة فإنه ما صام من ظلاً يأكل لحوم  
الناس ، وكفُّ البصر عن النظر إلى الحرام ، ويلزم الحذر من تكرار النظر  
إلى الحلال .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » .  
انفرد بإخراجه البخاري<sup>(٣)</sup> .

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر »<sup>(٤)</sup> .

(١) أرزمت : صوت . يقال : أرزم الرعد : اشتد صوته أو صوت غير شديد والناقة : حنت على ولدها .

(٢) من ت . (٣) صحيح البخاري ٢٤٧/٤ ( ط الأميرية ) .

(٤) صحيح البخاري ٤٥٤/١ ( ط الأميرية ) وصحيح مسلم كتاب الصوم حديث رقم ٤٨ .

وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله عز وجل :  
« إن أحبَّ عبادى إلىَّ أعجلهم فِطراً » .

وفي حديث سليمان بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا أفطر أحدكم  
فليُفطر على تمر فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه له طهور » .

وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا قُرَّب إلى أحدكم طعامه  
وهو صائم فليقل : بسم الله والحمد لله اللهم لك صُمتُ وعلى رزقك أفطرت وعليك توكلت ،  
سبحانك اللهم وبحمدك إنك أنت السميع العليم » .

ويستحب السحور وتأخيرهُ .

وفي الصحيحين من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تسحَّروا  
فإن في السحور بركة » .

وينبغي للصائم أن يشاغل طول نهاره بالدُّكْرِ والتلاوة وكان الشافعى رضى الله  
عنه يحنم في رمضان ستين ختمة .

أخبرنا الكُروخى بسنده عن الزُّهرى قال : تسبيحة في رمضان خير من ألف  
تسبيحة في غيره .

حقُّ شهر الصيام شيْتان إن كنه ت من الموجبين حقَّ الصيام  
تقطع الصوم في نهارك بالدُّكْرِ ر وتُفنى ظلامهُ بالقيام

أخبرنا أبو القاسم الجريرى بسنده عن عمر بن الخطاب قال : سمعت رسول الله صلى  
الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ذاكر الله عز وجل في رمضان مغفور له وسائل الله  
عز وجل فيه لا ينجب <sup>(١)</sup> » .

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه هلال بن عبد الرحمن وهو ضعيف . يجمع الزوائد ١٤٣/٣ .

وعن قيس الجهنى قال : إن كل يوم يصومه العبد من رمضان يحىء يوم القيامة في عمامة من نور في تلك العمامة قصر من دُرٍّ له سبعون ألف باب كل باب ياقوتة حمراء<sup>(١)</sup> ؟ ويستحب للصائم أن يفطر الصوَّام إذا أمكنه .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن زيد بن خالد الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من فطر صائماً كان له أو كُتِبَ له مثل أجر الصائم من غير أن ينقص من أجر الصائم شيئاً ، ومن جهَّز غازياً في سبيل الله كان له أو كُتِبَ له مثل أجر الغازي في سبيل الله غير أنه لا ينقص من أجر الغازي شيئاً<sup>(٢)</sup> » .



فبادروا إخواني شهركم بأفعال الخير ، وأفردوها عن الخطايا لتكون وحدها لا غير ، واعلموا أن شهركم هذا شهر إتمام ومير<sup>(٣)</sup> ، تعرف حرمة الملائكة والجن والطيور ، وأهلاً وأوقات من زواهر ما أشرفها ، ولساعات التي كالجواهر ما أظرفها ، أشرقت لياليها بصلاة التروايح ، وأنارت أيامها بالصلاة والتسبيح ، حليت بها الإخلاص والصدق ، وثمرتها الخلاص والعِتق .

تَبَقَّظْ يا غافل وانهض بيدارك ، فإلك لأهلك وأنت ضيفٌ بدارك ، واستدرك قديمك وأصلح بالتقى حديثك ، وامنع لسانك اللغو واجمل الذكر حديثك ، وصحِّح بمجانبة الهوى إيمانك ويقينك ، وتدرَّع كلماتي هذه في حرب الغرور بيقينك<sup>(٤)</sup> ، إلى متى في حب البطالة منكش ، وبلذات الكسل جَذْلان دَهِش ، وإذا فات الهوى بَتَّ من الحزن ترتش أما رأيت ذامالٍ وأملٍ لم يَعِشْ ، أما شظك الموتُ عن رخفٍ قد نُقِشْ ، أما تعلم أنك للهوت في القبر تفتش ، أما تحذر يوماً لا تجد الماء من العطش ، عجباً لموقنٍ بالقيامة لم يجع ولم يعطش .

(١) هذا مما تريد فيه الرواة بغير علم ، وحسبنا ما ثبت في الصحيح من فضل الصيام .

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه كتاب الصوم . (٣) المير : جلب الزاد .

(٤) يقينك : يحفظك .

كان أصحاب أبو هريرة يمتكفون في رمضان ويقولون : نُطَهِّرُ صِيَامَنَا .  
واعتكف أبو محمد الجريري في الحرم سنة لم يمدَّ رجله ولم يضطجع ، قيل له : كيف  
قدرت على هذا ؟ فقال : عَلِمَ صِدْقُ بَاطِنِي فَأَعَانَنِي عَلَى ظَاهِرِي .

\*\*\*

إخواني : هذا شهر التيقُّظ ، هذا أوان التحفُّظ ، إخواني بين أيديكم سفر ، والأعمارُ  
فيها قصَر ، وكلَّكم والله على خطر ، كونوا على خوف من القدر ، واعرفوا قدر من قدر ،  
وتذكروا كيف عصيتم وسرَّ ، وآيم الله لو قمتم على البصر ، وسجدتم سُكْرًا على الإبر  
ما وفيتكم بشكر نعيمٍ محترق ، أما طوى القبيح والجميل نشر ، أما بعضُ نعمه السمع والبصر .  
إخواني : أن الرحيلُ وما عندكم خير ، إلى كم توعظون ولا تتعظون ، وتوقظون  
ولا تتيقظون ، وتُتعبون الناصح ولا تقبلون ، ويكفي في البيان رؤية الأقران يرحلون  
« أَفَسِحَرْتُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ » . أَكَلَّفْتُمْ مَا لَا تَطِيقُونَ ، أَكَلَّفْتُمْ بِمَا لَا تَفْهَمُونَ ، مَا لَكُمْ  
عَنْ مَا لَكُمْ مُعْرَضُونَ ، مَا هَذَا الْفَتور وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ ، مَا هَذَا الرِّقَادُ وَأَنْتُمْ مُنْتَبِهُونَ :

أَقْصَى الدَّهْرِ مِنْ فِطْرِ وَصَوْمٍ وَأَخْذُ بُلْفَةٍ <sup>(١)</sup> يَوْمًا يَوْمٍ .  
وَأَعْلَمُ أَنْ غَايَتِي الْمَنَآيَا فَصَبْرًا تِلْكَ غَايَةُ كُلِّ قَوْمٍ .  
فَإِنْ تَقِفِ الْخَوَاطِثَ دُونَ نَفْسِي فَمَا يَتَرَكُنِ الْإِشْمَامِي وَرَوْمِي <sup>(٢)</sup>

كم مؤمل إدراك شهرٍ ما أدركه ، فاجأه الموتُ بفتةٍ فأهلكه ، كم ناظر إلى يوم  
صومه بعين الأمل طمسها باللمات كَفُّ الأجل ، كم طامع أن يلقاه بين أترابه ألقاه الموت  
في عُقْرِ تَرَابِهِ .

(١) البلفة : ما يبلغ به من الزاد .

(٢) الإشماء في الحروف : إذا قُطِعَتْ الضمة أو الكسرة بحيث لا تسمع ولا يعتد بها ولا تكسر وزنا . والروم  
في الحروف : حركة مختلفة مختلفة وهي أكثر من الإشماء لأنها تسمع .  
وهذا من مظاهر تأثر الشعر العباسي بالمصطلحات العلمية .

استغفر الله بقلبٍ مُنيب      يعلم أن الموت منه قريب  
 مأخوذٌ مالٍ حرباً يشتكى      وعادمُ الدين الأخيذُ الحَرِيبُ<sup>(١)</sup>  
 والإنس جنسٌ كلُّهُ ظالم      والمنصفُ العادلُ فيهم غريبٌ  
 والعيشُ محبوبٌ أُنَّاكَ الأذى      منه فواهاً للبغيض الحبيبُ  
 اصْبِرْ إذا العامُ سَطَا جَدْبُهُ      فظالماً جاءك عامٌ خَصِيبُ  
 خاطبت أرقوماً فلم يسمعوا      فهل تشبهت بهم يا خطيبُ  
 تفسل كفيك من الزم أَلَا      فاغسل فاك من لفظك حتى يطيبُ

\*\*\*

أيها المجتهد هذا ربيعُ جدِّك ، أيها الطالب هذه أوقات رِفْدِكَ ، تيقِّظُ أيها الغافل من  
 سِنَةِ البطالة ، تحفِّظُ أيها الجاهل من شُبِّهِ الضلالة ، اغتنم سلامتك في شهرِكَ قبل أن تُرْتَهِنَ  
 في قبرِكَ ، قبل انقراض مدنتك وعدمِ عُدَّتِكَ وإزماعِ فَوْتِكَ وانقطاع صوتِكَ ، وعشور  
 قدَمِكَ وظهورِ ندمِكَ ، فإن العمر ساعات تذهب وأوقات تُنْهَبُ . وكلها معدود عليك  
 والموت يَدْنُو كُلَّ لحظةٍ إليك .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري بسنده عن محمد بن علي الحرابي قال سمعتُ أحمد  
 ابن المغاس قال سمعتُ سَريّاً السَّقَطِيّ يقول: السَّنَةُ شجرة ، والشهور فروعها والأيام أغصانها  
 والساعات أوراقها وأنفاس العباد ثمرتها ، فشهر رجب أيام تَوْرِيقِها ، وشعبان أيام  
 تَقَرُّبِها ، ورمضان أيام قُطْفِها ، والمؤمنون قُطَّافُها . هذه الأشهر الثلاث المعظَّمة كالجرات  
 الثلاث ، فرجب كأولِ جَمْرَةٍ تَحْمَى بها العزائم ، وشعبان كالثانية تَدُوبُ فيها مياه العيون ،  
 ورمضان كالثالثة تُورِقُ فيها أشجارُ المجاهدات ، وأى شجرة لم تُورِقْ في الربيع قُطعت  
 للحطب ! فيامن قد ذهبت عنه هذه الأشهر وما تغيرَ أحسن الله عزاءك !

\*\*\*

(١) الحرب : السلب ، حربه حرباً كطلبه طلباً : سلب ماله ، فهو محروب وحريب .



إخواني : إنما شرع الصوم ليقع التثقل ، فأما من أوثق الرِّزمة <sup>(١)</sup> فإله نية في البيع ، إذا استوفيت العشاء تكدر الليل بالنوم ، وإذا استوفيت السُّحور تحبَّط النهار بالكسل ، وإنما شرع السُّحور ليتقوى التثقل من العشاء ولينتبه الغافل ، وما أرى رمضان إلا زادك شيباً وغفلة .

واعجبوا لو عرض عليك أن تشرب شربة ماء في رمضان لما شربت ولو ضربت ، وأنت فيه تعش في البيع وتطفف في الميزان ، فإذا خرج شربت الحجر في شوال ، أما كان الناهي عن هذا هو الناهي عن ذاك « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » .

تالله لو قيل لأهل القبور تمنوا لتمنوا يوماً من رمضان ، إلى متى أنت في ثياب البطر ، أما تعلم مصير الصَّوَر ، عجباً لك تؤمن وتأمين الغير . أما ينفعك ما ترى من العبر ، أصمَّ السمع أم غشى البصر ، تالله إنك لعلی خطر ، آن الرحيل ودنا السفر ، وعند المات يأتيك الخبر . كلما خرجت من ذنوب دخلت في آخر ، يا قایل الصفا إلى كم هذا الكدر ، أنت في رمضان كما كنت في صفر ، إذا خسرت في هذا الشهر فتي تَرْجَح ، وإذا لم تسافر فيه نحو الفوائد فتي تَبْرَح ، يامن إذا تاب نقض ، يامن إذا عاهد غدر ، يامن إذا قل كذب ، كم سترناك على معصية ، كم غطيناك على مخزبة .

يا عامراً ما يَقْطُنْ	يا هالِكاً ما يَفْطُنْ
يا ساكن الحُجرات ما	لك غير قَبْرِكَ مَسْكُنْ
أَحْدَثْ لربك توبةً	وسيلها لك مُمَكِّنْ
فكان شخصك لم يكنْ	في الناس ساعة تُدْفِنْ
وكان أهلك قد بكَوْا	سِراً عليك وأعلنوا
فإذا مضت بك ليلةٌ	فكانهم لم يَحْزَنُوا
الناس في غفلاتهم	ورحى النية تطعنْ

(١) الرزمة بالمعكسر : ما شد في ثوب واحد . قال في شفاء الغليل ص ١٠٨ : والعاملة تضمه ، وهو من قولهم : رازم بين الطعامين ، إذا ضم أحدهما إلى الآخر .

مادون دائرة الردى حصن لمن يتحصن  
مالى رأيتك تطمئن م إلى الحياة وتركن  
وجعت ما لا ينبغي وبنيت مالا تسكن  
وسلكت فيما أنت فى الدنيا به متيقن  
أظننت أن حوادث الأيام لا تمكّن

\*\*\*

## المجلس السابع لا تتصاف شهر رمضان

الحمد لله الأحديّ الذات، العليّ الصفات الجليّ الآيات الوفيّ العِدّات ، رافع السموات وسامع الأصوات، عالم الخفيّات ومحبيّ الأموات، تنزه عن الآلات وتقدّس عن الكيفيّات، وتعظّم عن مشابهة المخلوقات ، جلّ عن الآباء والأمهات والبنات، ثبّت الأرض بالأطواد الراسيات، وأحيّاها بعد موتها بالشّعب الماطرات ، فإذا أرخت عزّاليها <sup>(١)</sup> ضحك باخضراره النبات، وقالت للبتدعات بالنس الإشارات : « اعلّموا أن الله يُحيي الأرض بعد موتها قد بيّنا لكم الآيات <sup>(٢)</sup> » .

إذا بسط بساط العدل تزلزلت أقدامُ أهل الثّبات ، وإذا نشر رداء الفضل غمر الذنوب المويّقات ، « يقبل العوبة عن عِبّاده ويَعفو عن السيئات <sup>(٣)</sup> » .

حَتّى بحياة تنزهت عن طاريق المات ، عالم بعلم واحد جميعَ للمعلومات ، قادر بقدره واحدة على جميع المقدورات ، أراد فلانت لهيبته صوابُ المرادات ، وسمع فلم يعزّب عن سمعه خفيّ الأصوات ، وأبصر سوادَ العين في أشد الظّلمات ، استوى على العرش لا كاستواء المخلوقات ، وينزل إلى سماء الدنيا مروىّ بنقل عن الثقات ، ويراہ المؤمنون في الجنة بالعيون الناظرات ، نصّفه بالنقل المبين بصحته سقيم الشبهات ، من غير تكيف في الأوصاف ولا تشبيه في الذوات ، فهل علينا ملام أم هو طريق النجاة ، أحده على جميع الحالات حمداً يدوم بدوام الأوقات ، وأقرّ بوحديّته كافراً باللات ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالأدلة الواضحات ، صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبه أبي بكر أتناهض يوم الرّدة على أقدام الثّبات ، القائم بنصر الإسلام وقد قعد أهلُ العزمات ، القاتل : أقاتلهم ولو لم أجد غير البنات ، وعلى عمر العادل في القضيّات ، كان إذا مشى فرّق الشيطانُ من تلك الخطوات ، وعلى عثمان التهجّد بالقرآن

(١) الغزالي : جمع عزلاء وهو مصب الماء من الراوية ، والمراد : السحب الماطرة .

(٢) سورة الحديد ١٧ . (٣) سورة الثوري ٢٥ .

في الظلمات، الصابر على الشهادة بأيدي العداة، وعلى عليّ ذى المناقب العاليات، الخصوص بأخوة الرسول دون ذوى القربات، وعلى عمه العباس الذى بالسؤال به سالت عزالى السحب الماطرات.

أيها الناس : إن شهركم هذا قد انتصف ، فهل فيكم من قهر نفسه وانتصف ، وهل فيكم من قام فيه بما عرف ، وهل تشوّقت هممكم إلى نيل الشرف ، أيها المحسن فيما مضى منه دُم ، وأيها السيء وبّخ نفسك على التفريط ولُم ، إذا خسرت في هذا الشهر متى ترجح ، وإذا لم تسافر فيه نحو القوائد فمتى تَبْرَح . كان قتادة يقول : كان يقال من لم يُغفر له في رمضان فلن يُغفر له !

أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر البزار بسنده عن سلمة بن وردان قال : سمعت أنس ابن مالك يقول : ارتقى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فقال : آمين ثم ارتقى ثانية فقال آمين . ثم استوى عليه فقال آمين . فقال أصحابه : علام أمنت يا رسول الله ؟ فقال : أتاني جبريل فقال : يا محمد رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يَصِلْ عَلَيْكَ . قلت : آمين . ثم قال : رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَدْخُلْهُ الْجَنَّةَ . قلت : آمين . ثم قال : رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ . قلت : آمين <sup>(١)</sup> .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بسنده عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا رمضان قد جاء ، تفتح فيه أبواب الجنات وتغلق فيه أبواب النار وتقل فيه الشياطين بعد امرؤ أدرك رمضان لم يغفر له ، إذا لم يغفر له فمتى؟! » <sup>(٢)</sup> .

وبالإسناد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ .

إذا الروضُ أَمسى مُجْدِباً في ربيعِهِ ففى أَيِّ حِينٍ يَسْتَنيرُ وَيُخْصِبُ

(١) أخرجه أحمد مسنده ٢/ ٢٥٤ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط وفيه الفضل بن عيسى الرقاشى وهو ضعيف . جمع الزوائد ٣/ ١٤٣ .

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أمتي لن يخرزوا أبدا ما أقاموا شهر رمضان . فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله وما خِرْزِيهم ؟ قال : من إضاعتهم شهر رمضان بانتهاك الحرام ، فمن عمل سوءا أوزنى أو سرق فلن يُقبل منه شهر رمضان ، ولعنه الله عز وجل والملائكة إلى مثلها من الخول فإن مات قبل شهر رمضان فليستبشر بالنار ، فاتقوا شهر رمضان فإن الحسنات تضاعف فيه وكذلك السيئات <sup>(١)</sup> » .

عباد الله إن شهركم هذا لا قيمة له ولا يمكن استدراك ما ضاع <sup>(٢)</sup> بالتفريط .  
أخبرنا محمد بن عبد الباقي بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أفطر يوماً من رمضان من غير مرض ولا رخصة لم يقض عنه صيام الدهر كله وإن صامه <sup>(٣)</sup> » .  
قال يحيى بن معين : أبو المطوس اسمه عبد الله بن المطوس ثقة .  
وذكر أبو بكر الأجرسي في كتاب النصيحة أن مذهب إبراهيم النخعي أن من شرب الخمر في رمضان كان عليه صوم ثلاثة آلاف يوم .

قال : وقال سعيد بن المسيب : عليه صوم شهر متتابع . وقال الربيع ابن أبي ربيعة ابن عبد الرحمن : عليه صيام اثني عشر يوماً ، لأن الله أوجب صيام شهر من اثني عشر شهر .  
أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله ، يقول الله عز وجل : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع طعامه وشهوته من أجلي ، وللصائم

---

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، وفيه عيسى بن سليمان أبو طيبة ، ضعفه ابن معين ، ولم يكن فيمن يعتمد الكذب وإن كنهه نسب إلى الوم .

(٢) ت : ما فات .

(٣) أخرجه البخاري : ويذكر عن أبي هريرة رفعه : كتاب الصوم . صحيح البخاري ٢٥١/١ ( ط الأميرية ) . وأخرجه الترمذي في صحيحه كتاب الصوم ثم قال : حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه وسمعت محمد يقول : أبو المطوس - أحد رواة الحديث - اسمه يزيد ابن المطوس ، ولا أعرف له غير هذا الحديث . صحيح الترمذي ١٣٩/١ ( ط الأميرية ) .

فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخُلُوفٍ فيه أطيّبُ عند الله من ريح المسك .  
الصوم جَنَّةٌ .  
أُخرجاه في الصحيحين <sup>(١)</sup> .

\*\*\*

عباد الله : فرحة الحسِّ عند الإفطار تناول الطعام ، وفرحة الإيمان بالتوفيق لإتمام الصيام .  
يا هذا قدّم دستور الحساب قبل الغروب فإن وجدت خللاً فأزقعه برقعة استغفار ،  
فإذا جاء السحر فاعقد عقد الزُّهد في الدنيا عند نية الصوم ، وتجرّع جرعة دمة في إناء  
ركعة لملك تطلّع على خبايا خفايا ما أعد للصائمين من مستور « فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم  
من قُرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » <sup>(٢)</sup> .

### السلام على البسمه

قل للمؤمِّل إن الموت في أثركَ وليس يخفى عليك الأمر من نظركَ  
فيمين مَضَى لك إن فكَّرْتَ مُعْتَبَرٌ ومن يَمُتْ كلَّ يوم فهو من نُذْرِكَ  
دارٌ تسافرُ عنها من غدٍ سفرًا فلا تؤوب إذا سافرت من سفرِكَ  
نُضْحِي غداً سَمراً للذاكرين كما كان الذين مضوا بالأمس من سَمركَ

\*\*\*

يا مضيع الزمان فيما ينقص الإيمان ، ما أراك في رمضان إلا كجمادى وشعبان ،  
أما يشوقك إلى الخير ما يشوق ، أما يعوقك عن الضير ما يعوق ، متى تصير ساجداً  
يا مسبوق ، إلى متى سَوَقَ الشَّوق إلى سَوَقِ الفسوق ، أول الهوى سهل ثم تنحرق  
الخروق ، كلما حصد نباته بمنجل الصبر أخرجت العروق ، وإن لذيد شربه فشربه شَجَى

(١) صحيح البخارى ٢٤٦/١ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الصوم حديث رقم ١٦٣ - ١٦٤  
(ط الحلبي) . (٢) سورة السجدة ١٧ .

في الخلق ، وإنما لذات الدنيا كخطف البروق ، مَيِّز بين ما يفنى وما يبقى ترَ الفروق ،  
خَلَّ التوائى إن شئت أن تفوق ، عليك حافظٌ وضابطٌ ، ليس بناسٍ ولا غالط ، يكتب  
الكلمات السواقط ، وأنت في ليل الحدث خابط ، تتعرض في الصباح والمساء للمساخط ،  
يامن قد شاب إلى كم تغالط ، لا بد لليل من فجر منير كاشط ، كيف ينهض للعب واللهو  
الأشامط <sup>(١)</sup> ، ماذا بقى وهذا الشيبُ واخط ، أما تستحى وأنت في الإثم وارط ، ياقاعدًا  
عند التقي وهو في الهوى ناشط ، كلما رُفِعت لم تُردِّ إلا المهابط ، تيقظ لنفسك قد مضى  
الفارط ، وابك على ذنبك ويكفى الفارط ، أصالح ما بقى واقبل من الوسائط ، جاهد  
هواك في الدنيا فالقخر للمرابط ، انظر لمن تعاشر واعرف لمن تخالط ، احذر جزاء القسطن  
عليك يا قاسط ، لا تقتر بالسلامة فر بما قبض الباسط ، في لنا بالشروط ونحن نفي بالشرائط ،  
ذكر نفسك بالموت ذاك الشديد الضاغط ، إذا تحيرت في الأمور وزال الجأش الرابط ،  
لا تنفع الأقارب ولا تدفع الأراهمط ، ونفس النفس يخرج من سمِّ إبرة خائط .

\*\*\*

باع قومٌ جاريةً قبيل رمضان ، فلما حصلت عند المشتري قال لها هيئي لنا ما يصلح  
للصوم . فقالت لقد كنت قبلكم لقوم كل زمامهم رمضان !  
لله در أقوام تفكروا فأبصروا ، ولاحت لهم الغاية فما قصرُوا ، وجعلوا الليل رَوْح  
قلوبهم والصيام غذاء أبدانهم ، والصدق عادة ألسنتهم والموت نُصْب أعينهم .  
كتب رجل إلى داود الطائي : عِظْنِي . فكتب إليه : أما بعد فاجعل الدنيا كيومِ صُمتِه  
عن شهوتك واجعل فطرك الموت فكان قد صرت إليه . فكتب إليه : زدني . فكتب إليه :  
أما بعد فارضَ من الدنيا باليسير مع سلامة دينك كما رضى أقوامٌ بالكثير مع ذهاب  
دينهم . والسلام <sup>(٢)</sup> .

كان داود الطائي قد ورث من أبيه عشرين دينارًا فأنفقها في عشرين سنة . وكان

(١) الأشامط : جمع الأشمط وهو : الأشيب .

(٢) أورده ابن الجوزي أيضا في ذم الهوى ص ٦٦٩ .

جالسا في داره فإذا وقع سقفتُ تقدّم إلى موضع آخر إلى أن بقي دهليز الدار فبات فيه ،  
وتحت رأسه كَبِنَةٌ فدخل عليه ابن السماك فقال : اليوم ترى ثواب ما كنت تعمل !  
ورآه بعض أصحابه في المنام فقال له : أوصني . فقال : داوِ قُروحَ باطنك بالجوع  
واقطع مفاوِز الدنيا بالأحزان ، وآثر حُبَّ الله على هواك ولا تبالِ متى تلقاه .

\*\*\*

طوبى لبعدي بالبع في حذاره ، واحتفر بكفِّ فِكْرِهِ قَبْرَهُ قبل احتفاره ، وانتهب زمانه  
بأيدي بداره ، وأعذر في الأمر قبل شَيْب عِذاره ، ولم يرض في زاده بتقليله واختصاره ،  
ورأى عَيْب الهوى فلم يَصْطَلِ بناره ، ودافع الشهواتِ وصاير المكاره ، إنْ بحث عنه  
رأيته صائم نهاره ، وإنْ سألت عن ليله قفائم أسحاره ، وإنْ تلمّخته فالزفير في إصعاده  
والدمع في انحداره ، ولا يتناول من الدنيا إلا قَدْرَ اضطراره ، باعها فاشترى بها ما يبقى  
باختياره ، هل فيكم متشبه بهذا أو على نجاره ؟

ياحسبته ومصاييح النجوم تزهر والناس قد ناموا وهو في الخير يسهر ، غسل وجهه  
من ماء عينه وعَيْنَ العَيْنِ أطهر ، فلما قضى وَرْدَ الدُّجَى جالس يتفكّر ، فخطر على قلبه  
كيف يموت وكيف يُقْبَر ، وتصور صحائفه كيف تُطَوَّى وكيف تُنْشَر ، فهم قلبه في  
بَوَادِي القلق وتحير ، فطلق الدنيا ثلاثا وهل يُستوطن مَعْبَر .

طوى مُدَّة من دهره دار زخرفٍ إلى أبدٍ ذى سُندسٍ وحريرٍ  
ألا تلکم الدارُ التي حلَّ أهلُها بناءً عن الخطبِ المخوفِ شَطِيرٍ<sup>(١)</sup>  
لهم ما اشتَهَوْا فيها مَسْوَقًا إليهم مَقُودًا إذا شاءوا بغير جَرِيرٍ



## الكلام على قوله تعالى :

« شهرُ رمضان الذي أنزل فيه القرآن »

إخواني : استذكروا باقى الشهر فإنه أشرف أوقات الدهر ، واحصروا النفوسَ عن هواها بالقهر ، وقد سمعتم بالخُور العين فاهتموا بالمهر .

أخبرنا أبو منصور القزاز بسنده عن ثابت ، عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أفضلُ الصدقة صدقةُ رمضان <sup>(١)</sup> » .

عباد الله : اعلّموا أن النصف الأخير أفضل من الأول ، لأن فيه العشر وليلة القدر ، والأعمال تُصاعف بشرف وقتها ومكانها .

قد بلغ الشهرُ إلى نصفه وليس عني الشهرُ بالراضي

ظلمت صومَ الشهر في حقه يا ويلتا إن عدلَ القاضي

أترى صحَّ لك صوم يوم ، أترى تسلم في شهرك من لوم ، أترى لفيك خلوق أم فيك خلاق <sup>(٢)</sup> ، من فطر صائماً فله أجر صائم ، فاجتهد أن تصوم رمضان ستين يوماً .

أيها الراقدُ عن نهْزته <sup>(٣)</sup> ما يروع السيفُ حتى يُشهِرا

وأبي المجدِّ لقد فاز به سالك فيه الطريقَ الاوعرا

\*\*\*

إنما أنت ضيف أصبحت في مترك ، وما في يدك ودعة عندك ، وبوشك الضيف أن يرتحل والودعة أن تُردَّ . ابكِ على نفسك أيامَ الحياة بكاءً من ودَّع الدنيا :

قد كشف الدهر عن يقيني قناعَ شكِّي في كل نبيٍّ

لا بد من أن يحلَّ موتٌ عُقدةَ نفسي من كل حيٍّ

متى تتبع أوصافَ الإنصاف ، إلى متى ترَضع أخلاف <sup>(٤)</sup> الخِلاف ، أبْقِظك الدهر

(١) أخرجه سليم الرازي في جزئه عن أنس . الجامع الصغير حديث رقم ١٢٦٥ . (طبعي الدين) .

(٢) الخلاق : النصيب الوافر من الخير . (٣) النهزة : الفرمة .

(٤) الأخلاف : جمع خالف وهو حلة ضرع الناقة .

وأرشدك الوعظ فهيمت ، وحدّثك الموتُ فما فهيمت ، ألب<sup>(١)</sup> حبُّ الدنيا بلبك ، وأقلبَ هواها مستقيمَ قلبك ، كم نوقظ عقلك سنةً بعد سنة . وهو لا يزداد إلا رقاداً وسنةً ، كم نرعى هدفَ سمك برشق كلام لم يلدغ أصلَ قلبك بحبه ملام :

عينُ المنية يَقْظِي غيرَ مُطْرِقَةٍ وطَرْفُ مَطْلُوبِهَا مُذْكَانٌ وَسَنَانٌ  
جهلاً تَمَكَّنَ مِنْهُ حِينَ مَوْلَاهُ وَالنُّطْقُ صَاحٍ وَلُبُّ الْمَرْءِ سَكَرَانٌ  
لَقِيَ رَاهِبٌ رَاهِبًا فَقَالَ : أَتَرْضَى حَالَتِكَ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا لِلْمَوْتِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ :  
فَهَلْ عَزِمْتَ عَلَى تَوْبَةٍ مِنْ غَيْرِ تَسْوِيفٍ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَهَلْ تَعْلَمُ دَارًا تَعْمَلُ فِيهَا سِوَى  
هَذِهِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَهَلْ لِلإِنْسَانِ نَفْسَانٌ إِذَا مَاتَتْ وَاحِدَةٌ عَمِلَ بِالْأُخْرَى ؟ قَالَ : لَا .  
قَالَ : فَهَلْ تَأْمَنُ هَجُومَ الْمَوْتِ عَلَى حَالَتِكَ هَذِهِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَمَا أَقَامَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ عَاقِلًا !  
صَعِدَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُنْبِرُ فَقَالَ : إِنْ كُنْتُمْ عَلَى يَقِينٍ فَأَنْتُمْ حَقِّقُونَ ، وَإِنْ كُنْتُمْ فِي  
شَكٍّ فَأَنْتُمْ هَلَكُونَ . ثُمَّ نَزَلَ

وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مَتَغِيرٌ اللَّوْنُ فَقَالَ : مَا بَكَ ؟ قَالَ : أَمْرَاضٌ وَأَعْلَالٌ . قَالَ : لَتَصْدُقَنِي  
قَالَ : ذُقْتُ حَلَاوَةَ الدُّنْيَا مُرًّا

وَهَبْنِي كَتَمْتُ الْحَقَّ إِذْ قُلْتُ غَيْرَهُ أَتُخْفَى عَلَى أَهْلِ الْعُقُولِ السَّرَائِرُ  
أَيَا ذَاكَ إِنْ السَّرَّ فِي الْوَجْهِ نَاطِقٌ وَإِنْ ضَمِيرُ الْقَلْبِ فِي الْعَيْنِ ظَاهِرٌ

\*\*\*

قَالَ صَالِحُ الْمُرِّي : كَانَ عَطَاءُ السُّلَمِيِّ قَدْ اجْتَهَدَ حَتَّى انْقَطَعَ قَلْبُهُ لَهُ يَوْمًا : إِنْ مَكْرَمَتِكَ  
بِكْرَامَةٍ فَلَا تَرُدُّ كِرَامَتِي . فَبَعَثْتُ إِلَيْهِ شَرْبَةً مِنْ سَوِيقٍ مَعَ وَلَدِي وَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْرَحْ حَتَّى  
يَشْرِبَهَا . فَنَجَّاهُ فَقَالَ قَدْ شَرِبَهَا . فَبَعَثْتُ لَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِثْلَهَا فَنَجَّاهُ فَقَالَ مَاشَرَبَهَا . فَأَتَيْتُ  
إِلَيْهِ فَلَمَعَتْهُ وَقُلْتُ : رَدَدْتَ عَلَيَّ كِرَامَتِي وَهَذَا يَقْوَيْكَ عَلَى الْعِبَادَةِ . فَقَالَ : يَا أَبَا بَشَرٍ لَقَدْ  
شَرِبْتُهَا فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَاجْتَهَدْتُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَلَمْ أَقْدِرْ ، كَمَا هَمَمْتُ بِشَرِبِهَا ذَكَرْتُ قَوْلَهُ  
تَعَالَى : « وَطَعَلَامًا ذَا غُصَّةٍ » قَالَ : قُلْتُ أَنَا فِي وَادٍ وَأَنْتَ فِي وَادٍ !

أَطَلَّتْ وَعِنْفَتْنِي يَا عَدُولُ بُلَيْتَ فَدَعْنِي حَدِيثِي طَوِيلُ

هَوَاىَ هَوَاىَ بَاطِنٌ ظَاهِرٌ قَدِيمٌ حَدِيثٌ لَطِيفٌ جَلِيلٌ  
أَلَا مَا لَنَا اللَّيْلَ لَا يَنْقُضِي كَذَا لَيْلٌ كُلٌّ حُبٌّ طَوِيلٌ  
أَيَّتْ أَسَاهِرَ نَجْمَ الدُّجَى إِلَى الصَّبْحِ وَحْدَى وَدُمَى يَسِيلُ

\*\*\*

لله دَرَّةُ تلك القلوب الطاهرة ، أنوارها في ظلام الدجى ظاهرة ، رفضت حلية الدنيا  
وإن كانت فاخرة ، كم تركت شهوةً وهى عليها قادرة ، باتت عيونها والناس نياماً ساهرة ،  
زفريات الخوف تثير سحاب الأجنان الماطرة ، يندبون على الذنوب وإن كانت نادرة ،  
كم يبتك ويبتكهم يابائع الآخرة ، شيب وعيب أمثال سائرة ، أمل مع هرم هذه نادرة ،  
كم أقوام أمّلوا هذا الشهر نخب الأمل ، أين هم خلّوا في الألحاد بالعمل ، تالله إن نسيان  
النقل في العقل خلل ، أما يكفي زجر المقيم بمن رحل :

كُلُّ حَيٍّ قُصَّارَاهُ الْأَجَلُ لَيْسَ لِلْخَلْقِ بِذَا الْمَوْتِ قَبْلُ  
نُوبٌ قُلْنَا لَعَادٍ قَبْلُنَا أَنْ مِنْ ذَاتِ الْعَادِ الْمُرْتَحِلِ  
وَاسْتَوَى مِنْ ذَلِكَ الشَّرْبُ الَّذِي صَارَ عَلًّا لِسَوَامٍ وَنَهْلِ  
أَلْبَسَتْ نَاسًا سَوَامٍ حَلِيمٍ ثُمَّ بَزَّتْهُ فَرَاخُوا بِالْمَعْلَنِ  
فَكَانَ الدَّهْرَ لَمْ يَجْمَعْ لَهُمْ رَغَدَ الْعَيْشِ وَإِعْزَازَ الدُّوَلِ  
فَاسْأَلِ الْإِيوَانَ عَنْ أَرْبَابِهِ كَيْفَ حَلَّتْ بِهِمْ تِلْكَ الرَّحْلِ  
فَقَلَّتْهُمْ عَنْ فِضَاءٍ وَاسِعٍ يَسْرَحُ الطَّرْفُ بِهِ حَتَّى يَمَلَّ  
نَحْنُ أَعْرَاضُ خُطُوبٍ إِنْ رَمَتْ عَادَتِ الْأُدْرَاعُ لَيْنًا كَالْخُلَلِ  
وَإِذَا مَا اخْتَلَفَتْ أَسْهُمُهَا فَأَصَابَتْ بَطْلَ الْقَوْمِ بَطْلُ

يامن عمره قد وهى في سلك الهوى فهو مُتَهَفَات ، متى تستدرك في هذه البقية بالتقية  
الفائت ، متى يشبع النوم فجتمع الهموم الشتات ، أيها المريض البالي وما يبالي بوصف  
ناعت ، إلى متى أنت بالعيوب إلى علام الغيوب مُتَمَاقِت ، متعرض صباحا للساخط ومساء

للمآت ، وتعمل بالأغراض في الإعراض عمل العفارت . يامتكلما في ضره فأما في نفعه  
فساكت ، كلما نقص أجله زاد أمله وهذا متفاوت ، أما رأيت المنايا تحصد المني في المنآب ،  
كم مُقْتَمَّتْه رجع القهقري إلى حزنٍ باكت ، كأنك بالموت إذ ثوى قد فزَّع الثواب ،  
ونزل بك إذ نزل بك إلى حيرة باهت ، يا جاهلا قد غرَّ لقد سرَّ بفعلك الشامت :

كأنك بالضي إلى سبيلك	وقد جدَّ المجهز في رحيلك
وجيء بفاسيل فاستعجلوه	بقولهم له افرغ من غسيلك
ولم تحمل سوى خرق وقطن	إليهم من كثيرك أو قليلك
وقد مدَّ الرجال إليك نَفْسًا	فانت عليه مُمتدًا بطولك
وصلوا ثم إنهم تداعوا	نحملك في بُكورك أو أصيلك
فلما أسلكوك نزلت قبراً	ومن لك بالسلامة في نُزولك
أعانك يوم تدخله رحيم	رءوف بالعباد على دخولك
فسوف تجاور الموتى طويلا	فدعني من قصيرك أو طويلك
أخى إني نصحتك فاستمع لي	وبالله استغنت على قبُولك
ألست ترى المنايا كل يوم	تُصيبك في أخيك وفي خذيلك

\*\*\*

إخواني : هذه أيام تُصَان ، هي كالتاج على رأس الزمان ، وصل توقيعُ القِدَم من  
الرحيم الرحمن « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » .  
ياله من وقت عظيم الشأن تجب حراسته مما إذا حلَّ شأن ، كأنكم به قد رحل وبان  
ووجه الصُّلح ما بان « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » .  
من اللازم فيه أن تُحرس العينان ، ومن الواجب أن يحفظ اللسان ، ومن المتعين أن  
تُمنع من الخطي في الخطا انقدمان « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » .  
زِنُوا أفعالكم في هذا الشهر بميزان ، واشتروا خلاصكم بما عزَّ وهان ، فإن مجزتم

فَسَلُّوا المِيعِينَ وَقَدْ أَعَانَ « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ » .  
قد ذهب نصف البضاعة في التفریط والإضاعة ، والتسوييف يَمَحِقُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ ،  
والشمس والقمر بحسبان . « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ » .  
ياواقفا في مقام التحيُّر هل أنت على عَزَمِ التَغْيَرِ ؟ إلى متى ترضى بالنزول في منزل  
المهوان . هل مضى من يومك يومٌ صالحٌ سَلِمْتَ فِيهِ مِنْ جَرَائِمِ الْقَبَائِحِ ، تَاللَّهِ لَقَدْ سَبَقَ انْتِقَى  
الرابح وأنت راضٍ بالخسران . عينك مُطْلَقَةٌ فِي الْحَرَامِ ، ولسانك منبسط في الآثام ،  
ولأقدامك على الذنوب إقدام ، والكلُّ مُثْبِتٌ فِي الدِّيَوَانِ . قلبك غائب في صلواتك  
وفكرك ينقضى في شهواتك ، فإن ركنَ إليك معاملٌ في معاملتك دخلت به خانَ من خان  
أكثر كلامك لغو وهذر ، والوقت بالتفريط شذر مذر ، وإن اغتبت مسلما لم تُبْقَ ولم  
تذر ، الأمان منك الأمان . تَاللَّهِ لَوْ حَقَلْتَ حَالُكَ أَوْ ذَكَرْتَ ارْتِحَالَكَ أَوْ تَصَوَّرْتَ أَعْمَالَكَ  
لَبَنَيْتَ بَيْتَ الْأَحْزَانِ . سيشهد رمضان عليك بنطق لسانك ونظر عينيك ، وسيشار يوم  
الجمع إليك شَمْعِي فلان وسعد فلان . في كل لحظة تُقَرَّبُ من قبرك ، فانظر لنفسك في تدبير  
أمرك ، وما أراك إلا كأول شهرك ، الأول والآخِرَ سَيَّانِ ، قد ذهب من الشهر النصف  
وما أرى من عملك النصف ، فإن كان في انانِي قد قُبِحَ الوَصفُ فقم الآن .  
والحمد لله وحده .

## المجلس الثامن في ذكر المَشرِّ و ليلة القدر

الحمد لله عالم السر والجهر ، وقاسم الجبارة بالعز والقهر ، مُحْصِي قطرات الماء وهو يجري في النهر ، فَضَّلَ بعض المخلوقات على بعض حتى أوقات الدهر « ليلةُ القَدْرِ خيرٌ من ألفِ شهر » . فهو المتفرد بإيجاد خلقه المتوحد بإدراك رزقه ، القديم فالسَّبق لسبقه ، الكريم فاقام مخلوق بحقه ، عالم بسر العبد وسامع نطقه ، ومقدر علمه وعمله وعمره وفعله وخلقته ، ومجازيه على عيبه وذنبه وكذبه وصدقه ، انالك التَهَّار فالكل في أسْرِ رَقِّه ، الحليم الستار فالخلق في ظل رَفِّه ، أرسل السحاب تخاف صواعقه ويَطْمَع في ودِّه ، يزجج القلوب رَواعده وينكد سَنَا بَرِّه ، جعل الشمس سراجا والقمر نورا بين غربه وشرقه .

أحده على الهدى وتسهيل طرقه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في رَنِّه وفتحه ، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله والضلال عامٌ فحاه بحقه ، صلى الله عليه وعلى آله وصاحبه أبي بكر السابق بصدقه ، وعلى عمر كاسر كسرى بتدييره وحِذِّه ، وعلى عثمان جامع القرآن بعد تبديده في رَفِّه ، وعلى عليّ واعذرونا في عشته ، وعلى عمه العباس مشارك في أصله وعرقه .

\*\*\*

قال الله عز وجل : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » . الهاء في « أنزلناه » كناية عن القرآن ، وذلك أنه أنزل جملة في تلك الليلة إلى بيت العزة وهو بيت في السماء الدنيا .

وفي تسميتها بليلة القدر خمسة أقوال : أحدها : أنها ليلة العظمة ، يقال : لفلان قَدْر . قاله الزُّهْرِي . ويشهد له : « وما قَدَرُوا الله حق قَدْرِهِ <sup>(١)</sup> » .

وانثى : أنه الضَّيِّق . أى هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين يزلون . قاله الخليل بن أحمد ويشهد له : « ومن قَدَرِ عليه رِزْقُهُ <sup>(٢)</sup> » .

والثالث : أن القدر الحُكم كأن الأشياء تقدر فيها . قاله ابن قتيبة .  
والرابع : لأن من لم يكن له قَدْر صار بمراعاتها ذا قَدْر . قاله أبو بكر الورّاق .  
والخامس : لأنه نزل فيها كتاب ذو قَدْر وينزل فيها رحمة ذات قَدْر وملائكة ذوو قَدْر . حكاه شيخنا علي بن عبيد الله .

قوله تعالى : « وما أدراك ما ليلة القدر » هذا على سبيل التعظيم لها والتشويق إلى خبرها .

في قوله تعالى : ليلة القدر خير من ألف شهر قولان : أحدهما : أنها من زمان بنى إسرائيل ثم في ذلك قولان : أحدهما ما رواه عطاء عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر له رجل من بنى إسرائيل حمل السلاح على عاتقه ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى أن يكون ذلك في أمته ، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر ، وقال : هي خير من ألف شهر التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله ، والثاني : أن الرجل كان فيما مضى لا يستحق أن يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر ، فجعل الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر التي كانوا يعبدون فيها .

والقول الثاني : أن الألف شهر من هذا الزمان . قال مجاهد : قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر من هذا الزمان وصيامها ليس فيها ليلة القدر . وهذا قول قتادة واختيار الفراء وابن قتيبة والزجاج .

قوله تعالى : « تنزل الملائكة والروح » قال أبو هريرة : الملائكة ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الحمى .

وفي الروح ثلاثة أقوال : أحدها : أنه جبريل . قاله الأكثرون . وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كُتُبة من الملائكة يصلون ويسألون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل .

والثاني : أن الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من

لَدُنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ . قَالَ كَعْبٌ وَمِقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ .

وَالثَّالِثُ : أَنَّهُ مَلَكٌ عَظِيمٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . قَالَ الْوَاقِدِيُّ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : « فِيهَا » أَى فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ . قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَأْذَنُ رَبُّهُمْ » أَى بِأَمْرِ

رَبِّهِمْ وَالْمَعْنَى : مَا أَمَرَ بِهِ وَقَضَاهُ . « مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : أَى بِكُلِّ أَمْرٍ . قَالَ

لِلْمُقَسِّرِينَ : يَزُولُونَ بِكُلِّ أَمْرٍ قَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي تِلْكَ السَّنَةِ إِلَى قَابِلٍ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : « سَلَامٌ هِيَ » أَى لَيْلَةُ الْقَدَرِ سَلَامٌ . وَفِي مَعْنَى السَّلَامِ قَوْلَانِ : أَحَدُهُمَا :

أَنَّهُ لَا يَحْدُثُ فِيهَا دَاءٌ وَلَا يُرْسَلُ فِيهَا شَيْطَانٌ . قَالَ مُجَاهِدٌ . وَالثَّانِي : أَنَّ مَعْنَى السَّلَامِ الْخَيْرَ

وَالْبَرَكَةَ . قَالَ قَتَادَةُ .

\*\*\*

وَاعْلَمْ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدَرِ بَاقِيَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : سَأَلْتُ رَسُولَ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمَاتَ : يَارَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنْ لَيْلَةِ الْقَدَرِ فِي رَمَضَانَ هِيَ أَوْ فِي غَيْرِهِ ؟

قَالَ : بَلْ هِيَ فِي رَمَضَانَ . قُلْتُ : تَكُونُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ مَا كَانُوا فَإِذَا قُبِضُوا رَفَعَتْ أُمُّهُ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : بَلْ هِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قُلْتُ : فِي أَى رَمَضَانَ هِيَ ؟ قَالَ : التَّمَسُّوْهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ

وَالْعَشْرِ الْآخِرِ . قُلْتُ : فِي أَى الْعَشْرَيْنِ هِيَ ؟ قَالَ : ابْتَغُوْهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ ، لَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ

بَعْدَ . ثُمَّ حَدَّثَ وَحَدَّثَ قُلْتُ : يَارَسُولَ اللَّهِ أَقَسَمْتَ عَلَيْكَ بِحَقِّي عَلَيْكَ لَمَّا أَخْبَرْتَنِي فِي أَى

الْعَشْرِ هِيَ ؟ فَغَضِبَ عَلَيَّ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ عَلَيَّ مِثْلَهُ قَالَ : « التَّمَسُّوْهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ لَا تَسْأَلْنِي

عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا <sup>(١)</sup> » .

وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعِ عَشْرَةٍ مِنْ رَمَضَانَ .

أَنْبَأَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ الْمُبَارَكِ بِسَنَدِهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدَرِ فَقَالَ : هِيَ

لَيْلَةُ سَبْعِ عَشْرَةٍ لِأَشْكَ فِيهَا . ثُمَّ قَالَ : لَيْلَةُ الْفَرْقَانِ يَوْمَ التَّقِي الْجَعَانِ <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

(١) رَوَاهُ الْبُزَارُ عَنْ مَرْثَدَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ بَنَحْوِهِ ، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ : وَمَرْثَدٌ هَذَا لَمْ يَرَوْعَهُ غَيْرُ أَبِيهِ مَالِكٌ ، وَهَبِيَّةٌ رَجَالُهُ ثِقَاتٌ . بَجْعِ الزَّوَائِدِ ١٧٧/٣ .

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَكْتَبَةِ . عَنْ حَوْطِ الْعَبْدِيِّ . قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدِيثُهُ هَذَا مُنْكَرٌ . بَجْعِ الزَّوَائِدِ ١٧٨/٤ .



واعلم أن الجمهور على أنها في العشر الأواخر وأنها تختص بالأفراد واختلفوا في الأخص  
بها ، فذهب الشافعي رحمه الله إلى ليلة إحدى وعشرين ويدل عليه حديث أبي سعيد وهو في  
الصحيحين قال : أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التدرثم أنسبها قال : أراني  
أسجد في ماء وطين . فوالذي أكرامه لرأيتَه يصلي بنا صلاة المغرب ليلة إحدى وعشرين  
وإن جبهته وأرنبة أنفه في الماء والطين <sup>(١)</sup> .

والثاني : ليلة ثلاث وعشرين . وروى مسلم في أفرادهِ من حديث عبد الله بن أنس عن  
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أراني صبيحتها أسجد في ماء وطين » فطَرْنَا ليلة ثلاث  
وعشرين ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه .  
وأخبرنا ابن الحصين بسنده عن عكرمة قال : قال ابن عباس : أتيت وأنا نائم فقبل لي :  
إن الليلة ليلة القدر . فقامت وأنا نائم فتعلقت ببعض أطناب فسُطِط رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يصلي فنظرت في تلك الليلة  
فإذا هي ليلة ثلاث وعشرين <sup>(٢)</sup> .

أخبرنا محمد بن ناصر بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم كان يَنْضَح الماء في وجوه نسائه ليلة ثلاث وعشرين من رمضان .  
تفرد بإخراجه أبو بحر .

والثالث : ليلة خمس وعشرين وروى هذا المعنى أبو بكر عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم .

والرابع : ليلة سبع وعشرين أخبرنا ابن الحصين بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان متحرِّبًا فليتحرِّها ليلة سبع وعشرين .  
أو قال : تحرِّوها ليلة سبع وعشرين .

(١) صحيح البخارى كتاب صلاة النوازع باب فضل ليلة القدر ( ١ / ٢٦١ ط الأميرية ) . وصحيح  
مسلم كتاب الصيام حديث رقم ٢١٥ ، ٢١٦ .  
(٢) رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح . بمع الزوائد ١ / ١٧٥ .

انفرد بإخراجه مسلم<sup>(١)</sup>

أخبرنا ابن ناصر بسنده عن رِ بْنِ حُبَيْش قال : أخبرنا أَبِي بن كعب عن ليلة القدر فحلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين . قلت : بم تقول ذلك يا أبا المنذر ؟ فقال : بالآية أو بالعلامة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنها تصبح من ذلك اليوم تطالع الشمس وليس لها شعاع . أخبرنا ابن الحصين بسنده عن عاصم عن زِرِّ قال : قلت لأبي بن كعب : أبا المنذر أخبرني عن ليلة القدر . قال : صاحبنا يعني ابن مسعود رضى الله عنه كان إذا سُئِلَ عنها قال : من يَقُمُ الحَوْلَ يُصِبْهَا . فقال : يرحم الله أبا عبد الرحمن أما والله لقد علم أنها في رمضان ولكن أحب أن لا تتكلموا وأنها ليلة سبع وعشرين لم يستثنى قلت : أبا المنذر أتى أعلم ذلك ؟ قال : بالآية التي قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة ليلة القدر تطالع الشمس لا شعاع لها كأها طست حتى ترتفع .

لفظ المقدمي . قال ابن ناصر : عالٍ صحيح .

أخبرنا علي بن عبيد الله بسنده عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني شيخ كبير يشقّ على القيام فمُرّني بليلة لعل الله عز وجل أن يوفقني فيها لليلة القدر فقال : عليك بالسابعة<sup>(٢)</sup> .

أخبرنا أبو منصور القزاز بسنده عن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليلة القدر ليلة سبع وعشرين »<sup>(٣)</sup> .

وهذا مذهب علي عليه السلام وابن عباس رضى الله عنهما . وقد روى عن ابن عباس أنه استدل على ذلك بشيئين : أحدهما أن السبعة تتكرر في المحلوقات ، فالأرض سبع . والثاني : أن قوله « هي » هي الكلمة السابعة والعشرون . وقال عبدة بن أبي لبابة : دُقْتُ ماء البحر ليلة سبع وعشرين فوجدته عَذْبًا .

(١) انتهى في صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ٢٠٦ ونصه : « تحروا ليلة القدر في السبع الأواخر وحديث رقم ٢١٠ ونصه : « من كان ملتصقاً فليتمسكها في العشر الأواخر » . أما هذه الرواية فهي عند الإمام أحمد وإسناده حسن .

(٢) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ٣/ ١٧٦ .

(٣) روى نحوه الطبراني في الأوسط .

واستدل بعضهم بأن ليلة القدر تكررت في هذه السورة ثلاث مرات وهي تسعة أحرف ، والتسعة إذا كُرِّرَتْ ثلاثاً كانت سبعة وعشرين .

والخامس : مشكوك فيه . أخبرنا ابن الحصين بسنده عن أنس عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد أن يخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى رجلان فرفِعت وعسى أن يكون خيرا لكم ، فالتسوها في التاسعة أو السابعة أو الخامسة » .

انفرد بإخراجه البخارى <sup>(١)</sup> .

قال أحمد : وحدثنا حيوة ، عن ابن شريح ، عن بَقِيَّة ، عن بَجِير بن مَعْدَان ، عن عبادة بن الصامت ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليلة القدر في العشر البواقي من قامهن ابتغاء حبسهن فإن الله يفرقه ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهي ليلة وتر تسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو آخر ليلة :

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أمارَةَ ليلة القدر أنها صافية كأن فيها قهراً ساطعاً ساكنة صاحبة <sup>(٢)</sup> لا برْد فيها ولا حرّ ، ولا يحلّ لكوكب أن يُرمَى به حتى يُضْبح ، وإن أمارتها أن صبيحتها تخرج مُستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحلّ للشيطان أن يخرج معها يومئذ » .

قال أحمد : وأخبرنا سليمان بن داود ، عن عمران انقَطَّان عن قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر إنها ليلة سابعة أو تسعة وعشرين إن الملائكة تلك الليلة أكثر من عدد الحصى <sup>(٣)</sup> .

أخبرنا محمد بن عبد الله القاضى ويحيى بن على المُدِير بسندهما عن حميد عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر التاسعة

(١) صحيح البخارى كتاب صلاة التراويح باب فضل ليلة القدر .

(٢) مجمع الزوائد ١٧٥/٣ : شاحبة .

(٣) رواه أحمد والبخار والطيبراني في الأوسط ورجاله ثقات . مجمع الزوائد ١٧٦/٣ .

والساعة والخامسة وآخر ليلة ، وهى ليلة بَلَجَة <sup>(١)</sup> لاحارة ولا باردة ولا يرمى فيها بنجم ولا ينبح فيها كلب <sup>(٢)</sup> . »

أخبرنا الكروخي بسنده عن ابن عيينة بن عبد الرحمن قال : حدثني أبي قال : ذكرت ليلة القدر عند أبي بكره فقال : ما أنا بملتسها لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا في العشر الأواخر فإني سمعته يقول : « التمسوها في تسع بَقِينَ أو سبع بَقِينَ أو خمس بَقِينَ أو ثلاث بَقِينَ أو آخر ليلة » <sup>(٣)</sup> .

قال الترمذى : وأخبرنا عبد بن حميد ، عن عبد الرزاق عن معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة أنه قال : ليلة القدر تنزل في العشر الأواخر <sup>(٣)</sup> .

وقد روى عن مجاهد قال : ليلة القدر ليلة أربع وعشرين أخذ من حديث واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان .

وقال سعيد بن جبير : كنا مع ابن عباس في المسجد الحرام فخلق رأسه خفقة فقال : أى ليلة هذه ؟ قلنا ليلة أربع وعشرين . قال : الليلة ليلة القدر لأن الملائكة نزلوا من السماء وعليهم ثياب بيض .

قلت : والحكمة في إخفائها أن يتحقق اجتهد الطالب كما أخفيت ساعة الليل وساعة الجمعة . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر مالا يجتهد في غيره كان يسهر ليله ويحمل كلفه فيشد مئزره ويقوم الليل كله .

وقد أخبرنا أبو عبد الله السلال بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » <sup>(٤)</sup> . أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار بسنده عن عائشة رضي الله عنهما قالت : كان

(١) البلجة : انبيرة (٢) روى نحوه الطبراني في الكبير .

(٣) أخرجه الترمذى في صحيحه ١٥٢/١ ( ط الأميرة ) .

(٤) أخرجه البخارى في صحيحه ٢٦٠/١ إلى قوله ( ما تقدم من ذنبه ) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم في العَشرِ الأواخر من رمضان يُحْيِي الليل كُلَّهُ ويوقظ أهله ويشد المِئزرَ .

أخرجاه في الصحيحين <sup>(١)</sup> .

وفي أفراد مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العَشرِ ما لا يجتهد في غيره <sup>(٢)</sup> .

وفي الصحيحين من حديثها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العَشرِ الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل <sup>(٣)</sup> . وأخرجاه من حديث ابن عمر أيضا قال : اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم العَشرِ الأول من رمضان فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الذي تطلب أملك <sup>(٤)</sup> .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدّم من ذنبه » <sup>(٥)</sup> .  
وكذلك في حديث عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .

قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله إذا وافقت ليلة القدر فما أدعو ؟ فقال : « قولي : اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني » <sup>(٦)</sup> .

وقد كان السلف يتأهبون لها . فكان لتيميم الدارمي حلة بألف درهم يابسها في الليلة التي يُرجى أنها ليلة القدر . وكان ثابت ومُحمّد يفتسلان ويتطايبان ويَلْبَسَان أحسن ثيابهما ويُطَيِّبان مساجدهما في الليلة التي تُرجى فيها ليلة القدر .

(١) صحيح البخاري ٢٦٢/١ وصحيح مسلم كتاب الاشتكاف حديث رقم ٧ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الاشتكاف حديث رقم ٨ .

(٣) صحيح البخاري ٢٦٢/١ وصحيح مسلم كتاب الاشتكاف حديث رقم ٥ .

(٤) لم أجده في صحيح البخاري وهو في صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ٢١٥ ( بمعناه ) .

(٥) صحيح البخاري ٢٦٠/١ وصحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث رقم ١٧٥ .

(٦) أخرجه الترمذي في صحيحه كتاب الدعوات باب ٨٤ .

إخواني : والله ما يَفْلُو في طلبها عَشْر ، لا والله ولا شَهْر ، لا والله ولا دَهْر . فاجتهدوا في الطلب فرب مجتهد أصاب .

أخبرنا محمد بن ناصر بسنده عن قتادة عن أنس رضي الله عنهما قال : لما دخل رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الشهر قد دخل عليكم فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حُرِمَها فقد حرم الخير كله ، ولا يحرم خيرها إلا كل محروم <sup>(١)</sup> » .

### الكلام على السمد

أَكْدَحَ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي مَهَلٍ	وَلَا تَكُنْ جَاهِلًا فِي الْحَقِّ مُرْتَابًا
إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَرُودٌ مِنْ أَهْلِهَا	لَا بَدَ مِنْهَا وَلَوْ عُمِّرْتَ أَخْبَابًا
وَفِي اللَّيْلِ إِلَى وَفَى الْأَيَّامِ تَجَرُّبَةً	يَزْدَادُ فِيهَا أَوَّلُ الْأَلْبَابِ أَلْبَابًا
بَعْدَ الشَّبَابِ يَصِيرُ الصُّلْبُ مُنْحَنِيًا	وَالشَّعْرُ بَعْدَ سَوَادِهِ كَانَ قَدْ شَابَا
يُفْنَى النُّفُوسَ وَلَا يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ	لَيْلٌ سَرِيعٌ وَشَمْسٌ كَرُّهَا <sup>(٢)</sup> دَابَا
لِاسْتَقَرٍّ وَمِيقَاتٍ مَقْدَرَةٍ	حَتَّى يَعُودَ شُهُودُ النَّاسِ غُيَابًا
وَمَنْ تَعَاقَرَهُ الْأَيَّامُ تُبَدِّلُهُ	بِالْجَارِ جَارًا وَبِالْأَصْحَابِ أَصْحَابًا
خَلَّوْا بَرُوجًا وَأَوْطَانًا مَشِيدَةً	وَمُؤْنِسِينَ وَأَصْهَارًا وَأَنْسَابًا
فِيَالَهُ سَفَرًا بَعْدًا وَمَقْتَرًا	كَسَيْتَ مِنْهُ لَطُولَ النَّأْيِ أَثْوَابًا
بِمَوْحَشٍ ضَيِّقٍ نَاءٍ مَحَلَّتَهُ	وَلَيْسَ مِنْ حَلَّةٍ مِنْ غِيْبَةٍ أَبَا
كَمْ مِنْ مَهْمَبٍ عَظِيمٍ لِمَالِكٍ مُتَّخِذٍ	دُونَ الشَّرَاقِ حُرَّاسًا وَحُجَّابًا
أَضْحَى ذَلِيلًا صَغِيرَ الشَّانِ مَنْفَرِدًا	وَمَا يَرَى عِنْدَهُ فِي الْقَبْرِ بَوَّابًا <sup>(٣)</sup>
وَقَبْلَكَ النَّاسُ قَدْ عَاشُوا وَقَدْ هَلَكُوا	فَأَضْرِبَ الْحَيُّ عَنْ ذِي <sup>(٤)</sup> النَّأْيِ إِضْرَابًا

(١) أخرجه النسائي - كتاب الصيام باب رقم ٥ وابن ماجه كتاب الصيام باب رقم ٣ .

(٢) ب : نحوها . وما أثبتته من ت .

(٣) ت : نوابا (٤) ت : عند النأي .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ النَّاسِي لِمَصْرَعِهِ أَصْبَحْتَ مِمَّا سَتَأْتِي النَّفْسُ هَرَّابًا  
اكَدَحْ لِنَفْسِكَ مِنْ (١) دَارٍ تَزَايِلُهَا وَلَا تَكُن لِلَّذِي يُؤْذِيكَ طَلَّابًا

\*\*\*

يَا مَنْ أَمَلَهُ إِلَى أَجَلِهِ يَقُودُهُ ، أَنْتَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ نَيْلِ مَا تَرِيدُهُ ، كَمْ مِنْ غَصْنٍ غَضَّ  
كَسَرَ عُودَهُ ، كَمْ مَلَكٍ عَاتٍ تَنَزَّهَتْ جَنُودُهُ ، لَقَدْ طَرَقَ الْمَوْتُ الْغَيْلَ فَهَلَكْتَ أَسُودَهُ ،  
كَمْ هَدَى الْمَوْتُ مِنْ جَبَلٍ ، كَمْ رَحَّلَ إِلَى الْقُبُورِ وَتَقَلَّ ، فَرَّغَ لِنَارِ الْوَأْخَى الْحِلَّ (٢) وَأَعْرَى  
فِي الْعَرَاءِ أَصْحَابَ الْخُلَّ ، وَتَقَضَّ بِمَعُولِ التَّلَفِ رَكْنُ الْأَمَلِ ، وَمَحَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ  
سُطُورَ الْجَذَلِ ، وَصَاحَ بِصَوْتِهِ الْهَائِلُ : جَاءَ الْأَجَلُ ، لَتَسْدُغْرُكُ مِنَ الْأَمَانِيِّ لُموْعَهَا  
وَإِنْ أَشَقَى النَّفُوسَ طُموْعَهَا ، إِنَّهَا الدُّنْيَا قَدْ ضَرَّتْ ضُرُوعَهَا ، وَكَمْ جَرَّ جَرِيرَةً مَاجَنَى  
جَرُوعَهَا (٣) ، طَوَّبَى لِنَفْسٍ طَالَتْ عَنْهَا جُوعَهَا ، وَصِفَتْ لَهَا الْجَنَّةُ فَاشْتَدَّ نَزْوُوعَهَا ، تَفَكَّرْتَ  
فِي تَقْصِيرِهَا فَسَالَتْ دُمُوعَهَا ، مَا عِنْدَكَ خَيْرٌ مِمَّا تَحْوِي ضُلُوعَهَا :

أَرَأَيْتَ مِنْ دَاءِ الصَّبَابَةِ عَائِدًا وَوَجَدْتَ فِي شَكْوَى الْفَرَامِ مُسَاعِدًا  
هِيَهَاتَ مَا تَرَدُّ الْمَطَالِبُ نَائِمًا عَنْهَا وَلَا تَصِلُ الْكُوكَبُ قَاعِدًا  
إِنْ جَوَاهِرُ الْأَشْيَاءِ يَظْهَرُهَا سَبْكُهَا ، وَإِنْ قُلُوبُ الْمُوقِنِينَ قَدْ زَالَ شَكُّهَا . يَا ذَا الْكَسَلِ  
هَذَا زَمَانُ النِّشَاطِ ، يَا ذَا الْإِنْفَةِ إِنْ لِلتَّوْبِيخِ أَلَمَ السَّيَاطِ .

إِخْوَانِي : رَاعُوا حَقَّ هَذِهِ الْأَيَّامِ مِمَّا أُمَكَّنَكُمْ ، وَاشْكُرُوا الَّذِي وَهَبَ لَكُمْ السَّلَامَ  
وَمَكَّنَكُمْ ، فَكَمْ مُؤَمِّلٌ لَمْ يَبْلُغْ مَا أَمَّلَ ، وَإِنْ شَكَّكَتْ فَتَمَّحْ جِيرَانُكَ وَتَأَمَّلْ ، كَمْ مِنْ  
أَنَاسٍ صَلُّوا مَعَكُمْ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ انْتَرَاوِيحَ ، وَأَوْقَدُوا فِي الْمَسَاجِدِ طَبَاغًا لِلْأَجْرِ الْمَصَابِيحَ ،  
اِقْتَنَصَهُمْ قَبْلَ تَمَامِهِ الصَّائِدُ فَقْهَرُوا ، وَأَسْرَتَهُمُ الْمَصَايِدُ فَأَسْرُوا ، وَغَسَّهَمُ التَّافِ  
فِي بَحْرِهِ فَمَقَلُوا (٤) ، وَلَمْ يَنْفَعَهُمُ الْمَالُ وَالْأَمَالُ لَمَّا تَقَلُّوا ، أَدَارَتْ عَلَيْهِمُ النَّوْنُ رَحَاها ،

(١) ت : ق دار . (٢) الحلال : جمع حلة بالكسر وهي جماعة بيوت الناس .

(٣) الأصل : جدوعها . ولعل الصواب ما أثبتناه . والجروع : مباحة من الجرع .

(٤) مقلوا : غمَّسوا وغمروا .

وحكَّ وجوههم الثرى فحاجها ، فأغدمتهم صوماً وفطرا ، وزوَّدتهم من الحَنُوط <sup>(١)</sup> عِطرا ، وأصبح كل مـهم في الالحـد سَطرا ، هذا حالك يا من لا يَـعـقـلُ أمراً ، كم تُخـرِّضُ وما ينفع التعريض ، وتَـعـرِّضُ لك باللوم وما يُجـدَى التعريض ، يا من لا يَـنـتـبـه بالتصريح ولا بالتعريض ، يا مَـتـعـوِّضاً ما يَفنى عما يَبقى بئس التعويض ، يا مَسوِّداً صحائفه متى يكون التبييض ، قد أمهلك في الزمان الطويل العريض ، كم يقال لك ولا تقبل ، والحرَّ تكفيه الملامة ، أمارَةُ الخير ما تَخفى ، طَرَفُ الفتى يُخبر عن ضميره ، تالله إنَّ رائضك كَمُتَقَفٍ يَضَعُ الهِناءَ مواضع التَّـقَبُّ <sup>(٢)</sup> ، لو ارعويت لاستويت ، لو صحَّ منك الهوى أُرشدت للحِـيـل ، زاحمُ الثائنين وادخل في حزب البكائين ، وكلُّ غريبٍ للغريب نَسِيب .

قال يحيى بن معاذ : يا بن آدم طابت الدنيا طلب من لا بد له منها ، وطابت الآخرة طلب من لا حاجة له إليها ، والدنيا قد كُفِّيتْها وإن لم تطلبها ، والآخرة بالطلب منك تنالها ، فاعقل شأنك يا بن آدم . حُفَّتِ الجنة بالملكاه وأنت تكرهها ، وحُفَّتِ النار بالشهوات وأنت تطلبها ، فما أنت إلا كالمرِض الشديد الداء ، إن صبرتْ نَسَهُ على مضض الدواء . اكتسبت بالصبر عافية الشفاء ، وإن جرعت نفسه مما يلقى طالت به علة :

وفي الشيب ما ينهى الحكيم عن الصِّيا      إذا استوقدت نيرانه في عِذاره  
وأى امرئ يرجو من العيش غِـبْطَةً      إذا اصفرَّ منه العُودُ بعد اخضرارهِ  
ولله في عَرْضِ السمواتِ جَنَّة      ولكنها مخفوفةٌ بالملكاه

\*\*\*

أمت نفسك حتى تحميها ، فعاقبة الصبر حلوة .

كم صبرَ بشر <sup>(٣)</sup> عن مُشْتَهَى حتى سمع : كُلُّ يامن لم يأكل .

(١) الحنوط : كل طيب يخلط للبيت .

(٢) المتقف : المصلح القوم . الهناء : الفطران الذي غلب به الإبل الجربى . والنقب : الجرب .

(٣) يريد بشرا الحق الصوفي الزاهد وهو بشر بن المارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال الحافى أصله من مرو سكن بغداد ومات بها ، وصحب الفضيل بن عياض ، وكان عالماً ورعاً ، توفي سنة ٢٢٧هـ . ترجمته في طبقات الصوفية ٣٩ وحلية الأولياء ٣٣٦/٨ وتاريخ بغداد ٦٧/٧ . والبداية والنهاية ٢٩٧/١٠ .



مَا مَدَّ سِجَافٌ<sup>(١)</sup> : « نِعِمَّ الْعَبْدُ » عَلَى قُبَّةِ « وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ » حَتَّى جُرِّبَ فِي أَمَانَةٍ  
« إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا » .

إِنْ الْأَلَمَ لَيُحْمَدُ إِذَا كَانَ طَرِيقًا إِلَى الصَّحَّةِ ، وَإِنْ الصَّحَّةَ لَتُذَمُّ إِذَا كَانَتْ سَبِيلًا إِلَى  
الْمَرَضِ ، أَى فَاثِدَةٌ فِي لَذَّةِ سَاعَةٍ أَوْ قَعْتُ غَمًّا طَوِيلًا ، مَا فَهِمَ مَوَاعِظَ الزَّمَانِ مِنْ أَحْسَنِ الظَّنِّ  
بِالْأَيَّامِ ، إِيَّاكَ أَنْ تَسْمَعَ كَلَامَ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ غُرُورٌ مَحْضٌ :

أَمَّا تَرَى الدَّهْرَ لَا يَبْقَى عَلَى حَالٍ	طَوْرًا بِأَمْنٍ وَطَوْرًا جَا بِأَوْجَالٍ
مَتَى بَانَ النَّفْيُ قَالُوا دَنَا أَجَلٌ	يَا هَلْ أَرَى فِي اللَّيَالِي غَيْرَ آجَالٍ
بَدَلٌ يَزُولُ إِلَى مَنَعٍ وَعَافِيَةٍ	تَجَرَّدَاءُ وَنُكْسٌ بَعْدَ إِبْلَالٍ
وَمَا سِرَرْتُ بِأَيَّامِ السَّكَمِ فَمَا	تَنَاقَصَ الشَّيْءُ إِلَّا عِنْدَ إِقْبَالٍ
نَاقَى الْخَوَافِ فِي الدُّنْيَا وَنَأْمَهَا	وَنَطْلَبُ الْعِزِّ فِي الدُّنْيَا بِإِذْلَالٍ
وَتَسْتَدْمُ إِلَيْنَا كُلَّ شَارِقَةٍ	وَمَا هِيَ مُبْنِضٌ فِينَا وَلَا قَالِي
لَذَاذَةٍ لَمْ تُنَلَّ إِلَّا بِمَوَلَةٍ	وَصَحَّةٌ لَمْ تَدْمُ إِلَّا بِإِعْلَالٍ

\*\*\*

إِذَا اسْتَوَظَنْتَ السَّلَامَةَ فَتَذَكَّرَ الْعَطَبَ ، وَإِذَا طَابَ لَكَ الْأَمْنُ فَتَفَكَّرْ فِي الْخَوَافِ ،  
وَإِذَا لَدَّتْ لَكَ الْعَافِيَةُ فَلَاتَنْسَ قُرْبَ السَّعَةِ ، وَإِنْ كُنْتَ مَحْبًا لِنَفْسِكَ فَلَا تَسْأَلْ إِلَيْهَا بِالزَّلَلِ ،  
إِنْ طَالَبَ الدُّنْيَا لَا يَنْالَ مِنْهَا حَظًّا إِلَّا بِقُوَّةٍ نَصِيبٍ مِنَ الْآخِرَةِ .

هَلِ الْعُمُرُ إِلَّا ثَلَاثَةٌ أَيَّامٌ : يَوْمٌ انْقَضَى بِمَا فِيهِ ذَهَبَتْ لَذَّتُهُ وَبَقِيَتْ رَعِيَّتُهُ ، وَيَوْمٌ مُنْتَظَرٌ  
لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا الْأَمَلُ ، وَيَوْمٌ أَنْتَ فِيهِ قَدْ صَاحَ بِكَ مُؤْذِنًا بِالرَّحِيلِ فَاصْبِرْ فِيهِ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ  
الصَّبْرَ إِذَا وَصَلَ إِلَى الْحُبُوبِ سَهْلٌ .

الكلام على قوله تعالى

« سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ النُّجُومِ »

إِخْوَانِي : إِنْ شَهْرَ رَمَضَانَ قَدْ قُرُبَ رَحِيلُهُ وَأَزِفَ تَحْوِيلُهُ ، وَهُوَ ذَاهِبٌ عَنْكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ  
وَقَادِمٌ عَلَيْكُمْ غَدًا بِأَعْمَالِكُمْ ، فَيَا لَيْتَ شَرَى مَاذَا أَوْدَعْتُمُوهُ وَبَأَى الْأَعْمَالِ وَدَعْتُمُوهُ ؟

أترأه يرحل حامداً صنيعكم أوداماً تَضِيْعُكم ؟ ما كان أعظم بركات ساعاته ، وما كان أجلى جميع طاعاته ، كانت ليالى عتق ومُباهاة ، وأوقاته أوقات خدم ومناجاة ، ونهاره زمان قُرْبَةٍ ومصافاة ، وساعاته أحيان اجتهد ومعاناة ، فبادروا البقية بالتقية قبل فوات البرِّ ونزول البرِّية وتَحَلَّى عنك جميع البرِّية .

أين المخلص المتعبد ، أين الراهب المتزهد ، أين المنقطع التفرّد ، أين العامل المجود ، هيهات بقى عَبْدُ الدنيا ومات السيد ، وهلك من خطؤه خطأ وعاش التعمّد ، وضار مكان الخاشعين كلُّ منافق متمرّد ، رحل عنك شهرُ الصيام ، وودّعتك زمان القيام ، ولحَّ النصيح وقد لام ، أفترشق شمس الإيقاظ وتنام ، فاستدرك ما قد بقى من الأيام ، قد رأيتك تَوَانَيْتَ فى الأولى والثانية والثالثة فما بعد أن دنا الصبح .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان آخر يوم من شهر رمضان أعتق فيه مثل جميع ما أعتق <sup>(١)</sup> » أنبأنا زاهر بن طاهر بسنده عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله فى كل ليلة من شهر رمضان ستمائة ألف عتق من النار ، فإذا كان آخر ليلة أعتق بعدد من مصى <sup>(٢)</sup> » .

وقد رويناه فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كانت آخر ليلة من رمضان أعتق الله عز وجل فى ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره <sup>(٣)</sup> » .

وقد كان عبد الرحمن بن الاسود يحبى ليلة الفطر ويقول : هى ليلة غَفْلَةٍ .  
وقد رويناه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحيا ليلتى العيد وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب <sup>(٤)</sup> » .

وكان جعفر الصادق يدعو فى آخر رمضان فيقول : اللهم رب رمضان منزل القرآن

(١) الحديث موضوع فيه مجاهيل . الآلىء المصنوعة ١٠١/٢

(٢) أخرجه البيهقي فى شعب الإتيان . قال البيهقي : هكذا جاء مرسلًا .

(٣) الحديث موضوع كما سبق بيانه . (٤) الحديث سبق تخريججه فى ص ٦٢ من هذا الجزء .

هذا شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وقد تصَّرم ، أى رب فأعوذ بوجهك الكريم أن يطلع الفجر من ليلتى هذه أو يخرج رمضان ولك عندى ذنب تريد أن تعذبنى يوم ألتاك . ومن المتعلق بالصيام إخراج زكاة الفطر ، حدثنا أبو القاسم بن الحضير بسنده عن جرير بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن شهر رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر <sup>(١)</sup> » .

وينبغى أن يكون الاجتهاد فى أواخر الشهر أكثر من أوله لشئتين : أحدهما لشرف هذا العشر وطلب ليلة القدر . فقد روينا فيما تقدم : « اطلبوها فى خمس بقين أو ثلاث أو آخر ليلة » . والثانى : لوداع شهر لا يذرى هل يلقى مثله أم لا .

\*\*\*

إخوانى : ليلة القدر ليلة يُفتح فيها الباب ويقرب فيها الأحياب ويُسمع الخطاب ويُردّ الجواب ويُستقى للعاملين عظيم الأجر « سلامٌ هى حتى مطلع الفجر » . يسعد بها المواصل ويتوفر فيها الحاصل ويقبل فيها الجامل ، فيأرجح العامل فى البحر « سلام هى حتى مطلع الفجر » .

ليلة تُتقضى فيها الوفود ، ويحصل لهم المقصود بالقبول والفوز والسعود ، أترى ما يؤلمك أيها المطرود هذا المجر « سلامٌ هى حتى مطلع الفجر » أخلصوا وما أخاصت قَصْدُك ، وبافوا المراد وما بلغت أشدَّك ، وكلما جئت بلا نية ردَّك ، أو ليس ما يؤثر عندك شديدُ هذا الزَّجر « سلام هى حتى مطلع الفجر » .

أيقظ نفسك لما بين يديها ، وانتظر ماسياتى عن قليل إليها ، وأسمعها المواعظ فقد حضرت لديها ، وأقبل نصحى وخذ عليها ضَرْبَ الْحَجَرِ « سلامٌ هى حتى مطلع الفجر » . هذه أوقات يربح فيها من فهم ودرى ، ويصل إلى مراده كلُّ من جدَّ وسرَّى ، وبيك فيها المائى وتُطلق الأسرى ، تقدِّم القوم وأنت راجع إلى ورا ، أو ليس كل هذا قد جرى وكأنه لم يجر « سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(١) لم أجده فى شيء من الكتب المعتمدة فى الحديث .

## المجلس التاسع في ذكر عيد الفطر

الحمد لله موثر الثواب للأحباب ومكمل الأجر ، وباعث ظلام الليل يفسخه نور الفجر ،  
الحيط علماً بخائنة الأعين وخافية الصدور ، ومعلم الإنسان ما لم يعلم به ولم يدرك ، المتعالي عن درك  
خواطر النفس وهو اجس الفكر ، الموالي رزقه فلم ينس المل في الرمل والفرخ في الوكر ،  
جل أن تناله أيدي الحوادث على مرور الدهر ، وتقدس أن يخفى عليه باطن السر وظاهر  
الجهر ، منته تيجان الروس وقلائد النحر « هو الذي يسيركم في البر والبحر » أحصى عدد  
الرملة في الفيافي والتمل في القفر ، وشاء فأجرى كما شاء تقدير الإيمان والكفر ، أغنى وأقر  
فإرادته وقوع الفناء والفقر ، وأصم وأسمع فبمشيئته أدرك السمع ومنع الوقر ، أبصر فلم  
يخف عليه ديب الذر في البر ، وسمع فلم يعزب عن سمعه دعاء المضطر في السر ، وقدر فلم  
يحتج إلى معين يمده بالنصر ، وأجرى الأقدار كما شاء في ساعات المصير ، فهو الذي  
هدانا إليه بواضح الدليل وسليم السر ، وخصنا من بين الأمم بشهر الصيام والصبر ،  
وغسل به ذنوب الصائمين كفضل الثوب بماء القطر ، فله الحمد إذ رزقنا إتمامه وأرانا  
عيد الفطر .

أحمده حمداً لا منتهى لعدده وأشهد بتوحيده شهادة مخلص في معتقده ، وأشهد أن  
محمد عبده ورسوله الذي نبع الماء من بين أصابع يده ، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر  
الصديق رفيقه في شدائده ، وعلى عمر كهف الإسلام وعضده ، وعلى عثمان جامع القرآن  
فسقياً لتبدده ، وعلى علي كافي الحروب وشجماً بما بمفرده والمضطجع ليلة خروجه على مرقد  
وعلى عمه العباس مقدم بيت هاشم وسيده .

عباد الله : إن يومكم هذا يوم العيد قد ميز فيه الشقى والسعيد ، فكم فرح بهذا اليوم

مسرور وهو مطرود مهجور .

وقد روينا في حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا كانت غداة الفطر بعث الله تعالى ملائكة في كل بلد فيميطون إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع من خلق الله إلا الجن والإنس فيقولون: يا أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يفر الذنب العظيم . فإذا برزوا في مصلاهم يقول الله عز وجل ياملائكتي ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فيقولون: إلهنا وسيدنا جزاؤه أن توفيه أجره . فيقول الله تعالى: ياملائكتي أشهدكم أني قد جعلت ثوابهم في صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضى ومغفرتي . ويقول الله عز وجل: سلوني فوعزتي وجلالى لاتسألوني اليوم شيئا في جمعكم هذا لآخرتكم إلا أعطيتكموه ولا لدنيا إلا نظرت لكم . انصرفوا مغفورا لكم قد أرضيتموني ورضيت عنكم .

وقد سبق هذا الحديث بإسناده فيما تقدم <sup>(١)</sup> .

وأول وظيفة تختص بالعيد النسل ، ثم البكور والخروج على أحسن هيئة ، إلا أن يكون معتكفا فيخرج في ثياب اعتكافه ويخرج معه زكاة فطره ، فإن كان قد أخرجها قبل ذلك بيوم أو يومين جاز ، وإن صلى العيد ولم يخرجها أخرجها بعد ذلك على وجه القضاء ، فإذا مشى في الطريق غصَّ بصره .

قال بعض أصحاب سفیان الثوري : خرجت معه يوم عيد فقال : إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا غصَّ البصر . ورجع حسان بن أبي سنان من عيده فقالت امرأته : كم من امرأة حسناء قد رأيت؟ فقال : ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت إلى أن رجعت ! ويستحب أن يأكل قبل الصلاة ، بخلاف الأضحى . وفي حديث أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأكل سبع تمرات يوم الفطر قبل أن يخرج إلى المصلى .

أبنا زاهر بن طاهر بسنده عن سعيد بن المسيب قال : كان المسلمون يأكلون يوم

(١) انظر ص ٧٦ من هذا الجزء .

الفطر قبل الصلاة ولا يفعلون ذلك يوم النحر . وإذا صلى العيد رجع في غير الطريق .  
أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذ يوم العيد في طريق ويرجع في غيره . وهذا يحتمل أشياء منها : أنا قد رويت أن الملائكة تقف على أفواه السكك يوم العيد فيقولون للناس : اخرجوا إلى رب كريم يغفر الذنب العظيم . فيكون الاستحباب في تغيير الطريق أن يمر على ملأ منهم لم يمر عليهم ليحصل له البركة بدعائهم . ويحتمل أن يكون ليَلْقَى قومًا من المسلمين ما لقيهم فيدعو لهم ويدعون له . ويحتمل أن يكون للتفاؤل بتغيير الحال ، كأنه خرج وعليه ذنب ورجع مغفورا له .

ولا يسن التطوع قبل صلاة العيد ولا بعدها في موضع صلاة العيد . وقد رويت صلاة لليلة ولיום العيد ليس فيها شيء ثبت ولا يصح ، فهذا تنكُّبنا ذكرها . وينبغي لمن وسَّع عليه أن يوسع على الفقراء في هذا اليوم ويتطوع بإطعام من قدر .

أخبرنا محمد بن ناصر بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا يوم الفطر أن نفطر الفقراء من إخواننا ، وكان يقول : من فطر واحدا يمتق من النار ، ومن فطر اثنين كتب له براءة من الشرك وبراءة من النفاق ، ومن فطر ثلاثة وجبت له الجنة وزوجه الله من الخور العين . قال : وكان يأمرنا أن نطعم الخبز واللحم والخبز والزيت والخبز واللبن . وكان يقول آدموا طعامكم يؤدّم لكم عيشكم . يقول : يَلَيِّنُهُ .

ويستحب إتباع رمضان بست من شوال ؛ أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان وأتبعه بست من شوال كان كمن صام الدهر » .  
انفرد بإخراجه مسلم <sup>(١)</sup> .

وقد ذكر العلماء أن السر في هذا أن أيام السنة ثلاثمائة وستون يوما وهذه الستة مع

(١) صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ٢٠٤ (ط الحنفى)

رمضان ستة وثلاثون والحسنة بعشر أمثالها فمن دام على هذا فكأنه كمن صام الدهر .  
وقد روى نحو هذا مرفوعا .

أخبرنا علي بن عبيد الله بسنده عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« صيام رمضان بعشرة أشهر وصيام ستة أيام شهرين فذلك صيام سنة » <sup>(١)</sup>.

أخبرنا حماد بن سلمة بسنده عن الأزرق بن قيس عن رجل من بني تميم قال : كنت  
عند باب معاوية ووضعت الموائد فجعل أبو ذر - كل وجعلت أنظر إليه فقال : ماشأناك  
يا أحمري ؟ أتريد أن تشغلني عن طعامي ؟ قلت : ألم تزعم على الباب أنك صائم . فقال أبو ذر :  
بلى . ثم قال : قرأت من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول : « صوم شهر الصبر وثلاثة من كل شهر صوم الدهر » <sup>(٢)</sup> وقد صمت ثلاثة أيام من  
الشهر فأنا صائم الشهر كله .

وبالإسناد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت بن أبي عثمان النهدي أن أبا هريرة رضى  
الله عنه كان في سفر فلما نزل ووضعت السفرة بعثوا إليه وهو يصلي فقال : إني صائم فلما  
كادوا أن يفرغوا جاء فجعل يأكل فنظر القوم إلى رسولهم فقال : ماتنظرون ، قد والله  
أخبرني أنه صائم . فقال أبو هريرة صدق إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :  
« صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر » <sup>(٣)</sup> . وقد صمت ثلاثة أيام من أول  
الشهر وأنا مفطر في تخفيف الله وصائم في تضعيف الله عز وجل »

### السلام على السيدة

عِيدِي مَقِيمٌ وَعِيدُ النَّاسِ مُنْصَرِفٌ وَالْقَلْبُ مَنَى عَنِ اللَّذَاتِ مُنْحَرِفٌ  
وَلِي قَرِينَانِ مَالِي مِنْهُمَا خَلْفٌ طَوْلُ اخْنِيز وَعَيْنُ دَمْعُهَا يَكِيفُ <sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه الدارمي كتاب الصوم باب ٤٤

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٦٣/٢٠

(٣) يكف : يسيل .

يامن يفرح في العيد بتحسين لباسه ، ويوقن بالموت وما استعد لباسه ، ويفترّ بإخوانه وأقرانه وجُلّاسه، وكأنه قد أمِن سرعة اختلاسه ، كيف تقرّ بالعيد عينُ مطارود عن الصلاح ، كيف يضحك سنُّ مرْدود عن النّلاح ، كيف يُسرّ من يُسرّ على الأفعال القباح ، كيف لا يبكي من قد فاته جزيلُ الأرباح ، النّوحُ أحقُّ بك من السرور يامفرور ، والحزن أجدر بك من جميع الأمور ، والجِدُّ أولى بك من التّواني والفُتور ، كيف يُسرّ بعينه من تاب ثم عاد ، كيف يفرح بالسلامة من آثامه في ازدياد .

أخبرنا محمد بن أبي منصور بسنده عن أبي ثابت الخطّاب قال : سمعت إبراهيم بن موسى يقول : رأيت فتّاح الموصليّ يوم عيد وقد رأى على الناس الطيّالِس والعمائم فقال لي : يا إبراهيم أما ترى ثوباً يبلى وجسداً يأكله الدود غداً ؟ هؤلاء قوم قد أنفقوا خزائهم على بطونهم وظهورهم ويقدمون على ربّهم مفاليس . أخبرنا عمر بن ظُفر بسنده عن أبي بكر الشّقق<sup>(١)</sup> قال : سمعت أحمد بن عيسى يقول نظر بعض العلماء يوم الفطر إلى الناس وشغلهم بما هم فيه من الأكل والشراب واللباس فقال : لئن كانوا هؤلاء قد أنبأهم الله عز وجل أنه قد تقبّل منهم صيامهم وقيامهم لتد كان ينبغي لهم أن يكونوا أصبحوا مشاغلي بأداء الشكر، ولئن كان يخافون أنه لم يقبل منهم فقد كافٍ ينبغي لهم أن يكونوا أشغل وأشغل . أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بسنده عن عبد الله الصوفي سمعت مظفر بن سهل قال : قال أبو بكر النروزي : دخلت على أبي بكر بن مُسلم صاحب قنطرة بردان يوم غيد فوجدته وعليه قميص مرقوع ومطبق وقدامه قايلُ خرنوب يقرّضه قتل : يا أبا بكر اليوم يوم عيد الفطر تأكل الخرنوب ؟ فقال لي : لا تنظر إلى هذا ولكن انظر إن سألني من أين لك هذا ؟ أي شيء أقول !

أخبرنا أبو بكر الصوفي بسنده عن أبي الربيع النّهدي قال : أخبرني إدريس بن يحيى قال : دخلت على أبي عباد الخواص يوم عيد فاستأذنت عليه فخرج إليّ وهو يبكي

(١) الشّقاق : الذي يشق الحشَب . وهي نسبة إلى الصناعة . الباب ١٢٣/١



وَيَنُوحُ عَلَى نَفْسِهِ قَالَ : قَدْ خَلْتُ مَعَهُ فَقَالَ : إِنِّي ذَكَرْتُ الْيَوْمَ تَنَعُّمُ النَّاسِ وَمَاهِمُ فِيهِ مِنَ  
الذِّاتِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَنَعَّمَ بِمَا تَرَى .

وكان صالح بن عبد الجليل إذا انصرف يوم العيد جمع عياله وجلس يبكي فيقول له  
إخوانه : هذا يوم سرور . فيقول صدقتم ولكنني عبدٌ أمرني سيدي أن أعمل له عملاً  
فعملته ، فلا أدري أقبّله مني أم لا ؟ فالأولى بي طول الحزن !

أخبرنا محمد بن عبد الباقي عن هناد بن إبراهيم قال : سمعت محمد بن القاسم يقول :  
كان الشُّبْلِيُّ يوم العيد ينوح ويصيح ويصرخ وعليه ثياب سود وزرق فاجتمع الناس إليه  
فألوه عن نوحه وبكائه فقال :

تَرَيْنَ النَّاسَ يَوْمَ الْعِيدِ لِلْعِيدِ      وَقَدْ لَبِثْتُ ثِيَابَ الزُّرْقِ وَالسُّودِ  
وَأَصْبَحَ النَّاسُ مَسْرُورًا بَعِيدَهُمُ      وَرُحْتُ فَيْكَ إِلَى نَوْحٍ وَتَعْدِيدِ  
فَالنَّاسُ فِي فَرْحٍ وَالْقَلْبُ فِي تَرَحٍّ      شَتَّانَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ فِي الْعِيدِ  
وَخَرَجَ الشُّبْلِيُّ يَوْمَ الْعِيدِ وَهُوَ يَقُولُ :

لِلنَّاسِ فِطْرٌ وَعِيدٌ      إِنِّي فَرِيدٌ وَحِيدٌ  
يَا غَائِبِي وَمُنَايَ      أَتِمَّ لِي مَا أُرِيدُ

واجتمع الناس إليه فألوه الدعاء فدَّ القوم أيديهم فجعل يدعوا فكان من دعائه :  
اضربهم بسياط الخوف ، أقبّل بهم بأزمة الشوق ، أعنهم بملاحظات القهوم ، كن لهم كما  
كنت لمن لم تكن له بأن صرت كلاً له <sup>(١)</sup> .

وقيل له يوم عيد : يا أبا بكر اليوم يوم عيد . فقال :

النَّاسُ بِالْعِيدِ قَدْ سُرُّوا وَقَدْ فَرَحُوا      وَمَا فَرَحْتُ بِهِ وَالوَاحِدِ الْأَحَدِ  
لَمَّا تَبَيَّنْتُ أَنِّي لَا أَعَانِيكُمْ      غَمَضْتُ عَيْنِي فَلَمْ أَنْظُرْ إِلَى أَحَدِ  
وَرَأَيْتُ يَوْمَ عِيدٍ خَارِجًا وَهُوَ يَقُولُ :

إِذَا مَا كُنْتُ لِي عِيدًا      فَاصْنَعِ بِالْعِيدِ

جَرَى حَبْكَ فِي قَلْبِي كَجَرَى الْمَاءِ فِي الْعُودِ

\*\*\*

والله ما عيد يعقوب إلا لقاء يوسف، ولا أيام تشريق الصديق إلا الفار . يامن عزم على المعاصي في شوال الشهر احترمت أم لرب الشهر ، ويحك ! رب الشهرين واحد . تقول أصح رمضان وأفسد غيره وعزمك في رمضان على الزلل في شوال أفست رمضان ، إذا طالبت نفسك في شوال بشرب الخمر فذكريها سيلان العين على الخد في اللحد وعمل البلى في المفصل لعل الكفة يكف .

هيئات ليس الحب من غيره البعد والهجر ، ولا المخلص من حرّكه الثواب والأجر ، لكنه من تساوى عنده الوصل والصد ، وإلقه على كل حال الجد والكد .

يَا رَاكِبَا تَطْوِي الْمِهَامَةَ عَيْسُهُ      فَتَرِيهِ رَضْرَاضَ الْحَصَى مُتْرَضِرًا<sup>(١)</sup>  
بَلِّغْ رِعَاكَ اللَّهُ سُكَّانَ الْفَضَى      مَنِيَّ التَّحِيَّةِ إِنْ عَرَضَتْ مُعَرِّضًا  
وَقُلْ انْقَضَى زَمَنُ الْوَصَالِ وَوَدُّنَا      بَاقٍ عَلَى مَرٍّ إِلَيَّ مَا انْقَضَى

السلام على فوره تعالى

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »<sup>(٢)</sup>

أخبرنا عبد الأول بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتَ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدَتْ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعْلَمْ تَرَدَّدِي

(١) الرضراض : الحصى أو صفارها . والمتضرض : المتكسر

(٢) سورة يونس ٦٢

عن نفس المؤمن بكره الموت وأنا أكره مساءته<sup>(١)</sup> .

وفي حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل قال : « من أهان لي ولياً فقد بارزني بالحاربة وإني لأسرع شيء إلى نصرته أوليائي وإني لأغضب لهم أشد من غضب الليث الحرب<sup>(٢)</sup> » .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره<sup>(٣)</sup> » .

أخبرنا محمد بن ناصر بسنده عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال قال موسى عليه السلام : يارب من أهلكت الذين هم أهلكت الذين تظلمهم في ظل عرشك ؟ قال : هم البرية أيديهم الطاهرة قلوبهم الذين يتحابون بجلالي ، الذين إذا ذكرت ذكروا بي وإذا ذكرت بكروهم ، الذين يسبقون الوضوء في المسكاره ويُنسيون إلى ذكرى كما تنيب النُسور إلى وكورها ويكلفون بحبي كما يكلف الصبي بحب الناس ويفضون لمحارمي إذا استُحلت كما يفضب النمر إذا حُرِب .

أخبرنا ابن ناصر بسنده عن وهب بن منبه قال قال الحواريون : يا عيسى من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ فقال عيسى عليه السلام : الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا ما علموا أن سترتهم ، فصار استكثارهم منها استقلالاً وذكروهم إياها فواتاً ، وفرحهم بما أصابوه منها حزناً ، فما عارضهم من نائلها رفضوه أو من رفعها بغير الحق وضعوه ، خلقت الدنيا عندهم فليسوا يحدّدونها ، وخربت بينهم فليسوا يعمرونها ، وماتت في صدورهم فليسوا يُحيونها ، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، رفضوها فكانوا برفضها فرحين ، وباعوها فكانوا يبيعها

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط بجمع الزوائد ٢٧٠/١٠

(٣) أنظر بجمع الزوائد ٢٦٤/١٠

راجمين ، نظروا إلى أهلها صرعى قد حَلَّتْ بهم المثلثات ، فأحيوا ذِكر الموت وأماتوا ذكر الحياة ، يحبون الله ويحبون ذِكره ويستضيئون بنوره ، لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب ، بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، وبهم علم الكتاب وبه علموا ، ليسوا يرون نائلا ولا أمانا دون ما يرجون ولا خوفا دون ما يَحْذَرُونَ .  
وقد روى ذكر عدد الأولياء في أحاديث لاتصح .

أخبرنا أبو الحسن الأنصارى بسنده عن عطاء عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأبدال أربعون رجلا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة <sup>(١)</sup> » .  
أخبرنا محمد بن عبد الباقي بسنده عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن كعب رضى الله عنه قال : « لم يزل في الأرض بعد نوح عليه السلام أربعة عشر يُدْفَعُ بهم العذاب » .

أخبرنا ابن ناصر بسنده عن سفيان بن عيينة قال : قال أبو الزناد : لما ذهبت النبوة وكانوا أوتاد الأرض أخلف الله مكانهم أربعين رجلا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقال لهم الأبدال ، لا يموت الرجل منهم حتى ينشئ الله مكانه آخر يخلفه وهم أوتاد الأرض ، لم يَفْضَلُوا الناس بكثرة الصيام ولا بكثرة القيام ولا بِحُسْنِ التَّخَشُّعِ ولا بِحُسْنِ الْحِلْيَةِ بل بصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب والنصيحة لجميع المسلمين ، وعلامة ذلك أنهم لا يعلنون شيئا ولا يؤذنون أحدا ، ولا يتناولون على أحد تحتهم ولا يحقرونه ، ولا يحسدون أحدا فوقهم ، ليسوا بمتخشعين ولا متماوتين ولا معجبين ولا يحبون الدنيا ، ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة .



رمضانُ القوم دائم وشواهم كذلك صائم ، وأعيادهم سرورُ القوم بالحبوب ، وأفراحهم بكامل التقي وترك الذنوب ، إذا جنَّ عليهم الليل عادت القلوب بالمناجاة جُودا ،

(١) مجمع الزوائد ٦٢/١٠ إلى قوله : رجلا .

وإذا جاء النهار سلكوا من الجِدِّ جَدًّا<sup>(١)</sup> ، يجمعون همهم فيما أهمهم إذا بات همُّ  
الفاقل بَدًّا ، جزموا على ما عزموا وما انهزموا ، أبدا أعيادهم بقرِّب القلوب إلى المحبوب  
دائمة ، وأقدامهم في الدجى على باب اللجأ<sup>(٢)</sup> قائمة ، وأرواحهم بالاشتياق إلى الملك  
الخالق هائمة ، قرَّ بهم مولاهم وأدنى فالنفوس عن الفاني الأدنى صائمة ، تزيَّنت لهم  
لذات الدنيا مما فا وجدت في قلوبهم لها موضعا ، لما وجدوا كسرةً وخَلَقًا<sup>(٣)</sup> أقنعا .

\*\*\*

قالوا غدا العيدُ ماذا أنت لابسه      فقلت خِلْقَةً<sup>(٤)</sup> ساقٍ حُبِّه جُرْعًا  
قَرَّ وصَبَّرَها ثوبانِ تحتهما      قلبٌ يرى إلفه الأعيادَ والجمعا  
أُحْرَى لِلْلايسِ أَنْ يُلقَى الحبيبَ بها      يومَ التزاوَرِ في الثوبِ الذي خَلَعَا  
الدهرلى مَأْنَمٌ إِنْ غَبَّتْ يَأْمَلِي      والعيد ما كنت لى مَدًّا ومُسْتَمِعَا  
إخوانى : ليس العيد ثوبًا يجرُّ الخيلاء جره ، ولا تناول مطعم بكفٍّ شره لا يؤمن  
شره ، إنما العيد لبس توبة عاصٍ نَأْبٍ يسرَّ بقدم قلبه غائب .

أخبرنا أبو بكر الصوفى بسنده عن الحيرى ، عن ابن باكوية الشيرازى قال :  
أنشدنى أبو الحسن الحنظلى قال سمعت الشبلى ينشد يوم العيد :

ليس عيدُ الحب قَصْدُ المصلَّى      وانتظار الخطيبِ والسلطانِ  
إنما العيد أن تكون لدى الـ      حُبِّ كريمها مقربا فى أمانِ  
يامن وقى رمضان على أحسن حال ، لاتغير بعده فى شوال ، يامن رأى العيد ووصل  
إليه ، متى تشكر المنم وتثنى عليه ، كم من صحيح هيأ طيب عيده ، صارذاك الطيب فى تلحيده ،  
سليتهم والله أيدى المنون ، فأنزلتهم قفراً ليس بمسكون ، فهم فى القبور بعد البيان خرسون ،  
ومن نيل آمالم أو بمضها آيسون ، وهكذا أنتم عن قريب تكونون ، وقد لَّهم على صدق

(١) الجدد : الأرض الطليظة الخوية . وأجد : سلكها .

(٢) اللجأ : المنقل واللاد ، كاللجأ .

(٣) الخلق : الثوب البالى .

(٤) الخلفة : القطرة .

قولى ماتعملون ، أما ترون الأتراب كيف يتقبلون ، أترى ضلّت الأفهام أم عميت العيون ،  
أفسحروا هذا أم أنتم لاتبصرون .

إلى متى ترضون من العمل بالفاسد ومن السلع بالكاسد ، وتنسون الحتف الرابض  
المستأسد ، لقد أشتتم بكم كل حاسد ، يامظهرون ضد ما به الكتاب وارد ، إلى متى  
تُبهرجون والبصيرُ ناقد ، كيف يكون حالكم وهو عليكم شاهد :

عجبتُ من مستيقظ القلبُ منه راقِدُ  
مضيقٌ لدينه وللذنوب زائدُ  
كأنه على مَدَا ه مُهملٌ وخالدُ  
فأحسنوا أعمالكم فهي لكم قلائدُ  
ولا تُضيعوا واجباً واجتهدوا واجهدوا

\*\*\*

لله در أقوام تلمّحوا المواقب فعملوا عمل مراقب ، وجاوزوا الفرائض إلى طلب  
المناقب ، علّت همهم عن الدنيا وارتفعت ، وكفّت الألف عن الأذايا وامتنعت ، ووسّعت  
خطاها إلى الفضائل وسّعت ، من يحبّ العزّ يدأب إليه ، وكذا من طلب الدرّ غاصّ  
عليه ، كانوا إذا ابتلاهم مولاهم يصبرون ، وإذا أعطاهم مناهم يشكرون ، وإذا استراح  
البطالون يدأبون ، فلو رأيتهم يوم يقول « هذا يومكم الذى كنتم توعدون » « لا خوف  
عليهم ولا هم يحزنون »

زال الخوف عنهم واندفع ، فأفادهم حزنهم فى الدنيا ونفع ، وتمّ السرور لهم واجتمع ،  
وزال الحجاب بينهم وبينه وارتفع ، فهم إلى وجه الكريم ينظرون « لا خوف عليهم  
ولا هم يحزنون » .

\*\*\*

قوله تعالى : « الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

قطعوا بوحدايته واجتمعوا على طاعته ، وامتنعوا من مخالفته وارتبضوا في رياض معرفته ، واضطبعوا بأردية خدمته ، واطعموا بالعلوم على هيئته ، فيابشراهم يوم يحضرون « الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

امتلأوا ما أمرهم به مولاهم ، واجتنبوا ما عنه نهاهم ، فإذا أخرجهم من الدنيا وتوفاهم استقبلوا الروح والريحان وتلقاهم ، فإذا حضروا لديه أكرم مشواهم ، وكشف الحجاب فأنشدهم وأراهم ، وهذا غاية ما كانوا يأملون « الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

كانوا يتقون الشرك والمعاصي ، ويحجمون على الأمر بالخير والتواصي ، ويحذرون يوم الأخذ بالأقدام والتواصي ، فاجتهدوا في لحاقهم أيها العاصي ، قبل أن تبغتك المنون « الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

\*\*\*

### قوله تعالى

« لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة »

روى جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو تُرى له <sup>(١)</sup> » .

كانت قلوبهم في خدمته حاضرة ، ونفوسهم على طاعته مثابرة ، وألسنتهم على الدوام ذاكرة ، وهمهم إلى ما يرضيه مُبادرة « لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

منازلهم عنده عظيمة ، وأنفسهم عليه كريمة ، كانت قلوبهم من الشك سليمة ، ساروا إلى الجهاد على خيل العزيمة ، فإذا وقعاتهم للعدو كاسرة « لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

زَمُّوا مطايا الصَّدق وساروا ، وجالوا حول دار الكريم وداروا ، ونهضوا

(١) أخرجه الترمذي عن عبادة بن الصامت . تيسير الوصول ١/١٤٣

إلى مراضيه وثاروا، وطلبوا عدوهم فأوقعوا به وأغاروا، فباحسنيهم إذا توجهوا إلى الصلاة واستداروا، والدموع في تحاريهم ماطرة « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .  
أقبل القوم فقبلوا . وعرفوا لماذا خلقوا فعملوا ، إذا رجع الناس إلى لذاتهم عادوا إلى عباداتهم ، وإذا سكن الخلق إلى أوطانهم سكنوا إلى حرقات أشجانهم ، وإذا أقبل التجار على أموالهم أقبلوا على تفقد أحوالهم ، وإذا التذ الغافلون بالنام على جنوبهم تلذذوا في القيام بكلام محبوبهم ، فلو ذقت من كنوس الناجاة الدائرة في خيمة الدجى الدائرة « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

نصبوا الآخرة بين أيديهم وجدوا ، ومثلوا المنادى يناديهم فاستعدوا ، وتضرعوا في طلب الإعانة فأمدوا ، وأقبلوا إلى الباب صادقين فما ردوا ، فجازوا بالأرباح الجمة الوافرة « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

أقلقهم ذكر الذنوب فناموا ، وشوقهم رجاء المطلوب فقاموا ، وذكروا العرض يوم تبديل الأرض فاستقاموا ، وتفكروا في تصرم العمر فاجتهدوا وداموا ، وتذكروا سالف الذنب فوئحو النفوس ولاموا ، وبانت أعينهم ساهرة لذكر أرض الساهرة « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

أذبلوا الشفاء يطلبون الشفاء بالصيام ، وأنصبوا لما انتصبوا الأجساد يخافون المعاد بالقيام ، وحفظوا الألسنة عما لا يعنى عن فضول الكلام ، وأناخوا على باب الرجاء في الدجى إذا سجدى الظلام ، فأنشأوا محاليل طمعهم في العفو فإذا الأظافر ظافرة « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

يا هذا سبقك القوم وتحلفت ، ومضى أكثر العمر وتسوّفت ، ثم تعصى المنعم بالنعم فما أنصفت ، وتؤثر الضلال على الهدى وقد عرفت ، أما تخاف أن تقول إذا حضرت ووقفت « تلك إذا كربة خاسرة » .

بامن بين يديه الحساب والصراط ، وهو عظيم الجرأة كثير الانبساط ، متكاسل في



الطاعات وفي المعاصي ذو نشاط ، يُدْعَى إلى العلوّ ويَأْتِي إلا الانهباط ، أمؤمنة هذه النفس  
بالوعيد أم كافرة .

يا مبارزاً مولاه لم يخف من بطشه ، يامقبلاً على الهوى لاتفتتر بنفسه ، تفكر في من  
سكن الثرى بعد لين فرشه ، وانتبه بالتعريض قبل ظهور التصريح بفحشه . أما أبقاك  
وأراك سيواك محمولاً على نعشه إلى أن ألقى في الحافرة .

يا خاسراً فاته جزيل الأرباح ، يا من أبعدته عنا خطاياهِ القباح ، يا من لو انتبه لنفسه  
لبكى عليها وناح ، أتا من عليها أن تؤخذ على بعض الاجتراح ، فيفعل بها فاقرة .  
أيقظنا الله وإياكم من هذه الرقدة وحفظ إيماننا ولا أذاقنا فقده .

## المجلس العاشر

### في عشر ذى الحجة

الحمد لله العالم بعدد الرمل والنمل والقطر ، ومصرف الوقت والزمن والذهب ، الخبير مخافى السر وسامع الجهر ، التقدير على ما يشاء بالعز والقهر ، أقرب إلى العبد من العنق إلى النحر « هو الذى يسيركم فى البر والبحر » .

القديم فلا إله سواه ، الكريم فى منحه وعطاياه ، القاهر لمن خالقه وعصاه ، خلق آدم بيده وسواه واستخرج ذريته كالذرة . أنعم فلا فضل لغيره ، وقضى بنفع العبد وضره وأمضى القدر بشره وخيره ، فحث على الشكر والصبر . أحاط علما بالأشياء وحواها ، كيف لا وهو الذى بناها ، وقهر المضادات فسواها بلا معين يمدده بالنصر . لا كيف له ولا شبه ولا يجوز عليه التشبيه ، عالم السر وما يعرض فيه ، متنزّه عن تصور الفكر . أقسم فى القرآن بصنعه ، والقسم على الحقيقة بقدرته ، فتأمل ما تحت القسم من فائدته « والفجر وليالٍ عشر والشفع والوتر » .

أحمده حمدا ليس له نهاية ، وأقر له بالتوحيد فكم دلت عليه آية ، وأصلى على رسوله محمد الذى مارذت له راية ، صلاة تصل إليه فى القبر . وعلى ضجيعه أبى بكر الصديق وعمر الشديد فى الحق الوثيق وعثمان المحب الشفيق وعلى الرفيع القدر ، وعلى عمه أبى الفضل العباس ، الشريف الأصل كريم الأغراس ، الذى نسبه فى الأنساب لا يقاس .

\*\*\*

قال الله تعالى : « والفجر وليالٍ عشر » الفجر : ضوء النهار إذا انشق عنه الليل .  
وفى المراد بهذا الفجر ستة أقوال :

أحدها : أنه الفجر المعروف الذى هو بدء النهار . قاله على بن أبى طالب وعكرمة وزيد ابن أسلم والقرطبي . والثانى : صلاة الفجر . والثالث النهار كله ، فعبر بالفجر عنه لأنه أوله .

والأقوال الثلاثة عن ابن عباس . والرابع أنه فجر يوم النَّحْرِ خاصة . قاله مجاهد .  
والخامس : فجر أول يوم من ذى الحجة . قاله الضحاك . والسادس : أول يوم من الحرم  
تَنفَجِرُ منه السَّنة . قاله قتادة .

قوله عز وجل : « وَلَيَالٍ عَشْرٍ » فيها أربعة أقوال : أحدها أنه عَشْر ذى الحجة .  
رواه عطية عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ومسروق وقتادة والضحاك والسُّدِّي ومقاتل  
والثاني : أنها العشر الأواخر من رمضان قاله أبو ظَبْيَان عن ابن عباس . والثالث :  
العشر الأول من رمضان . قاله الضحاك . والرابع : العشر الأول من الحرم . قاله يمان  
ابن رثاب .

قوله تعالى : « وَالشَّعْ وَالْوَتْر » قرأ حمزة والكسائي : « وَالْوَتْر بكسر الواو  
وفتحها الأكثرون ، وهما لفتان والكسر لقريش وتميم وأسد ، والفتح لأهل الحجاز .  
وللفسرين في الشفع والوتر عشرون قولاً : أحدها : أن الشفع يوم عرفة ويوم  
الأضحى ، والوتر ليلة النحر . رواه أبو أيوب الأنصاري رضى الله عنه عن النبي صلى الله  
عليه وسلم .

والثاني : أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة . رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم .  
والثالث : أن الشفع والوتر الصلاة ، منها شفع ومنها وتر . رواه عمران بن حصين  
عن النبي صلى الله عليه وسلم .

والرابع : أن الشفع الخلق كله ، والوتر الله عز وجل . رواه عطية عن ابن عباس .  
والخامس : أن الوتر آدم شُفِعَ بزوجه عليهما السلام . رواه مجاهد عن ابن عباس .  
والسادس أن الشفع يومان بمعد يوم النحر وهو النَّفَر الأول والوتر اليوم الثالث  
وهو النفر الأخير . قاله عبد الله بن الزبير .

والسابع : أن الشفع صلاة الفداة والوتر صلاة المغرب . حكاه عطية العوفي .  
والثامن : أن الشفع الركعتان من صلاة المغرب والوتر الركعة الثالثة . قاله أبو العالية .

والربيع بن أنس . والتاسع : أن الشفع والوتر الخلق كله منه شفع ومنه وتر . قاله ابن زيد .

والعاشر : أن العدد منه شفع ومنه وتر . قاله الحسن . والحادي عشر أن الشفع عشر ذى الحجة والوتر أيام من الثلاثة قاله الضحاك .

والثاني عشر : أن الشفع هو الله لقوله تعالى « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم <sup>(١)</sup> » والوتر هو الله لقوله تعالى : « قل هو الله أحد » قاله سُفيان بن عُيينة .

والثالث عشر : أن الشفع آدم وحواء ، والوتر هو الله تعالى . قاله مقاتل بن سليمان . والرابع عشر : أن الشفع هو الأيام والليالي والوتر اليوم الذى لا ليلة معه وهو يوم القيامة . قاله مقاتل بن حيان .

والخامس عشر : أن الشفع درجات الجنات لأنها ثمان ، والوتر دركات النار لأنها سبع ، فكان الله عز وجل أقسم بالجنة والنار . قاله الحسين بن أبى الفضل .

والسادس عشر : أن الشفع تضاداً لأوصاف المخلوقين : عزّ وذل ، وقُدرة وعجز ، وقوة وضعف ، وعلم وجهل ، وحياة وموت . والوتر انفراد صفة الله سبحانه : عزّ بلا ذل ، وقدرة بلا عجز ، وقوة بلا ضعف ، وعلم بلا جهل ، وحياة بلا موت . قاله أبو بكر الوراق . والسابع عشر : أن الشفع الصفا والمروة ، والوتر البيت .

والثامن عشر : أن الشفع مسجد مكة والمدينة ، والوتر بيت المقدس .

والتاسع عشر : أن الشفع القرآن فى الحج والتمتع ، والوتر الأفراد .

والعشرون : الشفع العبادات المتكررة كالصلاة والصيام والزكاة ، والوتر العبادة التى لا تتكرر وهى الحج . حكى هذه الأربعة أبو إسحاق الثعلبي .



قوله تعالى : « والليل إذا يسر » قرأ ابن كثير ويعقوب : « يسرى » بياء فى

الوصل والوقف وواقعهما في الوصل نافع وأبو عمرو وقرأ ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي : « يَسْرٍ » بغيرياء في الوصل والوقف .

قال اللغويون منهم القرءاء والزجاج : والاختيار حذف حرف الياء لثلاثة أوجه : أحدها : لمشاركتهما من الآيات . والثاني لاتباع للصحف . والثالث أن العرب قد تحذف الياء وتكتفى منها بكسر ما قبلها ، وأنشدوا :

كفَّاكَ كَفًّا ما يُبْلِقُ <sup>(١)</sup> درهماً جُودًا وأخرى تُعْطِ بالسيف الدما  
وفي قوله تعالى : « يَسْرٍ » قولان : أن الفعل لليل ، ثم في ذلك قولان : أحدهما إذا يَسْرَى ذاهباً . رواه عطية عن ابن عباس ، وهو قول الجمهور . والثاني : إذا يَسْرَى مُقْبِلاً . قوله قتادة .

والقول الثاني : الفعل لغيره ، والمعنى : إذ يَسْرَى فيه ، كما يقال ليلٌ نائمٌ أى يُنَام فيه .  
قوله الآخر .

\*\*\*

قوله تعالى : « هل في ذلك » أى فيما ذكر « قَسَمَ لذى حِجْرٍ » أى عقل . وسى الحِجْر حِجْرًا لأنه يحجر صاحبه عن القبيح ، وسى عقلاً لأنه يَقِلُّ عما لا يَحْسُن ، وسى النهى لأنه يَنْهَى عما لا يَحْمِل . ومعنى الكلام : أن من كان ذا لُبٍّ عِلِمَ أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء فيه دلائل على توحيده وقدرته فهو حقيق أن يَقْسَمَ به .

وجواب القسم : « إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ » فاعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ »

والمشهور أن المراد بالمرشد عشر ذى الحجة .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من أيامٍ العملُ الصالح فيها أحبَّ إلى الله عز وجل من هذه الأيام » يعنى أيام العشر . قالوا : يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله عز

(١) ما يبلق : ما يمسك ، ومى كناية عن السكرم .

وجل؟ قال: « ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء »

انفرد بإخراجه البخاري (١)

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مامين أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن التهليل والتكبير والتحميد » (٢)

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن أفضل أيام الدنيا العشر . قالوا يا رسول الله ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: ولا مثلهن في سبيل الله إلا من عفر وجهه في التراب . »

وقد روى في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أن كل يوم من أيام العشر يعدل صيام سنة ، وليلة جمع تعدل ليلة القدر . قال أبو عثمان النهدي : كانوا يعظمون ثلاث عشرات : العشر الأول من ذي الحجة ، والعشر الأخير من رمضان ، والعشر الأول من الحرم :

\*\*\*

اعلموا رحمكم الله أن عشركم هذا ليس كعشر ، وهو يحتوى على فضائل عشر :

الأولى : أن الله عز وجل أقسم به فقال : « وليال عشر » (٣)

والثانية : أنه سماه الأيام المعلومات فقال تعالى : « ويذكروا اسم الله في أيام معلومات » (٤) قال ابن عباس : هي أيام العشر .

والثالثة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له بأنه أفضل أيام الدنيا .

والرابعة : حث على أفعال الخير فيه .

(١) صحيح البخاري كتاب العيدين باب رقم ١١ وأخرجه أحمد في مسنده ٢٢٤/١ ، ٢٢٨/٢ ، ٧٥/٢ ، ١٣٢ . وابن ماجه في كتاب الصيام باب صيام العشر حديث رقم ١٧٢٧ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٧٥/٢ .

(٣) سورة الفجر ٢ (٢) سورة الحج ٢٨

والخامسة : أنه أمر بكثرة التسبيح والتحميد والتهليل فيه .  
والسادسة : أن فيه يوم التَّروية . وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام العشر فله بكل يومٍ صوم شهر ، وله بصوم يوم التروية سنة <sup>(١)</sup> » قال الزاهدي : وإنما سمي بيوم التروية لأن عرفات لم يكن بها ماء فكانوا يترَوَّون من الماء إليها .

والسابعة : أن فيه يوم عرفة وصومه بستين .  
والثامنة : أن فيه ليلة جَمْع وهي ليلة المزدلفة ، وقد سبق بيان فضلها .  
والتاسعة : أن فيه الحج الذي هو ركن من أركان الإسلام .  
والعاشرة : وقوع الأضحية التي هي علم للملة الإبراهيمية والشرعية المحمدية . ومن أراد أن يضحي كُره له إذا دخل عليه عشر ذى الحجة أن يأخذ بشرته وأن يَقلَمَ أظفاره أو يحلق شعره ، ولينسبه بالحرِّمين . ومن أصحابنا من قال يحرم ذلك كله .  
أخبرنا علي بن عبيد الله بسنده عن سعيد بن المسيَّب قال : سمعت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له ذبح يذبحه فإذا أهلَّ هلال ذى الحجة فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئاً حتى يضحي <sup>(٢)</sup> » .



مالنفسى عن معادى غفلت أتراها نسيت ما فعلت  
أيها المفرور في لهو الهوى كل نفس سترى ما عملت  
أفٌ للدنيا فكم تخدعنا كم عزيز في هواها خذلت  
رُبَّ ريجٍ بأناس عصفت ثم ما أن لبثت أن سكنت  
وكذاك الدهر في تصرّفه قدم زلت وأخرى ثبّتت

(١) أنظر الأحاديث في ذلك في مجمع الزوائد ١٨٩/٣ .  
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأضاحي حديث رقم ٤٢ والترمذي في كتاب الأضاحي باب ٢٢ وابن ماجه كتاب الأضاحي باب ١١ .

وَيْدُ الْأَيَّامِ مِنْ عَادَاتِهَا أَنَّهَا مُفْسِدَةٌ مَا أَصْلَحَتْ  
 أَيْنَ مِنْ أَصْبَحَ فِي غَفْلَتِهِ فِي سُرُورٍ وَمُرَادَاتٍ خَلَّتْ  
 أَصْبَحَتْ أَمَالُهُ قَدْ خَسِرَتْ وَدِيَارُ لَهْوِهِ قَدْ خَرِبَتْ  
 فَفَدَتْ أَمْوَالَهُ قَدْ فُرِّقَتْ وَكَانَ دَارَهُ مَأْسُكِنَتْ  
 جُزْ عَلَى الدَّارِ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ ثُمَّ قُلْ يَادَارُ مَاذَا فَعَلْتُ  
 أَوْجَهُ كَانَتْ بُدُورًا طُلَعًا وَشُمُوسًا طَالَمًا قَدْ أَشْرَقَتْ  
 قَالَتْ الدَّارُ تَفَانُوا فَضَوَا وَكَذَا كُلُّ مُقِيمٍ إِنْ ثَبَتَ  
 عَابَنُوا أَفْعَالَهُمْ فِي تَرْبِهِمْ فَاسْأَلِ الْأَجْدَاثَ عَمَّا اسْتُودِعَتْ  
 كُلُّ نَفْسٍ سَوْفَ تَلْقَى فِعْلَهَا وَنَحْ نَفْسٍ بِهَوَاهَا شُغِلَتْ  
 إِنَّمَا الدُّنْيَا كَظَلٍّ زَائِلٍ أَوْ كَأَحْلَامٍ مِنْامٍ ذَهَبَتْ

\*\*\*

أَيْنَ مِنْ مَلِكٍ وَقَهْرٍ ، وَاسْتَعْمَلَ فِي حَفْرِ النَّهْرِ وَنَهَرٍ ، ضَمَّ الْمَوْتَ ذَلِكَ الْبَشَرَ ، وَأَخَذَ  
 التَّائِفُ ذَلِكَ الشَّرَرَ ، وَنَهَضَتْ الْآفَاتُ قَوِيَّاتِ الْمَرَرِ ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَا يُصْلِحُ الْأَشْرُ الْبَشَرَ ،  
 وَاسْتَبَانُوا أَنْ يَبْعَهُمْ بَيْعَ الْفَرَرِ .

كَمْ رَاعَتْ الْمَنُونُ مِيرَافًا سَرِبًا ، كَمْ أَثَارَتْ قَسْطًا<sup>(١)</sup> وَحَرَبًا ، تَالَهُ لَقَدْ جَالَتْ بُعْدًا  
 وَقُرْبًا ، فَاسْتَلَبَتْ الْبَعْدَى وَذَوَى الْقُرْبَى ، كَمْ عَمَرَتْ بِخَرَابِ دُورِهِمْ تَرْبًا ، فَسَلَّ بِهَا حَالُ  
 سَلْبِهَا كَيْفَ اسْتَلَبْتَهُمْ سَلْبًا .

أَيْنَ مَلُوكُهَا وَأَمْرَاؤُهَا ، وَمُدَّاحُهَا وَشِعْرَاؤُهَا وَسُحْرَاؤُهَا وَخُدَامُهَا ، وَأَحْرَارُهَا  
 وَعَبِيدُهَا وَأَسْرَاها وَغَنَاؤُهَا بِالْأَمْوَالِ وَثَرَاؤُهَا ، بَاكَرْتَهُمْ وَاللَّهُ بُكَرَاؤُهَا<sup>(٢)</sup> فَاعْجَزَ  
 إِبْطَاءُهُمْ إِبْرَادَهَا<sup>(٣)</sup> ، فَضَمَّتْهُمْ عَنْ قَلِيلٍ صَحْرَاؤُهَا :

أَمَّا الْجَدِيدَةُ إِنْ مِنْ ثَوْبِي وَمِنْ جَسَدِي فَيَبْيَاقَانِ وَلَا يَبْلِي الْجَدِيدَانِ

(١) القسطل : الفبار . (٢) كذا ولعلها جمع بكير . كأمير وأمراء .

(٣) كذا والإبراد : الدخول في آخر النهار .



يُرْدُ الشباب وَيُرْدُ الناسِجَ ابتذلاً وهل يدوم على البرْدَيْنِ بُرْدَانِ  
الدهرُ لَوْنَانِ أَعْيَا ثَاثٌ لهما وكم أُنَاكَ بِأَشْبَاهِ وَأَلْوَانِ  
لو كان يعرف ديناه مصاحبها أرادها لعدوّ دون إخوان  
وما أبالي وأرداني مبرّأة من الميوب إذا ما الحُتْفُ أُرْدَانِي<sup>(١)</sup>

\*\*\*

يامن قد سارت بالمعاصي أخباره ، يامن قد قَبِحَ إعلانه وإسراره ، يافقيرا من  
أهدى أهلكه إعساره ، أتؤثر الخسران قل لي أو تختاره ، يا كثير الذنوب وقد دنا  
إحضاره ، يا مأسورا في حبس الزلل لا يننعه إحضاره ، نقدك بهرج إذا حك معياره ، كم  
رُدَّ على مثلك درهمه وديناره ، يا محترقا بنار الهوى متى تخبوناره ، مايكين قلبك لغامز ،  
وما يرى لما تشهى متجاوز ، ما هذ الفعل فعل فائز ، إن مطيع الزمان حال عاجز ، وإن  
بين يديك لمفاوز ، فيها أهوال وهزاهز<sup>(٢)</sup> قومك ولا تستوى ، من يغير الفرائز ؟

أيتها النفس اسمعى لقلبي أنت من الحياة في أصيل  
وفي غرور أمل طويل فلا يفرّتك ضحى التأميل  
قد دنت شمك للأفول

\*\*\*

عباد الله : هذه الأيام مطايا فأين العُدَّة قبل للنايا ، أين الأتفة من دار الأذايا ، أين العزائم  
أرضيت بالدنايا ، إن بليّة الهوى لا تشبه البلايا ، وإن خطيئة الإصرار لا كالخطايا ، يامستورين  
ستظهر الخبايا ، سرية الموت لا تشبه السرايا ، قضية الزمان ليست كالتضاي ، راعى السلامة يقتل  
الراعايا ، رامي المنون يُصمى<sup>(٣)</sup> الرمايا ، ملك الموت لا يقبل الهدايا . أيها الشاب ستسأل  
عن شبابك ، أيها الكهل تأهب لعتابك ، أيها الشيخ تدبر أمرك قبل سد بابك ، كنت  
في بداية الشباب أصالح ، فياعجبا كيف أفسد من أصالح ، يامريض القلب قف بباب الطيب ،

(١) أرداني : أهلكني (٢) الهزاهز : الدوامي والشدائد .

(٣) يصمى : يقتل ، يقال : رماه فأصماه ، إذا أصاب مقتله .

يأبىخوس الحظ اشكُ فواتَ النصيب ، لذَّ بالجناب ذليلاً ، وقف على الباب طويلاً ، واتخذ  
في هذا العُشر سبيلاً ، واجعل جناب التوبة مَقِيلاً ، واجتهد في الخير تجد ثواباً جَزِيلاً ، قل في  
الأسحار : أنا نائب ، نادِ في الدجى : قد قَدِمَ الغائب :

أنا المسىء المذنب الخاطي المفرط البين إفراطي  
فإنا تعاقبُ أنا أهل له وأنت أهل العفو عن خاطي  
ألجأني إلى الذل أنا الجاني ، وألقاني الزلل على باب الأسف بدمعي القاني ، ولقد أفرح  
شأنى<sup>(١)</sup> من خوف شأنى شأنى :

اغف عني وأقلني عثرتي يا عمادي للمعات الزمن  
لا تعاقبني فقد عاقبني ندمٌ أتلف رُوحى والدن  
لا تطير وسناً عن مقلّة أنت أهديت لها طيب الوسن  
إن تواخذني فمن ذا أرتنجي وإذا لم تَعف عن ذنبي فمن

الكلام على قوله تعالى

« ألم تر كيف فعل ربك بعادٍ »

خَوَّفَ المخالفين ما فعل بنظرائهم . وفي إرم أربعة أقوال : أحدها : أنه اسم أمة من  
الأمم ، ومعناه : القديمة . قاله مجاهد . والثاني : أنه اسم قبيلة من قوم عاد . قاله قتادة .  
والثالث : أنه اسم لجد عاد لأنه عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح . قاله إسحاق .  
وقد قرأ ابن مسعود وابن عمر : « بعادٍ إرمٍ » على الإضافة .

والرابع : أنه اسم بلدة .  
ثم فيها ثلاثة أقوال : أحدها أنها دمشق . قاله سعيد بن المسيب وعكرمة .  
والثاني : الإسكندرية . قاله محمد بن كعب . والثالث : أنها مدينة صنعها شَدَّاد بن عاد .  
قاله كعب .

فيخرج على قوله تعالى « ذات العماد » أربعة أقوال : أحدها : أنهم كانوا أهل عُمد وخيام . والثاني : أن المراد بالعماد : الطول . قاله الزجاج ، يقال : عمد إذا كان طويلا . والثالث : ذات الشدة . والرابع : ذات البناء المحكم . قوله تعالى : « التي لم يُخلق مثلها في البلاد » فيه قولان : أحدهما : القبيلة في طولها وقوتها . والثاني : المدينة .

أخبرنا عبد الخالق بن أحمد بن يوسف بسنده عن وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت ، فبينما هو في صحارى عدن <sup>(١)</sup> في تلك القلوات إذ هو قد وقع على حصن ، حول ذلك الحصن قصور كثيرة ، فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن إبله فإذا لا خارج ولا داخل . فنزل عن ناقته فمقلها ثم استل سيفه ودخل من باب الحصن فإذا هو ببايين عظيمين لم يرفى الدنيا شيء أعظم منهما ولا أطول . وفي البابين نجوم من ياقوت أبيض وياقوت أحمر تضيء البابين ما بين الحصن والمدينة ، فلما رأى الرجل أعجبه وتعاطفه الأمر فدخل فإذا هو بمدينة لم ير الرءاون مثلها قط ، فإذا هو في قصور كل قصر معلق تحته أعمدة من زبرجد وياقوت . ومن فوق كل قصر منها عُرف . ومن فوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، وكل مصارع تلك القصور وتلك الغرف مثل مصارع باب المدينة بالياقوت الأبيض والأحمر ، مفروشة تلك القصور وتلك الغرف باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران ، فلما عابن الرجل ذلك ولم ير أحدا هاله ذلك وأفزعه ثم نظر في الأزقة فإذا هو بشجر في كل زقاق منها قد أثمر ، وتحت الأشجار أنهار مُمطرده يجرى ماؤها في قنوات من فضة ، فقال الرجل إن هذه للجنة التي وصف الله عز وجل . ثم حمل معه من لؤلئها وزبرجدها ثم عاد إلى بلده فأظهر ما كان معه وأعلم الناس أمره . فبلغ ذلك معاوية بن أبي سفيان فكتب إلى صنعاء فجىء به فسأله عما رأى فأخبره . فأنكر ذلك ، فأراه ما قد أخذ منها لؤلؤا قد اصفر وبنادق مسك لم يجد لها ريحا فقتها فإذا ريح المسك ، فبعث إلى كعب

(١) عدن أبين : بخلاف بالين ، يقال إنه سمي بأبين بن زهير من سبأ . وانظر معجم البلدان ١١٠ (ط أوروبا) .

وقال : إني دعوتك إلى شيء رجوت أن يكون علمه عندك هل بلغك أن في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة عُمدها زبرجد وياقوت وحصباؤها لؤلؤ ؟ فقال : نعم هي إرم ذات العماد التي بناها شداد بن عاد . قال حدثنا حديثها . فقال : إن عاد الأول كان له ابنان شديد وشداد فهلك عاد وملك ابنه البلاد ولم يبق أحد إلا في طاعتها ثم مات شديد فملك شداد وحده فكانت له الدنيا جميعا ، وكان مَوْلَمًا بقراءة الكتب وكلما مرَّ بذكر الجنة دعتَه نفسه إلى أن يبنى مثلها عتوًّا على الله عز وجل ، فأمر على صنعها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان ثم قال : انطلقوا إلى أطيِّب فَلَاةٍ في الأرض وأوسعها فاعملوا إلى مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ تحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وفوق القصور غرف من فوق الغرف غرف واغرسوا تحت تلك القصور في أزقتها أصناف الثمار وأجروا تحتها الأنهار فإني أسمع في الكتب صفة الجنة وأنا أحب أن أجعل مثلها في الدنيا . فقالوا : كيف تقدر على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : أستم تعلمون أن ملك الدنيا كلها بيدي ؟ قالوا : بلى . قال فانطلقوا إلى معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وخدوا ما في أيدي الناس من ذلك . وكتب إلى كل ملك في الدنيا يأمره أن يجمع ما في بلاده من جواهرها ويحفر معادنها ، فجمعوا ذلك في عشر سنين ، وكان عدد الملوك مائتين وستين ملكا وخرج الفعلة فتبددوا في الصحارى فوقموا على صحراء عظيمة نقيّة من الجبال والتلال فإذا هم بعيون مطردة فقالوا : صفة التي أمرنا بها . فأخذوا بقدر الذي أمرهم من الطول والعرض وأجروا قنوات الأنهار ووضعوا الأساس وأرسلت إليهم الملوك بالزبرجد والياقوت والذهب والفضة واللؤلؤ والجوهر وأقاموا في ذلك ثلاثمائة سنة ، وكان عمرُ شداد تسعمائة سنة فلما أتوه فأخبروه بفرأغهم منها قال : انطلقوا فاجعلوا عليها حصنًا واجعلوا حول الحصن ألف قصر عند كل قصر ألف عَلم يكون في كل قصر وزير من وزرائي . ففعلوا ثم أخبروه فأمر ألف وزير من خاصته ومن يثق به أن يتهيأوا للنقلة إلى إرم ذات العماد وأمر من أراد من نسائه وخدمه بالجهاز فأقاموا في جهازهم عشر سنين ثم سار بمن أراد فلما بلغ إلى مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى

أصحابه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يدخل إرم ولا أحد ممن كان معه ولم يُقدَّر على أحد منهم حتى الساعة <sup>(١)</sup>.

وروى الشَّعْبِيُّ عن دَغْفَلِ الشَّيْبَانِيِّ عن علماء حمير قالوا : لما هلك شدَّاد بن عاد ومن معه من الصيحة ملك بعده ابنه ابن شداد وقد كان أبوه خلَّفه بحضرموت على ملكه وسلطانه فأمر بحمل أبيه من تلك المغارة إلى حضرموت وأمر فحُفرت له حَفِيرَةٌ في مغارة فاستودعه فيها على سرير من ذهب وألقي عليه سبعين حُلَّةً منسوجةً بقضبان الذهب ووضع عند رأسه لوحاً عظيماً من ذهب وكتب عليه :

اعتبر بني أيها الله	رُورُ بالعمر المديد
أنا شدَّاد عاد	صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبا	ساء وللك الشديد
دان أهل الأرض لي	من خوف وعيدي
وملكت الشرق والغر	ب سلطان شديد
وبفضل الملك والمدة	ة فيه والعديد
فآتي هود وكنا	في ضلال قبل هود
فدعانا لوقبلنا	ه في الأمر الشديد
فمصيناه ونادي	تُ لأهل من مجيد
فأتقنا صيحة تهـ	وى من الأفق البعيد
فتوافينا كزرع	وسفا يبدا حصيد <sup>(٢)</sup>

(١) مثل هذه الأخبار عن كعب ووهب لا قيمة لها من الناحية التاريخية أو الدينية فهي صنع خيال تتهو به العجائب ، وليست تفلا عن ثقة ولا وصفا لشاهد .

(٢) السفا : كل شجر له شوك . والبيداء : الصحراء .

### قوله تعالى

« واثمود الذين جابوا الصخر بالواد »

قطمونه وبقبوه « وفرعون ذى الأوتاد » فيه ستة أقوال : أحدها : أنه كان يعذب الناس بأربعة أوتاد يشدم فيها ثم يرفع صخرة فتلقى على الإنسان فتشده . قاله ابن عباس . والثاني : أن المعنى : ذو البناء الحكم . قاله الضحاك . والثالث : أن المراد بالأوتاد الجنود ، كانوا يشدون ملكه . وهذه الأقوال الثلاثة عن ابن عباس . والرابع : أنه كان يبنى مناراً يذبح عليها الناس . والخامس : أنه كان له أربع أسطوانات يأخذ الرجل فيمد كل قائمة منه إلى أسطوانة فيعذبه . روى القولان عن سميد بن جبير . والسادس : أنه كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب به عليها . قاله عطاء وقتادة .

قوله تعالى : « الذين طغوا في البلاد » يعنى عاداً وثموداً وفرعون عملوا بالمعاصي وتجبروا على أنبياء الله تعالى فأكثروا فيها الفساد بالقتل والمعاصي .

« فصَبَّ عليهم رَبُّكَ سوط عذاب » قال ابن قتيبة : إنما قال : سوط عذاب لأن التعذيب قد يكون بالسَّوط . وقال الزجاج جعل سوطه الذى ضربهم به العذاب .

« إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِرْصَادِ » أى يرصد من كفر به بالمذاب . قال الأزهري : المرصاد المكان الذى يجد فيه الراصد العدو .

### سجع على قوله تعالى

« إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِرْصَادِ »

أين من أصبح بلذاته مغتبطاً ، أمسى فى صماته مُعْتَبَطاً ، أين من كان أمره فُرْطاً ، ندِمَ إذا ارتكب غلطاً ، أين من سلك سيلاً شَطَطاً ، نزل لحداً ما فيه وِطاً ، وجأه المَلَكُانُ فأفزعاً وأفَرطاً ، واقتضَحَ بقبيعه وانكشف الفُطَا .

ما بين يَوْمِ الْمِيعَاتِ وبين يَوْمِ الْغُرَيَاتِ  
إذا تَأَمَّلْتَ بعيداً إلا كما بين ها وهاتِ

قل للمشغولين بالفساد الواقفين مع العناد : إلى متى ظَلُمَ العباد ، كم مُسْتَلَب ما نال  
المрад « إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِرْصَادٍ » .

أما عادَ العذابُ على عاد؟ أما أَمْرَضَ وما عاد ، أين من ادَّعى الربوبية أو كاد؟ كاده  
الجبارُ فيمن كاد « إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِرْصَادٍ » . بينما هم في ظلم المظالم سَلَب على أقبح فعله الظالم ،  
فبات يقرع سِنَّ نادم ولكن لما عَثَرَ الجواد . أَخَذَ والله في مَضِيقِهِ ، وأَغَصَّ الموت بريقه ،  
وبقي متحيراً في طريقه لا ماء ولا زاد . كأنك بك قد بلغت النبوة ، وصرعت صرعةً  
تعجزك الأوبة . وقت تَعَرَّضَ يومئذ سِلَعُ التوبة ولكن وقت الكساد ، فلا تغتر بمالك  
وقصرك ، ولا تَعَجَّبَ بنهيك وأمرك ، ياطرأ الهوى ستؤخذ من وكرك وما تُعجز الصياد ،  
« إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِرْصَادٍ »

من لك إذا سئلت عن خلقك وجوزيت بأقبح عملك ، تالله إن تبَّت من ذلك  
فكل عَشْرَكَ أعياد .

كم أَرشدك إلى رَشادك وأنت على فسادك ، كم أَدعوك إلى إسعادك وأنت مع سعادك ،  
ضُرب بوقُ رحيلك وما اهتمت بزادك ، أنا في وادٍ وأنت في وادٍ . لقد بالفتُ لك في النصائح  
وقت مُنذراً عَقْبِي القبايح ، والطريقُ واضح والعلم لا تخ ، « ومن يضلل الله فماله من هاد »  
والحمد لله وحده .

## المجلس الحادى عشر

### فى ذكر يوم عرفة

الحمد لله الذى لهيبته عظمته تحرك الساكن وارتج ، ولعظيم قدرته التطمت أمواج البحر ونج<sup>(١)</sup> ، ومن يسير بلائه استغاث الشديد الصبر وضج ، وإلى كثير عطائه قطع قاصدوه العميق الفج<sup>(٢)</sup> ، الذى أظهر فى شهركم هذا من دماء القرايين السفج والشج ، وأحب من أكثر الدعاء فيه وألج ولج ، وسماء ذا الحجة وشرع فيه إلى بيته الحج ، الذى استدعى من شاء إلى زيارة بيته العتيق ، وحرك عزم القاصد وأعانه بالتوفيق ، وسهل للسالكين إلى حرمة مستوعر الطريق ، ووعد الطائعين القبول وهو بإنجاز الوعد خليق ، وأزعج قاصديه عن مساكنهم وأخرجهم من أماكنهم بالتشويق ، فرضوا من أهلهم وفريقهم بالبعد والتفريق ، وسارت بهم الأينق<sup>(٣)</sup> عن الربع الأنيق ، وجدت بهم النجائب من كل بلد سحيق ، فأقبلوا بين ماش على قدميه استسماه يقين الصديق وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .

أحمد حمد موقن آمن به وعرفه ، وأشكره على إدراك ذى الحجة ويوم عرفة ، وأشهد له بنى المثل فى الذات والصفة ، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالرحمة والرافة وصفه ، صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبه أبى بكر الصديق الذى حالقه وما خالفه ، وعلى عمر الذى رفض الدنيا أفقة ، وعلى عثمان الذى جهز جيش المسرة وأسعفه ، وعلى على الذى ما أشكل علم إلا وكشفه ، وعلى عمه العباس الذى عظم الله بيته وشرقه .

عباد الله : إن يومكم هذا يوم قد عظم الله أمره ورفع على الأيام قدره . وقد روينا أن الله تعالى أقسم به فقال : « والشفع والوتر »<sup>(٤)</sup> فذكرنا عن النبي

(١) نج : سال . (٢) الفج : الطريق الواسع .

(٣) الأينق : جمع ناقة . (٤) سورة الفجر .



صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الشفعُ يوم النحر والوتر يوم عرفة » وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوله تعالى : « وشاهدٍ ومشهود »<sup>(١)</sup> قال : الشاهد والمشهود يوم عرفة .

ومن فضائله أن الله عز وجل أنزل فيه : « اليوم أكملت لكم دينكم »<sup>(٢)</sup> .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن طارق بن شهاب قال : جاء رجل من اليهود إلى عمر رضى الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال : وأى آية هي ؟ قال : قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » قال : فقال عمر رضى الله عنه : والله إنى لأعلم اليوم الذى نزل فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة التى نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نزلت عشية عرفة يوم الجمعة . أخرجه في الصحيحين<sup>(٣)</sup> .

ومن فضائله أن الله تعالى يباهى بالحاج فيه ملائكته ويم بالقرآن .

أخبرنا سعد الخير بن محمد ، عن يونس بن يوسف ، عن ابن السيب ، قال : قالت عائشة رضى الله عنها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهى بهم للملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء .

انفرد بإخراجه مسلم<sup>(٤)</sup> .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد بسنده عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهى بهم الملائكة فيقول : انظروا إلى عبادى أتوني شعثاً غبراً من كل فج عميق ، أشهدكم أنى

(٢) سورة المائدة

(١) سورة البروج

(٣) صحيح البخارى ١٠٣/٣ (كتاب التفسير) وصحيح مسلم كتاب التفسير حديث رقم ٥ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٣٦ ؛ وأخرجه أيضاً ابن ماجه كتاب المناسك باب الدعاء برفة .

قد غفرت لهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما من يوم أكثر عتيقا من يوم عرفة <sup>(١)</sup> .

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ بسنده عن أيوب عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن عَشِيَّةَ عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ : انظُرُوا إِلَى عِبَادِي هَؤُلَاءِ شُعْنًا غَيْرًا جَاءُوا مِن كُلِّ فَتْحٍ عَمِيقٍ ضَاجِّينَ بِأَلْوَنِي <sup>(٢)</sup> رَحْمَتِي وَلَمْ يَرُونِي وَيَتَمَوَّذُونَ بِي مِنْ عَذَابِي وَلَمْ يَرُونِي . فَلَمْ يَرِ يَوْمٌ أَكْثَرَ عَتِيقًا وَلَا عَتِيقَةً مِنْهُ ، وَلَا يَفْقَرُ اللَّهُ فِيهِ لِحَتَالِ <sup>(٣)</sup> »

أخبرنا إسماعيل بن أحمد ، قال أخبرنا أبو الفنائم بن أبي عثمان بسنده عن الصباح ابن موسى ، عن أبي داود الشَّعْبِي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يَبْقَى أَحَدٌ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا غُفِرَ لَهُ . قَالَ رَجُلٌ : لِأَهْلِ مَعْرِفٍ <sup>(٤)</sup> يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ لِلنَّاسِ عَامَةٌ ؟ قَالَ : لَا بَلْ لِلنَّاسِ عَامَةٌ .

فَأَمَّا ثَوَابٌ صَائِمِيهِ فَأَخْبَرَنَا ابْنُ الْحَصِينِ بِسَنَدِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبُدٍ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ فَقَالَ : « كَفَّارَةٌ سَنَتَيْنِ » .

وَأَخْبَرَنَا هَذَا عَلِيًّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَنْمَاطِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبُدٍ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ صِيَامَ يَوْمِ عَرَفَةَ ؟ قَالَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْفُرَ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ .

انفرد بإخراجه مسلم <sup>(٥)</sup> . وَفِي أَنْظَرٍ : إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْفُرَ السَّنَةُ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةُ الَّتِي بَعْدَهُ »

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٢٤/٢ ، ٣٠٥ . والطبراني في الصغير والكبير . ورجال أحمد موقوفون . مجمع الزوائد ٢٥٢/٣ .

(٢) الرواية في مجمع الزوائد : ولم يروا رحمتي ولم يروا عذابِي .

(٣) رواه أبو يعلى بن خنيس وفيه محمد بن مروان المقلبي وثقه ابن معين وابن حبان وفيه بعض كلام وفيه رجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ٢٥٣/٣ . (٤) كذا في ت . وفي ب : لأهل معروف . ومعرف :

الموقف يعرفات (٥) صحيح مسلم كتاب الصوم حديث رقم ١٩٦

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن حماد بن سلمة عن عطاء الخراساني أن عبد الرحمن ابن أبي بكر دخل على عائشة رضي الله عنها يوم عرفة وهي صائمة والماء يرش عليها فقال لها عبد الرحمن : أفطري . قالت أفطر وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن صوم يوم عرفة يكفر العام الذي قبله »<sup>(١)</sup> .

واعلم أن صومه مستحب لغير الحاج . فأما الحاج فلا يستحب له صومه ليتقوى على الدعاء ولكونه ضيفا لله تعالى .

فأما ما يختص بالذكر فيه فنه التكبير عقيب الصلوات المفروضة فابتدأه في حق المحل : صلاة الفجر يوم عرفة . وفي حق المحرم صلاة الظهر من يوم النحر ، ويجتمعان في صلاة العصر آخر أيام التشريق . وصفة التكبير شفع : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر والله الحمد .

ومن الأذكار ما أخبرنا به أبو الفتح ابن أبي القاسم بسنده عن حماد بن أبي حميد ، عن عمران بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير الدعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له للملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »<sup>(٢)</sup> .

وقد رويت صلاة ليوم عرفة ليس فيها شيء يصح ولا يثبت فلذلك تنكبتناها . وكان ابن عمر رضي الله عنهما يُحني ليلة النحر وقد ذكرنا في فضل إحياها حديثا فيما تقدم .

\*\*\*

---

(١) رواه أحمد . وعطاء لم يسمع من عائشة ، بل قال ابن معين : لأعله لقي أحداً من أصحاب النبي صل الله عليه وسلم . مجمع الزوائد ١٨٩/٣ .

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه كتاب الدعوات باب في دعاء يوم عرفة . قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد وهو أبو إبراهيم الأنصاري المدني وليس بالقوي عند أهل الحديث . صحيح الترمذي ٢٧٨/٢ ( ط الأميرية )

واعلموا أن يوم النحر يوم عظيم قال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الأيام عند الله عز وجل يوم النحر ثم يوم النَّفَر<sup>(١)</sup> » .

وقد سبق ذكر آداب العيد وما يُفعل في يوم النحر : أن لا يأكل حتى يفرغ من الصلاة وأن يضحي من أمكنه .

وفي حديث عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الأضحية « إنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفساً »<sup>(٢)</sup> .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : بكل شعرة حسنة . وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضى الله عنها : « قومى إلى أضحيتك فاشهديها فإن لك بكل قطرة من دمها أن يفر الله لك ما سلف من ذنوبك . قيل له : هذا لآل محمد خاصة ؟ قال بل هى لآل محمد وللناس عامة »<sup>(٣)</sup> .

أنبأنا أحمد بن على بن الجلى بسنده عن عيسى بن على بن عيسى بن داود بن الجراح ، قال قرئ على أبى القاسم بن زيد وأنا أسمع قيل له : حدثكم عمرو بن النضر الغزال ، عن عصمة ، عن أبى جعفر أنه قال « أول قطرة من دم الأضحية كفارة لأربعة آلاف خطيئة » .

ومن شرف يوم النحر أن الله سبحانه وتعالى ابتلى به الخليل بذبح ولده . وقد ذكرنا القصة في أول الكتاب .

### الكلام على البسمة

لك في الشيب أكبر الوعظ لو فكرت بامقرضا عن الوعظ صفحا  
أهدت الأربعون منه إلى كية ل عذاريك والفقار صبحا

(١) أخرجه أبو داود . ويوم النفَر هو اليوم الثاني من أيام التشريق .

(٢) أخرجه الترمذى في صحيحه وابن ماجه في كتاب الأضاحى .

(٣) رواه البزار وفيه عطية بن قيس وفيه كلام كثير ، وقد وثق . مجمع الزوائد ١٧/٤ .

عاد فَوَدَّكَ والنَّوَابِثَ وَالْعَمَا رَضَ فَجَرَا مِنْ بَعْدِ مَا كُنَّ جُنْحًا<sup>(١)</sup>  
 وَهَبَ الشَّيْبُ قَوْسَهُ لَكَ وَاعْتَمَا ضَ عَلَى الْكَرَّةِ مِنْ شِطَّاطِكَ<sup>(٢)</sup> رُنْحًا  
 عَمَلُ الْمَرْءِ كَالْتِجَارَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ بَرَى خُسْرَانَهَا وَالرَّجْحَا  
 فَلَحَى اللَّهُ مَعْشَرًا لَا يَرُونَ الدَّيَّ مَ ذَمًّا لَهُمْ وَلَا الْمَدَائِحَ مَدْحَا  
 كُلُّ ذِي غَفْلَةٍ تَرَاهُ بِخِيَلَا بِحُطَامِ الدُّنْيَا وَبِالْدِّينِ سَمَحَا  
 بَاتَ مِنْ جَهْلِهِ وَأَضْحَى بَظَنِّهِ مِيدَ فِطْرًا يَأْتِي عَلَيْهِ وَأَضْحَى  
 كَذَّبَتْهُ الظُّنُونُ مَا الْعَيْدُ إِلَّا لَا مَرِيءَ آمِنٍ مِنَ النَّارِ لَقَعَا

\*\*\*

لله در أقوام أعيادهم قبول الأعمال ، ومرادهم أشرف الآمال ، وأحوالهم تجري على  
 كمال ، وحِلَامُ التَّقَى وبِالهِ مِنْ جَمَالِ .

أنا زاهر بن طاهر بسنده عن محمد بن يوسف بن عبد الله قال : سمعت أبا ثابت  
 الخطاب يقول : رأيت فتحا اللوصلى فى يوم عيد أضحى وقد شمَّ ريح العِنَازِ<sup>(٣)</sup> فدخل  
 إلى زقاق فسمعتة يقول : تَقَرَّبَ لِلتَّقَرُّبِ بِقُرْبَانِهِمْ وَأَنَا أَتَقَرَّبُ بِطُولِ حَزْنِي ، يَا مَحْبُوبَا كَمْ  
 تَرَكْنِي فِي أَرْقَةِ الدُّنْيَا مَحْزُونًا . ثُمَّ غَشِيَ عَلَيْهِ وَحُلَ فَنَفَنَاهُ بَعْدَ ثَلَاثِ .

أين من ضحى بشهوات نفسه فألمات حظها ، أين من حنَّها على لحاق السلف الصالح  
 وحضها ، أين من خوفها حسابها وحذرها عَرْضَهَا ، أين من قطع من طول المجاهدة طُولَهَا  
 وعَرْضَهَا ، وأين من أدرك من مقامات التقبولين ولو بعضها ، أين من أعمل عزائم الوفاء  
 وأهمل همَّ الجفاء وقصد نقضها ، يامن يُسَرَّ بعيد وقد تمدَّى الحدود ، أترضى أن تحشر  
 فتتحسّر لفوات المقصود . لقد أسمعك المواعظ من إرشادها نصحا ، وأخبرك الشيب أنك  
 بالموت تُقَصِّدُ وتُنَحَّى ، وشرَحَ الزمانُ حالَ من شرح قلبك شرحا . أين من فرح بعيد

(١) جنحا : سودا . وابنج من الليل : الطائفة منه . (٢) الشطاط : الطول وحسن القوام واعتداله .

(٣) فى ت : فشم ريح اللحم حين دخل فى بعض الأرقعة . وفى ب : ريح القنار . والعناز : جمع عنز .

(البصرة ١٠/٢)

الفطر وعيد الأضحى ؟ أمّا تزوّد الخنوطَ من العطر وفي القبر أضحي « يا أيها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربك كدحاً » .

\*\*\*

جَمَعُوا لِيَنْتَفِعُوا فَلَمَّا أَنْ دَعَوْا أَمْوَالَهُمْ حِينَ الرَّدَى لَمْ تَنْفَعِ  
وَاسْتَدْفَعُوا بِالْمَالِ كُلَّ مَضَرَّةٍ حَتَّى أَتَى الْأَمْرُ الْعَزِيزُ الْمَدْفَعِ  
وَكَانَهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي جَمَعُوا بَمَرَأَى لِلخُطُوبِ وَمَسْمَعِ  
هَتَفَ الْحِمَامُ بِكُلِّ حَيٍّ مِنْهُمْ فَأَجَابَهُ مُسْتَكْرَهَا كَالطَّيْعِ  
وَأَرَاهُمْ فِي مَضْجَعٍ وَأَنَاهُمْ مِنْ مَطْلَعٍ وَسَقَاهُمْ مِنْ مَكْرَعِ

يامن كلما جذب عن لوه رسب ، هذا يريد الموت لك في الطلب ، بادِرْ قبل الفَوَاتِ  
فالزمان ينتهب ، وانتظر سلب الدهر ما وهب<sup>(١)</sup> ، أين الجامع المانع للذهب ؟ ذهب ،  
أين مُخَاصِمُ الأقدار قل لي من غلب ؟ أتاه الفاجع فاقترَب وما ارتقب ، وأبرزه من قَصْرِهِ  
ولطالماً احتجَب ، يا مُعْرِضاً عَنَّا عَنَّاكَ التَّعَبِ ، يا هَاجِراً لَنَا إِلَى كَمْ ذَا الْغُضَبِ ، يا مُضْغَةً  
بِاعْقَاقَةِ خِدْمَتِنَا نَسَبِ ، يَامُؤْتِرَا غَيْرِنَا بَعْتَ الدُّرَّ بِالخَشَبِ ، أَمَا يَسُوقُكَ إِلَى الْخَيْرِ مَا يَشُوقُ ؟  
أَمَا يَعُوقُكَ عَنِ الضَّيْرِ مَا يَعُوقُ ؟ متى ترجع حُرّاً يَا مَرْقُوقُ ، متى تصير سابقاً يَامَسْبُوقُ ،  
إِيَّاكَ وَالْهَوَى فَمَكِّ قَتْلَ عَاشِقًا مَعْشُوقُ ، أَوَّلُ الْهَوَى سَهْلٌ ثُمَّ تَتَخَرَّقُ الْخُرُوقُ ، كلما حُصِدَ  
نَبَاتُهُ بِمَنْجَلِ الصَّبْرِ أَخْرَجْتَ الْعُرُوقُ ، إِنْ لَذَّ شَرْبُهُ فِي الْقَمِّ فَشَرْبُهُ شَجَاً فِي الْخُلُوقِ ، وَإِنَّمَا  
لِذَّاتِ الدُّنْيَا مِثْلُ خَطْفِ الْبُرُوقِ ، مَيِّزٌ بَيْنَ مَا يَفْنَى وَمَا يَبْقَى تَرِ الْفُرُوقُ ، خَلٌّ خِلَّ التَّوَانِي  
إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَفُوقَ ، تَاللَّهِ مَا نَصَحَكَ إِلَّا مُحِبٌّ أَوْ صَدُوقُ .

ستعلم أيها العاصي ما أتيت ، وستدرى يوم الحساب من عصيت ، وستبكي دماً لِقُبْحِ  
مَا جَنَيْتَ ، كأنك بالموت قد جاء فانتبهت<sup>(٢)</sup> وارعوت ، وتذكّرت تلك الخطايا فتعست

(١) الأصل : وهب وهب . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) ت : فانتبهت .

وبكت ، وأخلى منك البيت شئت أو أيت ، وصحت بلسان الأسف : « رب ارجعوني »  
ونيت ، انهض ياحياً قادراً قبل أن تسمى باسم ميت ، ويحك تأمل أمرك وافتح عينيك ،  
ويحك كم تُعبي<sup>(١)</sup> من الذنوب عليك ، إن سهام الموت قد فوقت إليك ، اقبل نصحي وقم  
نادماً على قدميك ، وأحسبها أرض عرفة وقل لييك اللهم لييك .

### السلام على قوله تعالى

« وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا<sup>(٢)</sup> »

قال المنكرون : لما فرغ إبراهيم عليه الصلاة والسلام من بناء البيت أمره الله تعالى  
أن يؤذِّن في الناس بالحج فقال إبراهيم : يارب وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذِّن وعلى البلاغ .  
فعلا أبا قُبَيْس<sup>(٣)</sup> وقال : يا أيها الناس إن ربكم قد بنى بيتاً فحجوه . فاسمع من أصلاب  
الرجال وأرحام النساء ممن سبق في علم الله عز وجل أن يحج فأجابوه : لبيك اللهم لييك .  
وقوله : « رجالا » أى مشاة . وقد حج إبراهيم وإسماعيل ماشيين ، وحج الحسن  
ابن علي عليهما السلام خمسا وعشرين حجة ماشيا والنجائب تُقاد معه . وحج أحمد بن  
حنبل رضى الله عنه ماشيا مرتين .

### سجع على قوله تعالى

« وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا »

أمر الله نبيه الخليل بعد بناء بيته الجليل أن ينادى عبيده إلى الفضل الجزيل ، ليحطّ  
عنهم مولاهم كلّ وزر ثقل ، فقال سبحانه وتعالى « وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا » .  
يا إبراهيم نادهم ليحصل نفعمهم في معادهم ، وأزعمهم بنداؤك من بلادهم وأخرجهم

(١) كذا في ت . وفي ب : كم تعبي . (٢) سورة الحج ٢٧ (٣) أبو قبيس : جبل بمكة .

عن أهلهم وأولادهم فليقصدا بآبى مُسرَّعين عَجَلاً « وأذِّن في الناس بالحج  
يأتوك رجالاً » .

يا غافلاً عني أنا الداعي ، يامتخفا عن زيارتي أنا ألقى الساعي ، يا مشغولاً عن قصدي  
نوعرفت اطلاعي ، أنا أقتُ خليلي يدعو إلى سبيلي ، وأقبلت بتنوبلي على محبي إقبالا  
« وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً » .

لله دَرَّ أقوام فارقوا ديارهم وعاقوا افتقارهم ، وآثروا غبارهم وطهروا أسرارهم ،  
يدعون عند البيت قريباً سميعاً ، ويقفون بين يديه بالذل جميعاً ، ويسعون في مراضيه سمياً  
سريعاً ، وقد ودَّعوا مطلوب شهواتهم توديعاً ، فأفادهم مولاهم أن رَجَمهم كيوم  
أخرجهم أطفالا .

هجروا الكدَر وهاجروا إلى الصَّفَا ، وقصدوا المروة بعد أن أموا الصَّفَا ، وحذروا  
الردَّ وخافوا الجفا ، وتعلقت آمالهم بمن هو حسبهم وكفى .

نادِ زُوَّارى أنا أدعوهم نحو بيتي لينالوا شرفاً  
فهم وفدى إذا ما نزلوا بحريمي إذ دنوا مُزدلفاً  
ولهم عندي مزيدٌ ولهم من نوالى ما أحبوا طُرفاً  
فارقوا أوطانهم إذ قصدوا نحو بآبى يطلبون الزُلْفَى  
فلهم مئى مهمما أملاوا سلفاً يننى ويُنشى<sup>(١)</sup> خلفاً

قد أحرَمَ القومُ عن الحلال فأخَرِموا أنتم عن الحرام ، منعوا أنفسهم من الطَّيِّب  
فاحذروا أنتم جيفة الهوى ، يا حُسَنَهم وقد نَزَعُوا اللَّخِيطَ وَنَزَعُوا عن التضييع والتفريط ،  
وملأوا بالتضرع البسيط ، فارقوا لأجل مولاهم أولادهم ، وأغرَّوا عن رقيقِ انشباب له

(١) كذا في ت . وفي ب : وينشى .



أجسادهم ، وتركوا في مَرَضِيهِ محبوبهم ومُرَادهم ، فأصبحوا قد أعطاهم مولاهم وأمسوا وقد أفادهم .

استَسَامَ إليه فاجتهدوا وجَدُّوا ، وتزوَّدوا التقوى في طريقهم واستعدوا ، وأتمبوا الأعضاء في خدمته وكَدُّوا ، وطرقوا بأنامل الرجاء بابَ اللَّجَأِ فَا رُدُّوا ، ناداهم وهم في الأصلاب والأرحام ، واستصلحهم لزيارة بيته الحرام ، وأكرمهم بالفقران فيانم الإكرام ، ورحم شعثَ الرءوس وغبار الأقدام ، وأنتم إن بعدتم عن ذلك المقام فقد شاركتموهم في الإيمان والإسلام ، فارغبوا بالتضرع إلى المليك العلام ، فإنه معروف بالفضل موصوف بالإنعام .

\*\*\*

ذكر عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى قال : صحبت جعفر الصادق رضي الله عنه فلما أراد أن يلبيَّ تغيَّر وجهه وارتعدت فرائضه فقلت : مالك يا بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أردت أن ألبي . قلت : فما يوقفك ؟ قال : أخاف أن أسمع غير الجواب !

وقف مُطَرَّف<sup>(١)</sup> وبكر ابنا عبد الله فقال مُطَرَّف : اللهم لا تردَّهم من أجلي . وقال بكر : ما أشرفه من مقام لو لا أني فيهم !

وروى عن الفضيل بن عياض أنه وقف بعرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الشكلى المحترقة ، فلما كادت الشمس أن تسقط قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : واسوأناه منك وإن عفوت !

أخبرنا أبو بكر بن حبيب بسنده عن علي بن هزارمرد الصوفي قال : سمعت ابن محبوب تلميذ أبي الأديان يقول : ما رأيت خائفا إلا رجلا واحدا ، كنت بالموقف فرأيت شابا مُطَرِّقا منذ وقف الناس إلى أن سقط القرص<sup>(٢)</sup> ، فقلت له : يا هذا ابسط يدك للدعاء فقال لي : ثمَّ وَحْشَةٌ . فقلت له : فهذا يوم العفو عن الذنوب . قال فبسط يده ووقع ميتا .

---

(١) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير ، تابعي . (٢) سقط القرص : غابت الشمس .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب بسنده عن أبي بكر محمد بن دواد الدنورى قال : سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول : كنت بذى الحليفة وشاب يريد أن يُحْرَم ، فكان يقول : يارب أريد أن أقول لبيك اللهم لبيك فأخشى أن تجيبني بلالبيك ولا سمعديك . يردّد ذلك مرارا ، ثم قال : اللهم لبيك . مدّها صوتها وخرجت روحه . رحمة الله عليه .

وقال سري<sup>(١)</sup> : لقيت في طريق الحج حبشية فقلت : إلى أين ؟ قالت : الحج . قلت : الطريق بعيد . فقالت :

بعيدٌ على كسلان أو ذى مَلالة فأما على المشتاق فهو قريب<sup>(٢)</sup>

ثم قالت : ياسرى إنهم يروّنه بعيدا ونراه قريبا . فلما وصلت البيت رأيتها تطوف كالفتى الشاطر ، فنظرت إليها فقالت : ياسرى أنا تلك العبدة لما جثته بضعفى حملنى بقوته . لما حجّ الشبلى وأشرف على جدران مكة قال :

أُبطحان مكة هذا الذى أراه عياناً وهذا أنا !

ثم غشى عليه ، فلما أفاق قال :

هذه دارهم وأنت حبيب ما بقاء الدموع فى الآفاق

أخبرنا أحمد بن أحمد الهاشمي ، وحدثنا عنه ابن ناصر ، قال أخبرنا أحمد بن على بن ثابت بسنده عن الحسين بن عبد الرحمن قال : حج سعيد بن وهب ماشيا فبلغ منه وجهد فقال :

قدمى اعتورا رمل الكئيب واطرقا الآجِن من ماء القلب<sup>(١)</sup>

ربّ يوم رُحما فيه على زهرة الدنيا وفى وادٍ خصب

وسماعٍ حسنٍ من حسنٍ صخب المزهر كالظبي الرّيب

(١) هو أبو الحسن سري بن المغلس السقطي ، صوفى بغدادى المولد والوفاة توفى سنة ٢٥١ هـ .

(٢) ت : فأما على المشتاق غير بعيد .

(٣) اعتورا : تدولاه فى المشى . والآجِن : الآسن . والقلب : البئر .

فاحسبا ذاك بهذا واصبروا وخذا من كل فن بنصيب  
 إنما أمشي لأني مذنب فلعن الله يعمو عن ذنوبي<sup>(١)</sup>  
 كآني الآن بالمحامل تنن، وبالزوامل<sup>(٢)</sup> تحن، وبالملطى ترزوم<sup>(٣)</sup>، وبالجنون تسجم<sup>(٤)</sup>،  
 والشوق إلى البيت قد عمل عمله، والنوئل يلاحظ أمله :  
 ولي أنة الشاكي وإن بعد<sup>(٥)</sup> للدي ما بيننا وتنفس الكروب

\*\*\*

قوله تعالى

« وعلى كل ضامر »

أى ركبانا على ضمر من السفر . نجائب تحمل الأحباب ، صوابر على الإنضاء  
 والإتباب ، ترغل بالزائرين إلى رب الأرباب ، ادخرت لهم التحف والبشائر ، ونظرت إلى  
 صبرهم على فراق العشائر ، ودعوتهم إلى نيل الأمل<sup>(٦)</sup> الوافر ، ورحمت شعث الشعث  
 وغبار المسافر ، وكتبت في حسناتهم خطوات كل ذى خف وحافر ، وأربحت تجارة كل  
 وارد نحوى وصادر ، وأعدتهم إلى منازلهم وما فيهم خاسر ، فنادم : « يأتوك رجالا  
 وعلى كل ضامر » .

قوله تعالى

« يأتين من كل فج عميق »

يأتين : فعل للنوق<sup>(٧)</sup> . وقرأ الأعمش وابن أبي عتبة « يأتون » على أنه فعل للرجال .  
 والفج العميق : المكان البعيد .

صبروا على مشاق الطريق بين هبوط وصمود ومضيق ، واحتملوا لأجل خلق الرفيق ،

(١) روى ابن الجوزى هذه الأبيات في ذم الهوى ص ٥٢ (٢) الزوامل : جمع زاملة وهي التي يحمل  
 عليها من الإبل وغيرها . (٣) ترزوم : تحن . (٤) تسجم : تسيل دموعها . (٥) ت : وقد بعد .  
 (٦) ت : الأمر . (٧) كذا في ت . وفي ب : فعل النوق .

ورضوا من فريقهم بالبعد والتفريق ، وحُدِثَ بهم المطايا من كل بلد سحيق ، وجانبوا ما يشين وصاحبوا ما يليق ، وصابروا ظمًا الشفاء وقلة الريق ، فلاسْتَقْنِيَهُمْ يومَ لِقَائِي من السلبيل والرحيق ، فنادم « يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » .

\*\*\*

### قوله تعالى

« ليشهدوا منافع لهم »

وهي ربح التجارة في الدنيا والثواب في الآخرة .

سبحان من إلى بيته حملهم وبفنائه أنزلهم وإلى حرّمه أوصلهم ، وبإخلاص قصده جملهم ، فلقد جمع الخير الجمّ لهم « ليشهدوا منافع لهم » .

حرّ كم بتوفيقه فناروا ، واستدعاهم إلى بيته فناروا ، وأوصلهم إلى حرّمه فناروا ، فباحسنهم في الطواف إذا سَعَوْا وداروا ، واجتمعوا بالآمال حول البيت واستداروا ، فضافهم من أضافهم إلى الأحباب وأنزلهم « ليشهدوا منافع لهم » .

يا كثرة ما أعطاهم من المطايا ، يا شرف ما أنالهم من الهدايا ، فلقد تلقاهم بالجلود والتحايا ، وخطّ عنهم من الذنوب والخطايا ما أثقلهم . أتعبهم المشى وأزعجهم الركوب ، وكان ذلك حينًا في قُرب المحبوب فأنتم عليهم بكل مطلوب ، وقابلهم بالعفو عن الذنوب وقبلهم . تملقوا بذيل رحمتي ولطفي ، وسألوني مودتي وعطفي ، واشتغلوا بي دون غيري ويكني « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم » .

إخواني : إن لم نصِلْ إلى ديارهم فلنصل انكسارنا بانكسارهم ، إن لم نقدر على عرفات فلنستدرك ما قد فات ، إن لم نصِلْ إلى الحِجْرِ فَلْيُنْ كُلُّ قَلْبٍ حَجَرَ ، إن لم نقدر على ليلة جَمْعٍ ومنى فلنقم بما تم الأسف هاهنا . أين المنيب الأواب أين المجد السابق ، هذا

يومٌ يُرْحَمُ فيه الصادق ، هذا أوان يَطْلُع فيه الخالق ، يامؤملا مثله قد لا يوافق ، من  
لم يُنَبِّ في هذا اليوم فتى ينيب ، ومن لم يَجِب في هذا الوقت فتى يجيب ، ومن لم يتعرَّف  
بالتوبة فهو غريب ، ومن لم يُقَرَّ بالعتوِّ فإله من نصيب ، أسفاً لعبدٍ لم يُفَرِّ له اليوم ماجئ ،  
كلما همَّ بخير نقض الطَّرد ما بنى ، حضر مواسم الأرباح فما حصَّل خيرا ولا اقتنى ، ودخل  
بساتين الفلاح فما مدَّ كفاً ولا جنى ، ليت شعري من متا خاب ومن منا نال للمنى .  
فيا إخواني : إن فائنا نزول مني ، فلننزل دموع الحسرات هاهنا ، وكيف لا نبكي ولا ندرى  
ماذا يُراد بنا ، وكيف بالسكون وما نعلم ما عنده لنا :

فلذا للوقوفِ أعدَدْنَا البكا      ولذا اليوم الدموعُ تُفتنى

اللهم إنا نقف لك على الأقدام كقيام القاصدين البيت الحرام ، يا غافر الذنوب اغفر  
ذنوبنا ، يا ستار العيوب استر عيوبنا ، يا كاشف الكرب اكشف كربنا ، يا منتهى  
الآمال بلفنا مطلوبنا . برحمتك يا أرحم الراحمين .



# الطَّبَقُ الثَّالِثُ

تشمّل على ذكر خلق ابن آدم والأرض والسموات

---

فِيهَا ثَلَاثُ تَرْجَمَاتٍ





## المجلس الأول

بذكر فيه خلق ابن آدم

الحمد لله الخالق بقدرته مادب ودرج ، الفائق بصنفته ماالتأم وارتفع ، الرائق بحكمته ما افترق وانفرج ، الدال على وحدانيته بالبراهين والحجج ، أنشأ الأبدان من النطف وحفظ فيها المهج ، ونور العيون فأحسن في تركيبها الدّعج<sup>(١)</sup> ، وأنطق اللسان فبان سبل المراد ونهج ، وعلم الإنسان البيان فإذا خاصم فلج<sup>(٢)</sup> ، بقدرته سكن المتحرك فما زال ولا اختاج ، ولهيبته تحرك الساكن فتغير وانزعج ، طوى اللطف في تكليف الخلائق ودرج « وما جعل عليكم في الدين من حرج » خلق البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ومرج ، واستخرج بدائع الودائع من بواطن اللّجج ، وعلم ماظهر في الأرض ورأى ما فيها ولج ، بصير يرى جريان الدماء في باطن الودج ، سميع يدرك بسمعه صوت الباكي إذا نشج ، لا يخفى على بصره في سواد الليل سواد الثّج<sup>(٣)</sup> ولا يعزب عن سمعه أنين المدنف<sup>(٤)</sup> يرجو الفرج ، أنزل كلاما قديما من ورد بحره ارتوى وابتج ، قرآنا عربيا غير ذى عوج . أحمده حمد من جمع الحماد في حده ودرج ، وأشهد أنه العظيم القدر الرفيع الدرّج ، وأصلى على رسوله محمد الذي إلى قاب قوسين عرج ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الذي لا ييفضه إلا الرّاعاع الهمج ، وعلى عمر الذي يفوح من ذكره أذكي الأرج ، وعلى عثمان الذي جمع الإنفاق إلى الصّهر فازدوج ، وعلى عليّ المجمع على حبه فإن خرج شخص من الإجماع خرج ، وعلى عمة العباس الذي افتخر به بيت الخلافة وابتج .

\*\*\*

(١) الدعج : سواد العين مع سعتها . (٢) فلج : غلب وظفر .

(٣) الثّج : صدر انقضا . ويضرب به المثل في الحماة فيقال : أخفى من القضا .

(٤) المدنف : المريض الثقيل المرض .

قال الله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سُلالةٍ من طين »<sup>(١)</sup>

المراد بالإنسان هاهنا آدم عليه السلام . والسُّلالةُ فُعالَة ، وهى القليل مما يُسَلُّ ، فاستلَّ من كل الأرض . وقد روى أبو موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه أنه قال : إن الله خلق آدم من قبضةٍ قبضها من جميع الأرض وقد ذكرنا قصة آدم عليه السلام فى أول الكتاب<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : « ثم جعلناه نطفةً » يعنى ابن آدم . والمراد بالنطفة المنى « فى قرار » يعنى الرحم « مكين » أى حَرِيز قد هُبِّيْ لاستقراره فيه .

قوله تعالى : « ثم خلقنا النطفةَ عَلَقَةً » والعلقة دَمٌ عَبِيْطٌ<sup>(٣)</sup> جامد . وسميت عَلَقَةً لتعلقها بما تمرُّ به ، فإذا جَفَّتْ فليست عَلَقَةً . والمُضْغَةُ لَحْمَةٌ صغيرة ، وسميت بذلك لأنها بقدر ما يُمَضَّغُ .

« نخلقنا المضغَةَ عِظاماً فكسونا العظامَ لَحْماً ثم أنشأناه خَلْقاً آخَرَ » . وفى محل هذا الإنشاء قولان : أحدهما : بطن الأم . ثم صفة الإنشاء فيه قولان : أحدهما : نفخ الروح . رواه عطاء عن ابن عباس وبه قال أبو العالية والشَّعْبِيُّ<sup>(٤)</sup> . والقول الثانى : أنه بعد خروجه من بطن أمه .

ثم فى صفة هذا الإنشاء أربعة أقوال : أحدها : أن ابتداء ذلك الإنشاء أنه استهل ثم دُلَّ على التَّدْيِ وتَقَلَّبَ من حال إلى حال . رواه عطية عن ابن عباس . والثانى : أنه استواء الشَّباب . قاله ابن عمر . والثالث : خروج الأسنان والشعر . قاله الضحاك . والرابع : إعطاء العقل والفهم . حكاه الثعلبى .

« فتبارك الله » أى تعالى ورفَّع « أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » أى المصوِّرِينَ والمقدِّرِينَ . أخبرنا هبة الله بن محمد ، أنبأنا الحسن بن على التميمى ، أنبأنا أحمد بن جعفر ،

(١) سورة المؤمنون ١٢ . (٢) انظر الجزء الأول من هذا الكتاب ص ١٤ (٣) العبيط : الطرى . (٤) كذا ، ولم يذكر القول الثانى فى صفة هذا الإنشاء .

حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد . فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها » .  
أخرجاه في الصحيحين <sup>(١)</sup> .

وفى أفراد مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال : يارب أذكّر أم أنثى فيقضى ربك ما شاء ، ويكتب الملك . ثم يقول : يارب رزقه ؟ فيقضى ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص » <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

قال علماء المتطهّين : أول الأحوال الحادثة في النى أن يكون له زيد ثم يوجد النفخ مندفعاً إلى وسط الرطوبة إعدداً لمكان القلب ، ثم تتميز الأعضاء ويتنحى بعضها عن مماسة بعض ويحيط بالجنين ثلاثة أغشية : غشاء تُنَسَّج فيه العروق ، وغشاء ينصب فيه <sup>(٣)</sup> بول الجنين ، وغشاء يجمع الرطوبة التي ترشح من الجنين .  
وللرأس أربعة عظام : [ ثلاثة ] كالجلدران وواحد كالتقاعدة ، وجعلت هذه الجلدران أصلب من اليافوخ لأن السقطات والصدمات عليها أكثر ويخفف القحف لمغنيين : أحدهما ثلثا يشغل على الدماغ . والثاني لينفذ منه البخار .

(١) صحيح البخارى كتاب التوحيد باب ٢٨ وأول كتاب القدر وصحيح مسلم كتاب القدر حديث رقم ١  
ومسند أحمد ١٩٧/٥ (٢) صحيح مسلم كتاب القدر حديث رقم ٣ (٣) ب : إليه .

ومن العظام ماهو أساس للبدن كفقار الصلب يُبنى عليه كما يبنى السقف على الخشبة الأولى ، ومنها كالحجّن كالتحف فإنه جُنّة للدماغ من الآفات. وخلق جوهر الدماغ باردا رطباً ليناً دسماً . فأما برّده فلا مُرين : أحدهما تعديل الحرارة التي تنفذ إليه من القلب . والثاني : لئلا يحترق لكثرة ما يتأدّى إليه من حركات الروح في التخيل والفكر [ والتفكر والذكر ]<sup>(١)</sup>. وهذه القوى الثلاث مسكنها الدماغ فوضع التخيل البطنان المقدّمان من بطون الدماغ ، ووضع الفكر البطن الأوسط ، وموضع الحفظ المؤخّر من بطون الدماغ . وأما رطوبته ولينه فلئلا تُجفّفه الحركات ، وأما خلقه دسماً فليكون ما ينبت فيه<sup>(٢)</sup> من المصب ليّناً .

وقد جُلّل الدماغ بفشاءين : أحدهما رقيق يليه والآخر صفيق يلي العظم . وإنما خلقا ليكونا حاجزين بين الدماغ والعظم .

وأما العين فإنما جعلتا اثنتين ليتكونا إذا عرضت لإحداها آفة قامت الأخرى بالبصر . وكل عين مركبة من عشرة أجزاء وهي سبع طبقات وثلاث رطوبات ، والطبقات كقشور البصل إن أصابت بعضها آفة نابت الأخرى . والرطوبات يقع<sup>(٣)</sup> النظر بالوسطى وهي صافية منيرة . والرطوبتان<sup>(٤)</sup> من جانبيها ، فواحدة موضوعة خلفها تقرب من طبيعتها فتناول الغذاء أو تقلبه إلى طبعها فتتناول منه الرطوبة المبصرة . والرطوبة الثانية تُنددّ المبصرة لئلا تجفّ . وخلق الهدب ليدفع ما يطير إلى العين وليعدل الضوء بسواده .

وأما الأذن فجعل لها صدف مُعرّج<sup>(٥)</sup> ليجمع الصوت . وخلق الأنف لينحصر فيه الهواء فيعتدل في حوله<sup>(٦)</sup> قبل أن ينفذ إلى الدماغ والرئة ، ثم هو ستر للفضلات المنحدرة . واللسان آلة لتقليب المضغ وتقطيع الصوت في إخراج<sup>(٧)</sup> الحروف وإليه تمييز الذوق .

(١) من ١ . (٢) منه . (٣) كذا في ب . وفي ١ : نفع . (٤) ١ : والرطوبات .

(٥) ب : موج . (٦) ب : في طوله . (٧) ١ : في آخر الحروف .

والشفتان غطاء للقم والأسنان ومحبس للعاب ومُعينا على الكلام وجمالا .  
واللّهاء : جوهر لَحْمِي معلق على أعلى الخنجرَة ومنفعته تدريج الهواء لئلا يَقْرَعَ <sup>(١)</sup> بيرده  
الرّئة فجأة . وليمنع الدخان والغبار كأنه باب مُوصَد على مخرج الصوت بقدره .  
والأسنان اثنان وثلاثون سِنًا ، فمنها ثَنِيَّتَانِ من فوق وثنيتان من تحت ورباعيتان  
من فوق ورباعيتان من تحت ، ونابان من فوق ونابان من تحت ، ثم الأضراس وهي  
عشرون من كل جانب من القم خمسة ، فمنها الضّواحك وهي أربعة أضراس تلي الأنياب  
إلى جنب كل ناب من أسفل القم وأعلاه ضاحك ، ثم بعد الضواحك الطواحن ويقال لها  
لها الأرحاء وهي اثنا عشر طاحنا من كل جانب من القم واحد من فوق وواحد من  
أسفل ، فالأنياب للكسر والرباعيات للقطع والأضراس للطحن .  
وخرز <sup>(٢)</sup> العنق سَبْعَ وَقَقَارِ الصَّدْرِ إحدى عشرة فقرة والصدر مؤلف من سبعة أعظم ،  
والساعد مؤلف من عظمين متلاصقين يسميان الزّندَيْنِ والقوقاني الذي يلي الإبهام أدق  
والسفلاني أغلظ لأنه حامل .

وعظام الأصابع غير مجوّفة لتكون أقوى على الثبات في الحركة <sup>(٣)</sup> والقبض ، وطال  
بعضها لتستوى عند القبض . والظفر سند للأتملة وآلة للحك والتنقية .  
والصلب مسلك النخاع ، والمعدة تهضم بحرارة في لحمها وبحرارة <sup>(٤)</sup> أخرى مكتسبة  
من الأجسام المجورة ، والطحال منفرش تحتهما من اليسار وهو وعاء لبعض فضلاتها .  
وللكبد عرقان أحدهما يجذب إليها الطعام فيطبخه ويوجهه في العرق الآخر إلى البدن  
وبيعث الماء منه <sup>(٥)</sup> إلى الكليتين والرغوة الصفراوية إلى المرارة والرسوب السوداوى  
إلى الطحال .

والقلب مخلوق من لحم قوى ليكون أبعد من الآفات ، وقد أميل يسيراً إلى اليسار

(١) ب : يفرغ . (٢) ب : وجوز العنق . (٣) ب : في الحركات

(٤) ب : وبمدرات أخر . (٥) ب : وبيعث المائية .

ليبعد عن الكبد ، وله زائدتان كالأذنين فهما كخزانتين يقبلان النسيم ويُرسلانه إلى القلب بقدر .

والمرارة كيسٌ معلقٌ من الكبد إلى ناحية المعدة تجذب الخلط الغليظ والمرار الأصفر<sup>(١)</sup> فينقي الكبد عن الفضول ويسخنها ، ولولا أن المرارة تجذب المرّة الصفراء لسرت إلى البدن مع الدم فتولد منها اليرقان الأصفر فهي تجذبه وتقذف منه جزءاً إلى المعى فيفلس ما فيها من الأثقال بلذعه وتحريكه لها ، وجزءاً إلى المعدة ليعينها بحرارته على الهضم .  
وجميع عظام البدن بعدد أيام السنة يظهر منها للحس مائتان وخمسة وستون والباقية صفار تسمى السممانية .

وقد روى مسلم في أفرادهِ من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةِ مَفْصَلٍ ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ وَحَمَدَ اللَّهَ وَهَلَّلَ اللَّهَ وَسَبَّحَ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ وَعَزَلَ حَجْراً عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْماً ، أَوْ أَمْرَ مَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيَ عَنْ مَنكَرٍ عَدَدَ تِلْكَ السِّتِينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ ، فَإِنَّهُ يَمْشِي حِينُذُ وَقَدْ زَحَزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ<sup>(٢)</sup> » .

وعَصَلَ البدن خمسمائة وتسعٌ وعشرون عضلة .  
والمرارة بيت الصفراء والرئة بيت البلغم والطحال بيت السوداء والمثانة بيت البرودة والكلى بيت الشهوة والقلب بيت النفس .  
وفي بعض هذا ما يحرك الفكر<sup>(٣)</sup> فيوجب العلم بمظمة الخالق سبحانه فيبحث على امتثال أمره واجتناب نواهيه .

وقد كان بعض العلماء في مرّكب فهاج<sup>(٤)</sup> البحر فأخرج كتاب التشریح ونشره نحو السماء كالاستشفيع به ، فأنكر قومٌ ذلك فقال بعض العلماء : كأن يقول : يامن هذا من آثار حكّمته وصنعتة اكشف عنا !

(١) : الأصفرى . (٢) صحيح مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ٥٤ . (٣) : التفكير .

(٤) : فتار .

### الكلام على السمد

لا تَرُقْدَنَّ لَمِينِكَ السَّهْرُ      وانظر إلى ما تصنع الغير<sup>(١)</sup>  
انظر إلى عِبرَ مصرقة      ما دام يمكن طَرَفَكَ النظرُ  
مازِلْتَ تسمع أو ترى عِبرًا      إن آ يُخْنِك السَّمْعُ والبَصَرُ  
فإذا جِهَلْتَ ولم تجدْ أحداً      فسَلِ الزَّمانَ فعنده الخِبرُ  
وإذا نظرت تريد مُعْتَبِرا      فانظر إليك قَفيك مُعْتَبِرُ  
أنت الذي تُنمسي وتصبح في الـ      دنيا وكل أموره غَرُ  
أنت للمصرف كان في صِفَر      ثم استقلَّ بشخصه الكِبرُ  
أنت الذي تنفاه خَلَقْتَهُ      ينفاه منه الشَّعرُ والبشرُ  
أنت الذي تُمطِّي وتُسَلِّبُ لا      يُنْجِيهِ من أن يُسَلِّبَ الحَذَرُ  
أنت الذي لا شيء منه له      وأحقُّ منك بملك القَدَرُ  
والحادِثاتُ صُروفها عَجَبُ      والعيش فيه الصَّفو والكَدَرُ  
يَبْنِي بنو الدنِيا عِمَارَتِها      وَلَيَخْرَبَنَّ جَمِيعُ ما عَمَرُوا  
عَجَباً من الدنِيا ومن عِبر الدـ      نِيا وكيف تصرَّف الغِيرُ  
مازِلْتَ مُدْ صُورَتَ في سَفَر      وستنقضي وسينقضي السَّفرُ  
يا من يؤمِّلُ أنت منتظر      أُملاً يطول ولست تنتظرُ  
ماذا تقول وأنت في غُصَصِ      ماذا تقول وأنت مُحْتَضِرُ  
ماذا تقول وقد وضِعت على      ظَهَر السَّريِرِ وأنت تُبْتَدِرُ  
ماذا تقول وأنت في جَدَثِ      ماذا تقول وفوقك المَدَرُ

ماذا تقول وقد لحقت بما<sup>(١)</sup> يجري عليه الرِّيحُ والظُّرُ  
نَبْئِي البقاء ولا بقاء لنا تتعاور الرِّوْحَاتُ والبَكَرُ  
كم قد عَفَتْ عَيْنُهَا أَثْرُ دَرَسَتْ وَيَدْرُسُ بَعْدَهَا الْأَثْرُ

\*\*\*

الدنيا مَعْبَرٌ فاقنع باليسير ، وليكن هَمُّكَ في الرحيل والسير ، كم من جامعٍ لها  
فرقتَه ومن حُبِّ لها أَهْلَكَته ومزَقَّتَه ، من قنع بالبلغة فيها سَلِمَ ، ومن أَكْثَرَ منها  
أَسِفٌ وَنَدَمٌ .

عليك بتقوى الله واقنع برزقه فخيرُ عِبَادِ الله من هو قانعٌ  
ولا تَهْلِكْ<sup>(٢)</sup> الدنيا ولا طمَعُهَا فقد يُهْلِكُ الغرورَ فيها الطامعُ  
صبراً على نوبات ما ناب واعترفْ فما يستوي حُرٌّ صَبُورٌ وجارِعٌ<sup>(٣)</sup>  
أَعَاذَلُ ما يُغْنِي الثراء عن الفتي إذا حَشَرَجَتِ النفسُ منه الأضالِعُ  
مرَّ أبو حازم رحمه الله عليه بجزار فقال : يا أبا حازم خذ من هذا اللحم . فقال : ليس  
معي درهم . فقال : أنا أَنْظُرُكَ . فقال : أنا أَنْظُرُ نَفْسِي .  
وقال بكر بن عبد الله : يكفيك من الدنيا ما قنعت به .  
كان ابن السَّمَاكِ رحمه الله يقول :

إني أرى من له قُنُوعٌ يَمُدُّ من نال ما تَمَنَّى  
والرزقُ يَأْتِي بلا عناء وربما فات من تَعَنَّى

كان وهب بن مُسَبِّه يعظ عطاء الخراساني ويقول له : ألم أُخْبِرْ أَنَّكَ تَأْتِي لِلْمَوْتِ وَتَحْمِلُ  
عَمَلَكَ إِلَيْهِمْ ؟ يا عطاء ارضَ بالدُّونِ من الدنيا مع الحِكْمَةِ ولا تَرْضَ بالدُّونِ من الحِكْمَةِ مع  
الدنيا ، ويحك يا عطاء إن كان يُغْنِيكَ ما يكفيكَ فإن أدنى ما في الدنيا يكفيكَ ، وإن



كان لا يُشْنِك ما يكفيك فليس من الدنيا شيء يكفيك .

نَصِفَ الْقَنُوعَ وَأَيْتُنَا يَقْنَعُ أَوْ أَيْتُنَا يَرْضَى بِمَا يَجْمَعُ  
لِلَّهِ دَرَّ ذَوَى الْفَنَاءَةِ مَا أَصْفَى مَعَاشَهُمْ وَمَا أَوْسَعَ  
مَنْ كَانَ يَبْنَى أَنْ يَلْذَّ وَأَنْ تُهْدَى جَوَارِحُهُ فَمَا يَطْمَعُ  
فَقَرَّ النُّفُوسَ بِقَدْرِ حَاجَتِهَا وَغَنَى النُّفُوسَ بِقَدْرِ مَا قَنَعَ  
عَرَى أَوْسَى رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ حَتَّى حَلَسَ فِي قَوْصَرَةٍ . وَقَدِمَ بَشَرُ الْخَافِ مِنْ عِبَادَانِ  
لَيْلًا وَهُوَ مُتَزَرٍّ بِحَصِيرٍ . وَكَانَ أَبُو مَعَاوِيَةَ الْأَسْوَدُ يَلْتَقِطُ الْخَرْقَ مِنَ الْمَزَابِلِ وَيُفْلِسُهَا وَيُلْفِقُهَا  
فَيَقَالُ لَهُ : إِنَّكَ نَكَسَى خَيْرًا مِنْ هَذَا فَيَقُولُ : مَا ضَرَّهُمْ مَا أَصَابَهُمْ فِي الدُّنْيَا جَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى  
لَهُم بِالْجَنَّةِ كُلَّ مُصِيبَةٍ (١) .

وَأَتَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَمَ بَسْتِينَ أَلْفًا فَرَدَّهَا وَقَالَ : كَرِهْتُ أَنْ أُحْمِيَ اسْمِي مِنْ  
دِيْوَانِ الْفُقَرَاءِ .



رَأَتْ عُدَّتِي فَاسْتَرَأَتْ (٢) رَحِيلِي سَيِّلِكَ إِنَّ سِوَاهَا سَبِيلِي  
رَجَّيْتُ قُفُولِي لَهَا فِي الثَّوِيِّ (٣) لَعَلَّ الْمُنِيسَةَ قَبْلَ الْقُفُولِ  
لَقَدْ قَذَفْتُ بِي صَعْبَ الْمَرَامِ وَاسْتَجَمَلْتُ لِي غَيْرَ الْجَمِيلِ  
سَأَفْتِي (٤) الْعَفَافَ وَأَرْضَى الْكَفَافَ وَلَيْسَ غِنَى النَّفْسِ جَوْرُ الْخَلِيلِ  
وَلَا أَتَصَدَّى لِمَدْحِ الْجَوَادِ وَلَا أَسْتَعِدُّ لِمَدْحِ الْبَخِيلِ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ ثِيَابَ الرِّجَاءِ تُحِلُّ الْعَزِيزَ مَحَلَّ الدَّلِيلِ  
وَأَنْ لَيْسَ مُسْتَغْنِيًا بِالْكَثِيرِ مِنْ لَيْسَ مُسْتَغْنِيًا بِالْقَلِيلِ



(١) يَبْنَى مِنْهُمْ هَذِهِ النُّصُوصُ عَلَى وَجْهِهَا ، فَهِيَ دَعْوَةٌ إِلَى الزَّهْدِ فِي الْمَرَامِ ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَتَّخِذَ ذَرَمَةً  
لِإِثْرِهِمُ الطَّيِّبَاتِ . (٢) اسْتَرَأَتْ : اسْتَبْطَأَتْ . (٣) الثَّوِي : مَكَانُ الثَّوَاءِ وَهُوَ الْإِفَامَةُ .  
(٤) أَفْتَى : أَحْفَظُ وَأُزِمُّ .

كتب حكيم إلى أخ له : أما بعد فاجعل القنوع ذُخْراً ولا تعجل على ثمرة لم تُدْرِكْ ، فإنك تدركها في أوانها عَذْبَةٌ ، والمُدَبِّرُ لك أعلم بالوقت الذي يصلح لما تؤمل فتحُ بخيرته لك في أمورك كلها .

أخبرنا محمد بن عمر الفقيه بسنده عن يحيى بن عروة بن أذينة قال : لما أتى أبي وجاعة من الشعراء هشام بن عبد الملك فأنشدوه فلما عرف أبي قال : ألسن القائل :  
لقد علمتُ وما الإسراف من خُلُقٍ أن الذي هو رزق سوف يأتيني  
أسى له فيعنيني تطلبه ولو قعدتُ أتانى لا يعنيني  
فهلّا جلستَ في بيتك حتى يأتيك ؟ فسكت أبي ولم يجبه فلما خرجوا من عنده جلس أبي على راحلته حتى أتى المدينة وأمر هشام بجوائزهم فقدم أبي فسأل عنه فلما خُبر بانصرافه قال : لاجرم والله ليعلمن أن ذلك سيأتيه . ثم أضاع له ما أعطى واحداً من أصحابه وكتب له فريضتين .

إذا ضَنَّ من ترجو عليك بنفعه فدعه فإن الرزق في الأرض واسع  
ومن كانت الدنيا مَنَاهَ وهمه سباه المني واستعبده المطامع  
ومن عقل استحيى وأكرم نفسه ومن قنع استغنى فهل أنت قانع

الكلام على قوله تعالى

« ثم إنكم بعد ذلك لميتون »

يامن هو على محبة الدنيا مُتَهالِكٌ ، أما علمت أنك عن قليل هالك ، أما تيقنت أن الدنيا محبوب تارك ، ثم لست لها بعد العلم بها بتارك ، قدَّرَ أنك ملكْتَ المالِك ، أما الأخير سلبك من أهلك ومالك ، هذا حسام الموت مَسْلُول ، ليس بكال ولا مَقْلُول ، وكلُّ دم أراقه مَطْلُول ، أذلَّ والله أصعب الحمس<sup>(١)</sup> وفكك قَبْراً بالأسود الشمس<sup>(٢)</sup> ، وفلَّ

(١) الحمس : جمع أحس وهو الشديد الصلب في القتال . (٢) الشمس : جمع أشمس وهو القوى الشديد .

السيفَ ولم يُفَلَّ بالثُّرس ، وساوى في القبر بين الزَّنجِ والفُرس ، وأعاد القصحاء تحت  
البلاء كالخُرس ، ومحا بالترَّح أثر الفرح بالثُّرس :

يَفْدُو ابنُ آدَمَ للمعاشِ فيا قاه الحِمَامُ بأضيقِ الطُّرُقِ  
لا يَبْهَجَنَّ بِمِلْكِكَ مَلِكُ فالبذرُ غايتهُ إلى المَحْقِ

أين الوالدون وما ولدوا ، أين الجبارون وأين ما قصدوا ، أين أرباب المعاصي على  
ماذا وردوا ، أما جنوا ثمرات ما جنوا وحصدوا ، أما قدّموا على أعمالهم في ما لهم  
ووقدوا ، أما خلّوا في ظلمات القبور ؟ بكوا والله وانفردوا ، أما ذلّوا وقبّلوا بعد أن عتّوا  
ومردّوا ، أما طلبوا زادا يكفي في طريقهم ففقدوا ، أما حلّ الموتُ فحلَّ عقْد ما عقّدوا ،  
عابنوا والله كلَّ ما قدّموا ووجلّوا ، فمنهم أقوامٌ شقّوا وأقوامٌ سعدوا :

لا والدٌ خالدٌ ولا ولدٌ كلُّ جليدٍ يَحْوَنُه الجَلَدُ<sup>(١)</sup>  
كأن أهل القبور لم يسكنوا الدُّ ورَ ولم يَحْيَ منهمُ أحدُ  
ولم يكونوا إلا كهيتهم لم يولدوا قبلها ولم يلدوا  
[يامن نعى من مضى كذاكَ غداً تنعى ، فبادرْ فقد أتاكَ غداً]<sup>(٢)</sup>  
يا ناسيَ الموتِ وهو يذكره مالك<sup>(٣)</sup> بالموتِ إذ أتاكَ يدُ  
دارك دارٌ يموت ساكنها دارك يُبلى جديدها الأبدُ  
تبكي على من مضى وأنت غدا يوردك الموتُ في النى وردوا  
لو كنت تدري ماذا يريد بك الـ مَوْتُ لأبكي جفونك الشَّهْدُ

\*\*\*

أين الذي ملكوا ونالوا ؟ زالوا ، وستنول إلى ما إليه آلوا ، هذا مضيرنا يا معاشر

(١) الأبيات لأبي الفتحية انظر ديوانه ص ٨٥ . (٢) لم يرد هذا البيت في الديوان .

(٣) الديوان : هل لك بالموْت إن أتاكَ . .

الغافلين ، والحدود بيوتنا بعد الترف واللين ، والقيامه تجمعنا وتنصّب الموازين ، والأهوال عظيمة فأين المتفكر الحزين « إنما تُوعدون لآتٍ وما أنتم بمُعْجِزين » .

يارهين الآفات والمصائب ، يا أسير الطارقات النوائب ، إياك وإيا الآمال الكواذب ، فالدنيا دارٌ ولكن ليست بصاحب ، أما أرتك في فعلها العجائب فيمن مشى في المشرق والمغرب ، ثم أرتك فيك شيب الذوائب ، إن سهام الموت لَصَوائب ، لا يردها محارب ولا يفوتها هارب ، تدب إلينا ديب العقارب ، بيننا نسمع صوت ميزر صارصوت نادب ، يا أسير حب الدنيا إن قتلتك مَنْ تطلب ، كأنك بك قدبت فرحاً مسرورا فأصبحت ترحاً مشبورا ، وترك مالك لغيرك موفورا ، وخرج من يدك فصار للكل شورى ، وعانيت ما فعلت في الكتاب مسطورا ، وعلمت أنك كنت في الهوى مغرورا ، واستحالت صبا الصبا فعادت دُبُورا ، وأسكنت لحداً تصير فيه مأسورا ، ونزلت جدّاً خرباً إذ تركت قصراً معمورا ، ودخلت في خبر كان « وكان أمر الله قدراً مقدورا » .

وما هذه الدنيا بدار إقامة فيحزن فيها القاطن المترحل  
هي الدار إلا أنها كمفازة أناخ بهار كبر وركب تحملوا  
ولنا لمن مرّ الجديدين في الوغى إذا مرّ منها جحفل كَرَّ جحفل  
تجرد نصلاً والخلائق مفصل وتنبض سهماً والبرية مقتل  
وما خلفنا منها مفرّ هارب فكيف لمن رام النجاة التخيّل  
وكلّ وإن طال الشواء مصيره إلى موردٍ ما عنه للخلق معدّل

الموت مُسرّع مجده غير راث ، والأموال عن قليل تمضى للوارث ، وكأنك بوقوع الحادثات وحصاد الحارث ، ياطويل الأمل هل قلبك لا بث ، لا تسمعن الحال فلست بما كث ، يامطالباً بالجد وهو لاعب عابث ، يامعاهدا باللسان والعزم ناكث ، يامن أعماله إذا فقتشت خباثت ، صرّح الشيب وظال ما مجّمج<sup>(١)</sup> ووضح فجره وما كان قد تبلى ، أوضح طريق

(١) مجّج في خبره : لم يبينه .

الحذر وبين المنهج، أين الشباب؟ رحل مُسرعا وهماج<sup>(١)</sup>، إن نار الفراق في القلب تتأجج،  
إن فؤاد المتفكر يكاد أن ينضج، هذه خيول الرحيل قد أقيمت تُسرّج، والشكوك  
قد أزيلت والحق أبلّج، هذا وأنت بالمعاصي مُغرّى وتناهج، لك كأس من المنون  
صِرْف لا يُمزج، يامن هو في الكفن عن قليل مُدرّج، يالابسا حلة من البلاء لم تُنسج،  
يامن بضاعته إذا نُقدت كلها بهرج، ياسالكا طريق الهوى عوسج<sup>(٢)</sup>، كيف الطمع  
في المرتجى والباب مُرتج، يامن ضيّقت الذنوب خناقَه أين المخرج، يا عظيم فُتْرِك في القبر  
من منك أحوج، ما هذا الغرور أيّ مطمئن لم يُزعج:

أخلق الدهر الشبابَ الحسنَا ما أظن الوقتَ إلا قد دَنَا  
قد قطعنا في التصابي بُرْهَةً وجررنا في الذنوب الرَسَنَا  
وركبنا غَيَا جهلاً به فوجدناه علينا لا لنا  
وشرَبنا الدُّونَ بالذِّين فما عُدْ من قد باع بيماً غَيَا

لقد بان السبيل ولاح المنهج، فاللقلب عن الهدى قد عرّج، أما بُزْجك الترهيب؟  
أما يُشوقك الترهيب؟ إلام تروغ عن النصيح روغان الذّيب، وتلفت إلى أحاديث المني  
الأكاذيب قف على باب « وإن كُنّا لحاظّين » لتسمع: « لا تُزيب »، من التوفيق  
رَفُض التواني، ومن الخذلان مسامرة الأمانى.

إخواني: نذيركم قد صدّق، والمجتهد قد سبق، وقد مضى نهارُ العمر وبقى الشفق،  
وآخر جرعة اللذة شَرِق، وصاحب الدنيا منها على فرق. رب غُصْن ناضر كُسر  
إذا سبق، رب زرع قامت سوقه رماه الفرق. أين الرقيق ساقه سَوّاق مارفق، هذا  
وكلّم يدرى أين انطلق، أما رأيتم مضجعه في القبر بالحدق، واعجبا لقلب المتفكر كيف  
ما احترق، أما شاهدتموه وقد تقطعت منه الملق<sup>(٣)</sup>، وتقمّص بعد عُريه جلاباب الخوف

(١) هماج: أسرع في جريه. (٢) العوسج: المروج.

(٣) الملق: جمع علقه ومي ما يتعلق به.

والفرق ، وخرس لسانه وقد طال ما نطق :

فما تزوّد مما كان يجمعه إلا حنوطا غداة البين في خرقٍ  
وغير نفخة أعواد<sup>(١)</sup> يُشبُّ له وقلّ ذلك من زادٍ لِنُطْلُقِ  
أيها المتيقظون وهم نائمون ، أتبنون مالا تَسْكُنون وتجمعون مالا تأكلون ، كونوا  
كيف شئتم فستُنقلون « ثم إنكم بعد ذلك لमितون » . يامقيمين سترحلون ، يامستقرين  
ما تُتركون ، ياغا فلين عن الرحيل ستظعنون ، أراكم متوطّنين تأمنون المنون « ثم إنكم  
بعد ذلك لमितون » .

طول نهاركم تلعبون وطول ليلكم ترقدون ، والفرائض ما تؤدّون ، وقد رضيتُم عن  
الغالى بالدّون ، لا تفعلوا ما تفعلون « ثم إنكم بعد ذلك لमितون » أمّا الأموال فتجمعون  
والحقّ فيها ما تُخرجون ، وأمّا الصلاة فتضيعون وإذا صليتم تنفرون . أترى هذا إلى كم  
يكون « ثم إنكم بعد ذلك لमितون » أين العتاة المتجربون ، أين القراعنة المتسلطون ،  
أين أهل الخيلاء المتكبرون ، قدّروا أنكم صيرتم كهّم أما تسمعون ، « ثم إنكم  
بعد ذلك لमितون » ما نفعتهم الحصون ولا ردّ المال المصُون ، هبّت زَعَزَع الموت فكسّرت  
الفصون ، قدّروا أنكم تزيدون عليهم ولا تنقصون « ثم إنكم بعد ذلك لमितون » تقلبوا  
من اللذات في فنون ، وأخرجهم البطر إلى الجنون ، فأتاهم ما هم عنه غافلون « كم تركوا  
من جنات وعيون « ثم إنكم بعد ذلك لमितون » .

لو حصل لكم كلُّ ما تحبون ونما جميع ما تؤتون ، ونلتم من الأمانى ما تشتهون ،  
أينفصمكم حين ترحلون ؟ « ثم إنكم بعد ذلك لमितون » . إلى متى وحتى متى تُنصحون  
وأنتم تكسبون الخطايا وتجترحون ، أأمنتم وأنتم تَسرحون ذُبّ هلاك فلا تبرحون . ثم  
إنكم بعد ذلك لमितون »

لا تفرحوا بمنا تفرحون فإنه لغيركم حين تُطرحون ، وإياكم من يراكم من  
يراكم تفرحون ، قد خسرتم إلى الآن فاسترجعوا « ثم إنكم بعد ذلك لميتون » .  
ويحكم الدنيا دار ابتلاء وفُتُون ، وقد زجركم عنها المُفتُون ، وكم رأيتم  
من هالكٍ بها مفتون وكانكم بكم قد حُلتم على المُتُون ، كم أدلكم على النظافة  
وتختارون الأتُون .

## المجلس الثاني

### في ذكر السموات وما فيهن

الحمد لله الذي رفع السموات مزينة بزينة النجوم ، ومثبت الأرض بجبال في أقاصي  
التخوم ، عالم الأشياء بعلم واحد وإن تعدد المعلوم ، ومقدر الحبوب والمكروه والحمود  
واللذوم ، لا ينفع مع منعه سعي فكم مجتهد محروم ، ولا يضر مع إعطائه عجز فكم  
عاجز وافر المقسوم ، اطلع على بواطن الأسرار وعلم خفايا المكتوم ، وسمع صوت  
المريض المدنف المحروم ، وأبصر وقع القطر في سحاب مكروم « وما ننزله إلا بقدر معلوم » .  
جل أن تحيط به الأفكار أو تتخيله الوهوم ، وتكلم فكلامه مسموع مقروء  
مرقوم<sup>(١)</sup> ، وقضى قضاؤه إذا شاء إنفاذه محتوم ، وبتقديره معصية العاصي وعصمة  
المعصوم ، « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » .

قضى على الأحياء بالمات ، فإذا بلغت الخلقوم فات المقصود المرام وعز المطلوب  
المروم ، ونقل الآدمي عن جملة الوجود إلى حيز المدوم وبق أسير أرضه إلى يوم عرضه  
والقدوم ، فإذا حضر حسابه نشر كتابه الختوم وجوزى على ما حواه المكتوب وجمعه  
المرقوم « وعنت الوجوه للحي القيوم » .

أحمده حمدا يتصل وبدوم ، وأشهد أنه خالق الأعيان والرسوم ، وأصلى على رسوله  
محمد صلاة تبليغه على المروم ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق على السائل والمحروم ، وعلى  
عمر المنتصف بين الظالم والمظلوم ، وعلى عثمان المتجد إذا رقد النور ، وعلى علي الذي  
حاز الشرف والمعلوم ، وعلى عمه العباس سيد الأعمام على الخصوص والعموم .

قال الله تعالى : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج<sup>(٢)</sup> » .

(١) الأصل : موهوم . معرفة . (٢) سورة ق ٦ .



خلق الله عز وجل الماء فتار منه دخان فبنى منه السموات . قال قال أبو القاسم ابن أبي برة : السماء بيضاء لكن من بعدها تُرى خضراء . وقال الربيع بن أنس : السموات أولها مَوْج مكفوف ، والثانية من صخرة ، والثالثة من حديد ، والرابعة من صُفْر أو نحاس ، والخامسة من فضة ، والسادسة من ذهب ، والسابعة من ياقوتة حمراء <sup>(١)</sup> .  
وقال إياس بن معاوية : السما على الأرض مثل النقبة .

وقال أبو الحسين ابن النادى : لا اختلاف بين العلماء أن السماء على مثل الكرة فإنها تدور بجميع ما فيها من الكواكب كدَوْر الكرة على قُطْبَيْن ثابتين غير متحرّكين ، أحدهما فى ناحية الشمال والآخر فى ناحية الجنوب . وكرة الأرض مبنية فى وسط كرة السماء كالنقطة من الدائرة .

وفى حديث العباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة <sup>(٢)</sup> » . وكُنْف كل سماء خمسمائة سنة ، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعله كما بين السماء والأرض .

قال العلماء : وكذلك الأرضون السبع فى كثافتها وبعُد ما بين الواحدة والأخرى فذلك مسيرة أربع عشرة ألف سنة ، سوى ما تحت الأرض من الظلمة والنور وما فوق السموات من الحُجب والظلمة إلى العرش . وهذا على قَدْر مسير الآدمى الضعيف فأما للملك فإنه يَخْرُق ذلك فى ساعة واحدة .

وفى حديث حُدَيْفَةَ رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل لما أَيْرَمَ خَلْقَهُ فلم يبق غير آدم خلق شمين من نور عرشه ثم أرسل جبريل فأمر جناحه

(١) هذه أساطير لا وجه لها من الحق .

(٢) من حديث أخرجه الترمذى فى صحيحه كتاب التفسير، سورة الرحمن . قال الترمذى : هذا حديث غريب من هذا الوجه .

على وجه القمر ثلاث مرات فمحا عنه الضوء وبقي فيه النور<sup>(١)</sup> .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الشمس تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها<sup>(٢)</sup> » .

وأصفر النجوم بقدر الدنيا مرات . وفي السماء السابعة البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه . وبعد السماء السابعة سدرة المنتهى إليها ينتهى ما يَخرج من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يَهبط به من فوقها فيقبض منها . وبعد هذا الكرسي . قال صلى الله عليه وسلم : « ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة » ثم العرش وهو ياقوتة حمراء .

\*\*\*

فأما الملائكة ففي أفراد مسلم من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلقت الملائكة من نور<sup>(٣)</sup> » .

ومن أعظم الملائكة خلقاً حملة العرش وعددهم اليوم أربعة أخدام على صورة البشر قد وكل بالدعاء لتسل الآدمي ، والآخر على صورة النسر قد وكل بالدعاء لأجناس الطير ، والآخر على صورة الثور قد وكل بالدعاء للنسل للبهيمى ، والآخر على صورة السبع قد وكل بالدعاء لأجناس السباع ، فإذا جاءت القيامة زيد فيهم أربعة<sup>(٤)</sup> .

أخبرنا عبد الأول بن عيسى ، عن محمد بن المعكدر ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش

(١) هذا حديث موضوع ذكره في الآتي المصنوعة ٥٦/١ . (٢) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق .

وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥٠ . والمقصود تصوير خضوعها لأمر الله وجرياتها بقدره .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد حديث رقم ٦٠ .

(٤) هذه إسرائيات تسربت لدى أنفذان المسلمين ، وقد ذكر أمية بن أبى الصلت في شعره أن من الملائكة من هو على صورة ثور ومنهم من هو على صورة رجل ، وتلك أساطير لا قيمة لها .

ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة<sup>(١)</sup> .

أخبرنا عبد الأول بسنده عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل أذن لي أن أحدث عن ملك قد مرقت رجلاه الأرض وعنقه مثنية تحت العرش وهو يقول : سبحانك ما أعظمك ربنا ، قال فيرد عليه ، ما يعلم ذلك الذي يخلف بي كاذبا<sup>(٢)</sup> » .

وقال عبد الله بن سلام : لما خلق الله عز وجل الملائكة واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى السماء فقالوا : ربنا مع من أنت ؟ قال : مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه .

\*\*\*

فأما أعمال الملائكة فجهورهم مشغول بالتعبد كما قال الله سبحانه وتعالى « يسبحون الليل والنهار لا يفترون<sup>(٣)</sup> » .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن مؤرق ، عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، أظنت السماء وحق لها أن تنيط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد<sup>(٤)</sup> » .

ومن الملائكة موكل بعمل ، فمنهم حملة العرش قد وكلوا بحمله ، وجبريل صاحب الوحي والقلطة فهو ينزل بالوحي ويتولى إهلاك المكذبين ، وميكائيل صاحب الرزق والرحمة وإسرافيل صاحب اللوح والصُور ، وعزرائيل قابض الأرواح وله أعوان وهؤلاء الأربعة هم المقسمات أمراً . ومنهم كُتّاب على بنى آدم وهم المقبّات ، مَلَكَان في الليل ومَلَكَان في النهار .

---

(١) أخرجه أبو داود . تفسير الوصول ٢٨/٢ . (٢) الذي أخرجه الطبراني في الأوسط عن محمد بن الصباغ والحاكم في المستدرک : إن الله عز وجل أذن لي أن أحدث عن ذلك الخ وقال الحاكم : صحيح للاسناد .

(٣) سورة الأنبياء ٢٠ .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١٧٣/٥ والترمذي في صحيحه كتاب الزهد باب ٩ وابن ماجه في الزهد باب ١٩ .

أخبرنا هبة الله بن محمد، أنبأنا الحسن بن علي، أنبأنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله ابن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَر، عن هَمَّام، عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الملائكة يتعاقبون فيكم ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم : كيف تركتم عبادي ؟ فقالوا تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يدلون » .  
أخرجاه في الصحيحين <sup>(١)</sup> .

ومنهم موكّل بالشمس ، ومنهم موكّل بالقطر ، والرعدُ صَوْتُ مَلَكٍ يزجر السحاب ، والبرق ضَرْبُهُ إِيَّاهُ بمخاريق <sup>(٢)</sup> . ومنهم موكّل بالرياح والأشجار . قال ابن عباس رضى الله عنهما : ليس من شجرة تخرج إلا معها ملك موكّل بها .

ومنهم ملائكة سيّاحون في الأرض يتتبعون مجالس الدُّكْرِ ، وملائكة يبلِّغون رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمته السلام ، وملائكة موكّلون بمكة والمدينة ليمنعوا عنها الدجال إذا خرج .  
ومن الملائكة من هو مشغول بفرس شجر الجنة .

قال الحسن : إن أحدهم ليَفْتَر فيقال له : مالك ؟ فيقول : فتر صاحبي عن العمل .  
فكان الحسن يقول : أَمِدُّوهم رحمكم الله .

وقل كعب : إن في الجنة ملكا يصوغ حلية أهل الجنة منذ يوم خلق إلى أن تقوم الساعة !

أخبرنا محمد بن ناصر عن صفوان بن عمرو قال : سمعت خالد بن معدان يقول :

---

(١) صحيح البخارى ١٧٣/٢ (ط الأُميرية) وصحيح مسلم كتاب الصلاة ومواضع الساجد ونصه :  
« يتعاقبون فيكم ملائكة حديث رقم ٢١٠ » .

إنَّ الله عز وجل ملائكة أربعة يسبحون تحت العرش يسبح بتسبيحهم أهل السموات ،  
يقول الملك الأول : سبحان ذى المُلْك والمَلَكوت . ويقول الثانى : سبحان ذى العِزَّة  
والجبروت ، ويقول الثالث : سبحان الحىِّ الذى لا يموت .

وقال هارون بن رثاب : حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت رَحِيم تقول أربعة :  
سبحانك وبمحمدك على حِلْمك بعد عِلْمك وتقول الأربعة الأخر : سبحانك وبمحمدك على  
عَفْوِكَ بعد قُدْرَتِكَ .

وقال سعيد بن جبير : « أتى جبريلُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : إنَّ أهل السماء  
الدنيا سجدوا إلى يوم القيامة ، وأهل السماء الثانية ركعوا إلى يوم القيامة ، وأهل السماء  
الثالثة قيام إلى يوم القيامة » . وقد رويْنَا أنَّ ملكاً نصفه من نار ونصفه من ثلج وهو  
يقول : يا من أَلَف بين الثلج والنار فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفى النار ، أَلَف بين  
عبادك المؤمنين <sup>(١)</sup> .

### السلام على البسملة

ينما المرء غافل إذ أتاه	من يد الموت سالب لا يُصدُّ
فتأهب لما له كلُّ نفسٍ	عُرْضة الأُسْرِ إنما الأمرُ جدُّ
خاب من كان هم هذه الد	نيا فأضحى من نيلها يستمدُّ
فجناها إن أسعدت مُستعار	ليس من ردّه لمن نالَ بدُّ
كم أدالت من أهلها وأزالت	ذا جلال من نعمة لا تُحدِّد
بدلته من طيب مَفْضله قفرا	عادماً ما حوى ولم يُغنِ جدُّ
أين من كان ناعم الوجه أضحى	ما له من نهاية الحسن ضدِّ

(١) من حديث طويل موضوع ذكره السيوطى فى الآلى المعنوعة ٦٤/١ . قال ابن الجوزى : موضوع  
والتمهم به ميسرة كذاب وضاع .

قد محاه ثراه حين حواه      ووهى مغمصم وكف وزند  
وجفا أنسه أخ كان برًّا      وصديق دان وصحب وجند  
واستوى في البلى رئيس ومز      موس وأعيًا بالأسر حر وعبد

\*\*\*

يا غافلا قد طلب ، يا محاصما قد غلب ، يا واثقا قد سلب ، يا حازما قد خلب كأنه به  
قد قلب ، إياك والدنيا فما الدنيا بمأمنة ، وتزود للسفر فلا بد من مؤونة ، إذا قدرت على  
الكمال فلا ترض دونه ، واصدق في أمرك تأتلك المعونة ، أين المفرورون بفرورها  
أين السرورون بسرورها؟ صاح بهم الموت فأجابوا ، واستحضرهم البلى فجابوا ، ظنوا بلوغ  
الآمال وتوهموا ، واعتقدوا دوام السلامة فلم يسلّموا ، وأعلموا بالرحيل وكأنهم لم يعلموا ؛  
وناولوا أنفسهم أعنة الهوى وسلّموا ، كم هتف بهم نذير الفراق فلم يفهموا ، فلما بلغوا  
منتهى الآجال ولم يظلموا ، خلّوا في الخادم بما كانوا قدّموا .  
ولسنا بأبقى منهم غير أننا      أقنا قليلًا بخدم وتقدّموا

\*\*\*

أفّ لنفس توتثر ما يضيرها ، ما ترعوى وقد مرّ نظيرها ، ماتصنى إلى المواعظ وقد  
قال نذيرها ، أما نهاها لما علاها فتيرها<sup>(١)</sup> ، أما لاح لبصر البصيرة مصيرها ، أما يرجع  
إلى العقول مستشيرها ، أتقدر على نفس إن تلفت تستعيرها ؟ قل لهذه النفس الجهولة في فعلها  
ويحها إنما تسعى في قتلها ، أما لها عبر ممن كان قبلها ، كأنها بها تبكي على الأيام كلها ، إذا  
حانت المنية وبعثت بعض رسلها ، وبعثت يد القاطع بموصول حبلها ، وامتدت كف الأجل  
إلى عرى الأمل تحلها .

تساوى الناس في طرق المنايا      فسا سلم الصريح ولا المهجين  
تديننا البقاء من الليالى      ومن أرواحنا توفى الديون

(١) التتير : الشيب ، أو أوله .

كأننا قد شككنا في المنأيا وعند جميعنا الخبر اليقين

\*\*\*

إخواني : تأملوا العواقب تأمل من يراقب ، وتفكروا في النهاية فعين العقل ترى  
الغاية ، الموت قريب أمم ، كم أهلك من أمم ، لقد ارتهن الدّم وتشبّت باللّم ، فيامن  
ستخلّق منه الرّمّ أسماع أم صمم ، من ارتحل بغير الطبع حسن وحزم ، من علم شرف  
المطلوب جدّ وعزم ، إنما يكون الاجتهاد على قدر الهِم ، إنما ينافس في المطلوب على  
حسب القيم :

وحبّ دنياك طبع في المقيم بها وقد مُنيتَ بقرن منه غلاب  
لما رأيت سجايا الدهر ترحضي<sup>(١)</sup> ردّدت قدري إلى صبرى فأغلى بي  
والعقل يسعى لنفسى في مصالحها فما لطبع إلى الآفات جذّاب  
احذر من الناس أدناهم وأبعدهم وإن لقوك بتبجيل وترحاب  
كلّمت بالّلحن أهل اللحن أو نسهم لأن عيّى عند القوم إعرابى  
عند الفراقده أسرارى مخبّاة إذلست أرضى لآرابى بآراب<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

أيها الشاب تدبّر أمرك فإنك في زمن الربح ووقت البذر وإبان الفضائل ، احذر أن  
يخدعك العدو عن نفيس هذا الجوهر فتنتفقه بكفّ التبذير ، نالقه لئن فلت لتفرسن بذلك  
شجرة الندامة فيتساقط عليك من كل قنن<sup>(٣)</sup> منها فنّ حسرة . واعرف قدر ما تؤمن به  
هذا الجوهر من الفضائل ، واحذر من اختلاس العدو له ، فصاير فكلّان قد  
انقضى الموسم .

(١) ترحضي : تعني وتتمنى . (٢) الفراقده جمع فرقد وهو النجم القمى يهتدى به . وآراب الأولي :  
جمع لرب وهو الحاجة وآراب الثانية جمع لرب أيضاً وهو العقل .  
(٣) القنن : النصن .

واعلم أن الشيطان يُرَا صَدِّكَ لِيَفْتِنَكَ وَقُوَّةُ الطَّبْعِ لَهُ عَلَيْكَ، وَالشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجَنُونِ،  
فَاكْسِرْ عَادِيَةَ الْهَوَى بِوَهْنِ أَسْبَابِهِ .

وَقَالَ أَبُو مُوسَى : طُوبَى لِمَنْ وَقِيَ شَرَّ شَبَابِهِ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ عِيَّاشٍ : وَدِدْتُ  
أَنَّهُ صُفِّحَ لِي عَمَّا كَانَ فِي الشَّبَابِ وَأَن يَدَى قُطِعَتْ !

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ جِهَادَ الشَّبَابِ وَمُخَالَفَةَ الطَّبْعِ صَعْبًا صَارَ الشَّابُّ التَّائِبُ حَبِيبَ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ .

إِخْوَانِي : مَنْ رَأَى التَّنَاهِي فِي الْمَبَادِي سَلِمَ ، وَمَنْ لَمْ يَرِ الْعَوَاقِبَ شَغَلَهُ مَا هُوَ فِيهِ  
عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ .

يَا هَذَا : أَمَّا مَا قَدْ مَضَى مِنْ ذُنُوبِكَ فَلَيْسَ فِيهِ حِيلَةٌ إِلَّا التَّدَارُكُ ، فَرُبَّ مُدْرِكٍ لَمَّا  
فَاتَ ، الْأَسَى بِالْأَمْسَى . وَأَنَا أَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا لَتَحْذَرَ فِيمَا بَعْدَ جَنْسٍ مَا كَانَ قَبْلَ : إِذَا رَأَقَتْ  
الْحُلُوهُ لِحُمُومِ اعْتَرَكَ الْهَوَى وَالْعَقْلُ فَالْهَوَى يَنْظُرُ إِلَى الْعَاجِلِ وَالْعَقْلُ يَتَلَمَّحُ الْعَوَاقِبَ ،  
فَإِنْ آتَمَّ مَشُورَةَ الْعَقْلِ مَنَعَ نَفْسَهُ عَمَّا تَشْتَهِي نَظْرًا إِلَى مَا إِلَيْهِ الصَّبْرُ يَنْتَهِي ، فَإِذَا زَالَتْ  
حُمَاهُ تَنَاوَلَ مِنْ غَيْرِ أَذَى مَا اشْتَهَاهُ ، وَإِنْ اجْتَذَبَهُ رَائِقُ الْمَشْتَهَى فَأَنَسَاهُ الْمُنْتَهَى تَمَتَّعَ بِسِيرِهِ  
بِیْلُوغِ الْفَرَضِ فَزَادَ بِهِ ذَلِكَ الْمَرَضَ ، وَرَبَّمَا تَرَقَّى إِلَى الْمَوْتِ وَلَا تَدَارُكُ بَعْدَ الْفَوْتِ . فَيَا عَجِبًا  
لِلْخِتَارِ الْعَاجِلِ وَهُوَ يَعْلَمُ نَدَمَهُ فِي الْآجِلِ ، لَقَدْ ضَيَّعَ مَوْهَبَةَ الْعَقْلِ الَّذِي بِهِ شَرَفَ الْآدَمَى ،  
وَزَا حَمَّ الْبَهَائِمِ فِي مَقَامِ النَّظَرِ إِلَى الْحَاضِرِ .



## الكلام على قوله تعالى « وترى كل أمة جاثية »

الجاثية : الجالسة على الركب . والمعنى أنها غير مطمئنة ، والأقدام يوم القيامة مثل التَّبَلُّ في الجمعة ، والسعيد من يجد لتقديمه موصفا .  
قوله تعالى « كل أمة تدعى إلى كتابها » فيه قولان : أحدهما : كتاب حسناتها وسيئاتها . رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثاني : كتابها الذي أنزل على رسولها . ذكره الماوردي .

قال ابن مسعود : الأرض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها يرون أكوابها وكواكبها ، ويَمَرُّ الرجل حتى يرشح عرقه في الأرض قائمة ثم يرتفع إلى أفقه وما مسّه الحساب بعد . قالوا : وممّ ذلك ؟ قال : مما يرى الناس يُصنع بهم . قيل له : فأين المؤمنون ؟ قال : على كراسي قد ظُلِّلَ عليهم بالتمام ما طول ذلك اليوم عليهم إلا كساعة من نهار .

\*\*\*

يا من قد ملأ كتابه بالقبيح وهو عن قليل رهن الضريح ، ألا تمحو قُبْح ما سَطَرْتَ ، هَلَّا تدبرت ما تُمَلِّي ونظرت ، لقد سوّدت الكتاب بالزلل ، وأكثر ما دخل المنطق الدّخل ، وحتّام وإلام ؟ أبقى شيء بعد وهن العظام ؟

يا دأبما على هجره وإعراضه ، يا ساعيا في هواء وأعراضه ، يا من قد أخذ بناه جسمه في انتقاضه ، عليل الخطايا لا يزال في إمرضه ، هذا عسكر المات قد دنا بارتكاضه ، هذا برق العتبات قد ليج بإيماضه ، كيف قدر جفن العاصي على إغماضه ، كيف ينسى ما قد مات قديما من أبعاضه ، لو سمع صخر الفلاة لومك أو ذاق الألم من إمتاضه ، لعادت

جَلَامِيدُ الْفَلَا كَرَضْرَاضِهِ <sup>(١)</sup> ، يَأْمَنُ يَعْلَمُ غُلُطَ عُدْرِهِ وَوَجْهَ إِذْحَاضِهِ ، يَأْسَاعِيَا إِلَى مَا يُؤْذِي بَرَكَاضِهِ ، يَاهَا جِرَا نَصِيحِهِ كَيْتَهُ أَبْغَضَ قَبِيحِهِ كَأَبْغَضَهِ ، اسْتَقَرَضَ الْمَالِكُ بَعْضَ مَالِكٍ وَتَقَعَدَ عَنْ إِقْرَاضِهِ ، لَقَدْ أُنْذِرْتُ سَهْمُ الرَّدَى وَقَوَعَهُ قَبْلَ إِنْبَاضِهِ <sup>(٢)</sup> ، فَأَحَدًا حَدًّا حَدِيدَتَهُ وَأَسَنَّهُ <sup>(٣)</sup> بِمَقْرَاضِهِ :

بَادِرُ بِمَعْرُوفِكَ آفَاتِهِ فَبَيْنِيهِ الدُّنْيَا عَلَى الْقُلَمَةِ <sup>(٤)</sup>  
وَأَزْرَعُ زُرُوعًا يُرْتَضَى رِيْعُهَا يَوْمًا فَكُلُّ حَاصِدٍ زَرْعَةٍ



أَفْ لَمِيشَ آخِرُهُ النَّدَامَةُ ، آهٍ مِنْ سَفَرٍ نَهَايَتُهُ بَدَايَةُ الْقِيَامَةِ .

إِخْوَانِي : هَذَا نَذِيرُ الْمَوْتِ قَدْ غَدَا يَقُولُ : الرَّحِيلُ غَدَا ، كَأَنَّكُمْ وَاللَّهِ وَالْأَمْرُ مَعَا ، طُوبَى لِمَنْ سَمِعَ فَوَعَى ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا صَاحَ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ بِالصُّورِ ، فَخَرَجْتَ تَسْمَى مِنْ تَحْتِ الْمَدَرِ ، وَقَدْ رُجَّتِ الْأَرْضُ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ ، وَشَخَصَتْ الْأَبْصَارُ لَتِلْكَ الْأَهْوَالِ ، وَطَارَتِ الصَّخَائِفُ فَفَلَقَتْ الْخَائِفَ وَشَابَ الصَّغَارُ ، وَبَانَ الصَّغَارُ ، وَزَفَرَتِ النَّارُ وَأَسْطَاطَتِ الْأَوْزَارُ ، وَنُصِبَ الصَّرَاطُ وَآلَمَتِ السَّيَّاطُ ، وَحَضَرَ الْحِسَابُ وَقَوِيَ الْعَذَابُ ، وَشَهِدَ الْكِتَابُ وَتَقَطَّعَتِ الْأَسْبَابُ ، فَكَمْ مِنْ شَيْخٍ يَقُولُ : وَاشْبِيتَاهُ ، وَكَمْ مِنْ كَهْلٍ يَنَادِي : وَإِخْوَانِي ، وَكَمْ مِنْ شَابٍ يَصِيحُ : وَاشْبَابَاهُ ، بَرَزَتِ النَّارُ فَأُخْرِقَتْ ، وَزَفَرَتِ غَضْبًا فَمَزَّقَتْ ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَفْتَدَةُ وَتَفَرَّقَتْ ، وَقَامَتِ ضَوْضَاءُ الْجَدَلِ ، وَأَحَاطَ بِصَاحِبِهِ الْعَمَلُ ، وَالْأَحْدَاقُ قَدْ سَالَتْ وَالْأَعْنَاقُ قَدْ مَالَتْ ، وَالْأَلْوَانُ قَدْ حَالَتْ ، وَالْمِحَنُ قَدْ تَوَالَتْ ، أَيْنَ عُدَّتْكَ لَذَلِكَ الزَّمَانُ ، أَيْنَ تَصْحِيحُ الْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ ، أَتَرْضَى يَوْمَئِذٍ بِالْخُسْرَانِ ؟ أَمَّا تَعْلَمُ أَنَّكَ كَمَا تَدِينُ تَدَانُ ؟

(١) الإِمَاضُ : مَصْدَرُ أَمْضَى الْأَمْرِ إِذَا أَحْزَنَهُ . وَالْجَلَامِيدُ : جَمْعُ جَلَمَدٍ وَهُوَ الصَّخْرُ . وَالْفَلَا : الصَّحْرَاءُ . وَالرَّضْرَاضُ : الْحَصَى أَوْ صَفَارُهَا .

(٢) الْإِنْبَاضُ : تَحْرِيكُ الْقَوْسِ لِيَنْطَلِقَ السَّهْمُ . (٣) الْأَصْلُ : وَانْتَبَهَ . (٤) الْقُلَمَةُ : الْإِتْقَاعُ . قَالَ فِي الْقَامُوسِ : وَمَتَرْنَا مَتَرًا قُلَمَةً : أَيِ لَيْسَ بِمَسْتَوْطِنٍ . أَوْ مَعْنَاهُ : لَا تَعْلَمُكَ أَوْ لَا تَدْرِي مَتَى تَحُولُ عَنْهُ .

كم في كتابك من زَلَلٍ ، كم في عملك من خَلَلٍ ، هذا وقد قَرُبَ الأجلُ ، إِي والله أَجَلٌ ،  
كم ضِيعَتِ واجبا وفَرَضًا ونَقَضَتِ عهدًا مُحْكَمًا نَقْضًا ، وأُتِيتِ حرامًا صريحًا مُحْضًا ،  
يا أجسادًا صَحاحًا فيها قلوبٌ مَرَضَى .

\*\*\*

عباد الله : أطول الناس حُزْنًا في الدنيا أكثرهم فرحًا في الآخرة ، وأشد الناس  
خوفًا في الدنيا أكثرهم أَمْنًا في الآخرة . يقول الله عز وجل : « أنا لا أجمع على عبدي  
خوفين ولا أَمْنَيْنِ ، إذا أَمِنَني في الدنيا أَخَفْتُهُ في الآخرة ، وإذا خَافَني في الدنيا أَمَنْتُهُ  
في الآخرة » .

إخواني : المؤمن يتقلب في الدنيا على جِمرات الحذر في نيران الخوف ، يرهب العاقبة ،  
ويحذر المعاقبة ، فالنار متمكنة من سويداء قلبه ، إن هو هفأَ توقدت في باطنه نارُ الندم ،  
وإن تذكَّرَ ذنبًا اضطربت نار الحزن ، وإن تفكر في مُنْقَلَبِهِ التَّيْبَتِ نار الحذر ، وإن صفا  
قلبه لمحبة خالقه صار القلب جِمرَةً بنار الفرق ، فإذا ورد القيامة عادت ناره نوراً يسعى  
بين أيديهم وبأيمانهم ، فإذا جازَ على الصراط لم تقاوم نارُ التعذيب نيرانَ التهذيب ،  
فتنادى بلسان الاعتراف بالتفضيل : جُزْ فقد أطفأ نورك لهي !

فإن هو حضر القيامة على زَلَلٍ لم تصدق توبته منه فأوجب ذلك خمودَ نوره فقد  
خَبَتِ نارُ حذرهِ في باطن قلبه ، فإذا لَفَحَتْهُ جهنم فأحرقت ظاهره أَحْسَتْ بأثر شُعْلة الخوف  
في باطنه فكفَّت كفها عنه . فلو قيل لها أين شِدَّةُ شِدَّتِكَ وأين حديدَةُ حِدَّتِكَ ل قالت :  
لا مقاومة لي بنيران باطنه وإن قَلَّتْ :

يُحْرَقُ بالنار من يحسُّ بها      فمن هو النار كيف يحترقُ

\*\*\*

هذه صفة المؤمن فأين إيمانك هذا لدى الحسنات وقد خسر ميزانك ، شأنك الخطايا

فهلّا قرح شائك<sup>(١)</sup> يامهملا نفسه سيشهد جلدك ومكانك ، اليقظة اليقظة يانيام ، الحذر الحذر فقد سئل الحُسام ، الزهد الزهد قبل الفِطام ، كأنكم بكم في أثواب السقام ترؤمون الخلاص وقد عزّ المرام ، فستندمون على ما مضى من الآثام ، وتحرس الألسن وينقطع الكلام .

إخواني: أحضروا القلوب لهذا اللام ، تالله ما أكرم نفسه من لا يهينها ، ولا يزينها من لا يشينها .

دخل عثمان رضى الله عنه على غلام له يعرف ناقته فرأى في علقها ما كره فأخذ بأذن غلامه فعرّكها ثم ندم فقال : افعل بى ما فعلت بك ، فأبى الغلام فلم يدعه حتى فعل فجعل عثمان رضى الله عنه يقول له : شدّ شد . حتى ظن أنه قد بلغ منه مثل ما بلغ ثم قال عثمان : واهّا لقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة .

كان القوم تحت حجر الحاسبة وكأنك مُطلق .

كان ابن السّمّاك يقول : ألا منتبه من رقدته ، ألا مستيقظ من غفلته ، ألا مفيق من سكرته ، ألا خائف من صرّعته ، أقسم بالله لو رأيت القيامة تحقق بزلازل أهوالها وقد علت النارُ مُشرقة على أهلها وحىء بالنبين والشهداء لسرّك أن يكون لك في ذلك الجمع منزلة وزلقى .

أبعد الدنيا دار مُعتمَل ، أم إلى غير الآخرة مُنتَقَل ؟ كلا والله لقد صمّت الأسماع عن المواعظ وذهلت القلوب عن المنافع .

وعظ أعرابي ابنه فقال : أى بنى إنه من خاف الموتَ بادرَ القوّت ، ومن لم يكبح نفسه عن الشهوات أسرعت به التّبعات ، والجنة والنار أمامك .

---

(١) الشّان : مجرى الدمع فى العين .

فيا ليتنى هامداً لا أقومُ إذا نهضوا يَنْفُضُونَ اللَّمَمَ<sup>(١)</sup>  
ونادى النّادى على غفلةٍ فلم يَبْقَ فى أذنٍ من صَمَمٍ  
وجاءت صحائفُ قد ضُمّتْ كباثرِ آثامهم واللّهم<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

(سجّع)

يا أسفا للمصاة فى مآبها ، إذا قلقت لقطع أسبابها ، وغابت فى الأسى عند حضور  
عتابها « كلُّ أمة تُدعى إلى كتابها » . قامت الأمم على أقدامها فأقامت تبكى على إقدامها ،  
وسالت عيونٌ من عيون غرامها ندما على آثامها فى أيامها واحتقابها « كلُّ أمةٍ تُدعى  
إلى كتابها » .

ظهرت أهوالٌ لا توصف ، وبدت أمور لا تُعرف ، وكُشف حالات لم تكن تكشف ،  
إن لم تنتبه لهذا فأت أعرف ، ستعلم من يلوم نفسه عند عذابها « كلُّ أمة تُدعى إلى  
كتابها » قيدت جهنم فبدت بأزماتها ، فبكت النفوسُ على دناءة همتها ، كم من ديونٍ  
تعلقت بذمتها ، على أنه يكفيها ما بها « كلُّ أمة تدعى إلى كتابها » .

أنت تدري ما فى كتابك ، وستبكي والله عند عتابك ، وستعلم حالك يوم حسابك ،  
إذا كلّمت كلَّ الألسن عن جوابها « كل أمة تُدعى إلى كتابها » بالله يومٌ لا كالأيام ،  
تيقظ فيه من غفل ونام ، ويحزن كل من فرح فى الآثام ويتقن أن أحلّى ما كنت فيه  
أحلام ، وأعجبا لضحكك نفس البكاه أولى بها « كل أمة تدعى إلى كتابها » .

كم من نفس ترى بعين الصلاح تفعل الخير فى المساء والصباح ، عملت أعمالا ترجوها  
الفلاح ، فلاح لها ما لم يكن فى حسابها « كل أمة تدعى إلى كتابها » .

ذكر الله نفوسنا مرّ شرابها ، وجعلنا ممن مدّ باع التقوى فباع وشرى بها ، وحفظنا  
إذا حارت النفوس لشدة أوصابها ، ورزقنا قبول موعظته فقد أوصى بها « كل أمة تدعى  
إلى كتابها » .

(١) للهم: جمع لمة بالكسر ومى: الشعر المجاوز لشعبة الأذن . (٢) اللهم بفتح اللام: صفار الذنوب .

## المجلس الثالث

### في ذكر الأرض وعجائبها

الحمد لله القديم في مجده ، الكريم في رفده ، الرحيم فكل خير من عنده ، اللطيف في كل حال بعبده ، مدَّ الأرض بقدرته والعجب في مدّه ، وزينها بنباتها وألوان وزده ، وسقاها كأس القطر بواسطة برقه ورعده ، وجمع في الفصن الواحد بين الشيء وضده ، وقوّم الثمار بالماء من حر الشمس وبرده ، إله خوف بوعيده وشوق بوعده ، وقدّر فاهتدى من هداه وضلّ من لم يهده ، وسمع فلم يعزّب عن سمعه صوت المضطرّ بعد جهده ، وأبصر فرأى جريان دم العبد في عرقه وجلده ، وعلم ما في باطن سرّه من برّه وحقده ، وعزّمه وحزّمه ، وبُفّضه ووّدّه ، ونعمّه وفكره ، وعلمه وقصده ، وحلّمه وحبه وزهده ، ولقّه ونقّضه ، وأخذّه وردّه ، وقدّر أعماله في حياته وحالّه في لحدّه ، وجعل في الحكمة نسيان أهله من بعده ، فإن كان صالحاً عبّق في قبره نشرُ وردّه ، وإن كان عاصياً خلّ بقبیحه وخطيء ببُعده ، فسبحان من لا يعترض العقل على أفعاله بل يقف على حده « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » .

أحمده حمداً لا يقدر الخلائق على عدّه ، وأصلى على رسوله وعبدّه ، وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الذي كان الإسلام مُنحلاً لولا قوة شدّه ، وعلى عمر وحيد التدبير في السياسة وفرّده ، وعلى عثمان قائم الليل والدمع يجري على خدّه ، وعلى عليّ المصلى مع الرسول قبل بلوغ رُشدّه ، وعلى عمه العباس الذي أخذ له البيعة على جنده .

\*\*\*

قال الله تعالى : « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل

شيء موزون <sup>(١)</sup> » .

قال ابن عباس : خلق الله عز وجل الماء فكان على متن الريح ، وخلق الحوت فوق الماء ثم كبس الأرض عليه فاضطرب النون فادت الأرض ، فأثبتت بالجبال .

وقال السدّي عن أشياخه : أخرج الله عز وجل من الماء دخانا سما عليه فسماه سماء ، ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين ، فالأرض على حوت في الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة والحوت في الريح<sup>(١)</sup> قال وهب : واسم الحوت بهموت .

وقال قتادة : عُمران الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ في مثلها ، فالسند والهند من ذلك اثنا عشر ألف فرسخ في مثلها ، وهم ولدحام ، والصين ثمانية آلاف فرسخ في مثلها وهم ولد يافث . والروم ثلاثة آلاف فرسخ في مثلها ، والعرب ألف فرسخ وهم والروم جميعا من ولد سام .

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لما خلق الله الأرض جعلت نَمِيد نخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرّت ، فتمعجت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال : نعم الحديد . قالت : يارب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال : نعم النار . قالت : يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال : نعم الماء . قالت : يارب فهل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال : نعم الريح . قالت : يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال : نعم ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله<sup>(٢)</sup> » .

قال العلماء : أول جبل وضع على الأرض جبل أبي قُبَيْس ، وكان أول من بنى فيه رجل يقال له أبو قُبَيْس ، فسمى بذلك . وكان يقال له في الجاهلية الأمين لأن الركن كان

---

(١) هذه أساطير لا سند لها ولا تمثل الفكر الإسلامى الصحيح الذى يترك الظن والتغرس فيها لا علم له به . وإذا أبقينا مثل هذه الأقاويل فى كتبنا فإننا نبقينا على أنها تراث قديم قد يفيد فى تاريخ العلم فى تلك العصور .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ١٢٤/٣ والنزمدى فى صحيحه كتاب التفسير .

مستودعا فيه من زمان الطوفان ، وهو أحد الأخشين . ومن مشاهير الجبال جبل ثور بمكة ، والحجّون جبل واحد بالمدينة ، وجبل البرج بين مكة والمدينة يمضى إلى الشام حتى يتصل ببلبنان ثم يتصل بجبال أنطاكية والمصيصة ، فيسمى هنالك اللكّام . وفي سرّنديب الجبل الذى أهبط عليه آدم وعليه العود والقفل وفيه دابة المسك ، وجبل الروم الذى سدّ فيه ذو القرنين على يأجوج ومأجوج طوله سبعمائة فرسخ وينتهى إلى البحر المظلم . وقد ذكر قدامة أن الذى وجد فى الإقليم الأول من الجبال تسعة عشر ، وفى الإقليم الثانى سبعة وعشرون جبلا ، وفى الإقليم الثالث أحد وثلاثون ، وفى الرابع أربعة وعشرون ، وفى الخامس تسعة وعشرون ، وفى السادس أربعة وعشرون ، وفى السابع أربعة وعشرون أيضا . فجميع ما عرف من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا . وقد أحصيت المعادن كاللّصّ والنورة فوجدوها سبعمائة معدن .

والأقاليم سبعة : فالإقليم الأول : الهند ، والثانى : الحجاز ، والثالث : مصر ، والرابع : بابل ، والخامس : الروم ، والسادس : الترك ويأجوج ومأجوج ، والسابع : الصين . ومقدار كل إقليم سبعمائة فرسخ . والبحر الأعظم محيط بذلك كله يحيط به جبل قاف . وأما الأنهار فمنها النيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان .

وكان قد أوحى الله تعالى إلى دانيال عليه السلام : احفرلى نهرين بالعراق فقال : إلهى بأى مَسَاحٍ وبأى رجال ؟ فأوحى إليه أن أعد سِكَّةَ حديد وعرّضها واجعلها فى خشبة فألقها خلف ظهرك فإنى باعث إليك الملائكة يمينونك . فحفر فكان إذا انتهى إلى أرض أرملة أو يتيم حاد عنها حتى حفر دجلة والفرات .

ومن المعجائب فى الدنيا : عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : من المعجائب التى وصفت فى الدنيا أربع : منارة الإسكندرية عليها مرآة حديد يقعد القاعد تحتها قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فيرى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر . وسودانى من نحاس على قضيب



من نحاس على باب الشرق برومية . فإذا كان أوان الزيتون صفر ذلك السوداني فلا يبقى سودانية إلا جاءت معها بثلاث زيتونات : زيتونتان في رجلها وزيتونة في منقارها فألقته على ذلك السوداني فتحمل أهل رومية فيعصرون ما يكفيهم لِسرجهم وإدامهم إلى العام المقبل . ورجل من نحاس بأرض اليمن ماذيبه إلى وراء يقول : ليس ورأى مذهب ولا مَسْلَك ، وهى أرض رَجْرَاجَة لا يستقر عليها الأقدام غزاها ذو القرنين في سبعين ألفاً فخرج عليهم نمل كالبحآتي فكانت النملة تخطف الفارس عن فرسه . وبطة من نحاس على عمود من نحاس فيما بين الهند والصين . فإذا كان يوم عاشوراء شربت البطة من الماء حاجتها ومدت منقارها فيفيض من فيها من الماء ما يكفيهم لزروعهم ومواشيهم إلى العام المقبل<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

قال العلماء : أول من سكن الأرض الجن ، وكانوا يمدون الله عز وجل ، ثم تناول بعضهم بعضاً بالقتل . قال ابن عباس : الجن ضعفاء الجان .  
قال مجاهد : ملك الأرض كلها أربعة : مؤمنان وكافران ، فأما المؤمنان : سليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام . والكافران : نمرود وبخت نصر .  
وقال كعب : ساكن الأرض الثانية الريح العقيم ، وساكن الأرض الثالثة حجارة جهنم ، وفي الرابعة كبريت جهنم ، وساكن الأرض الخامسة حَيَات جهنم ، وساكن الأرض السادسة عقارب جهنم ، وفي السابعة إبليس موثق يد أمامه ويد خلفه ورجل أمامه ورجل خلفه فتأتيه جنوده بالأخبار في مكانه ذلك .

فأما الجن فهم ثلاثة أنواع : جان وجن وشياطين . وكلهم خلقوا قبل آدم . وفي الجان ثلاثة أقوال : أحدها : أنه أبو الجن . رواه الضحاك عن ابن عباس ، وهو مخلوق من مارج من نار . والمارج : لسان النار الذى يكون في طرفها إذا التهب . والثاني : أن

(١) هذه أيضاً أساطير وتصورات قديمة جانبها الحق ولا دليل لها من الواقع . فلننظر إليها على أنها تصوير لفكر خرافي لا علمي .

الجان هو إبليس . قاله الحسن وعطاء . والثالث : أن الجان مسيخ الجن كما أن القردة والخنزير مسيخ الإنس . رواه عكرمة عن ابن عباس .

فأما الشيطان فهو كل متجبر عاتٍ من الجن ، وكذلك المارد والعفريت . وفي إبليس قولان : أحدهما أنه كان من أشراف الملائكة . والثاني : أنه كان من الجن . قال مجاهد : لإبليس خمسة أولاد : نبر والأعور ومسوط وداسم وزلنبور . فأما نبر فهو صاحب المصائب يأمر بشق الجيوب ولطم الخدود ، وأما الأعور فيأمر بالزنا ، ومسوط صاحب الكذب يلقى الرجل فيخبره بالشيء فيتحدث الرجل به ، وداسم يوقع بين الرجل وأهله ، وزلنبور يركز رايته في السوق ويوقع بينهم <sup>(١)</sup> .

### الكلام على البسمة

أَضْحَكَ سِنَّكَ بَعْدُ الْأَمَلُ      وَلَمْ يُبَيِّنْ عَيْنَكَ قُرْبُ الْأَجَلِ  
كَأَنَّكَ لَمْ تَرَ حَيًّا يُسَاقُ      وَلَمْ تَرَ مَيِّتًا عَلَى مُفْتَسَلِ  
قُلْ لِلَّذِينَ غَفَلُوا وَلِمَبَا كَانَهُمْ قَدْ تَعَبُوا ، مَا لَمْ عِبْرَةٌ فِي الَّذِينَ ذَهَبُوا ، أَمَّا الْكَاسُ  
بِيَدِ السَّاقِ وَمِنْهُ شَرِبُوا .

سَنِيَرُ اللَّيَالِي إِلَى أَعْمَارِنَا خَبَبُ      فَمَا تَبَيَّنَ وَلَا يَفْتَقِهَا نَصَبُ  
كَيْفَ الذَّجَاءُ وَأَيْدِيهَا مَصْمُومَةٌ      بَذَلْنَا بِمُدَى لَيْسَتْ لَهَا نَصَبُ <sup>(٢)</sup>  
وَهَلْ يُؤْمَلُ نَيْلَ الشَّمْلِ مَلْتَمًا      سَفَرُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ رَحْلَةً عَجَبُ  
وَمَا إِقَامَتُنَا فِي مَنْزِلٍ هَتَفَتْ      فِيهِ بَنَا مُذْ سَكَنَّا رَبْعَهُ نَوْبُ  
وَأَذَنَّا وَقَدْ تَمَّتْ عِمَارَتُهُ      بَأَنَّهُ عَنِ قَلِيلٍ دَائِرُهُ خَرَبُ  
أَزَرْتُ بَنَا هَذِهِ الدُّنْيَا فَا أَمَلُ      إِلَّا لَرَيْبِ الْمَنَآيَا عِنْدَهُ أَرْبُ

(١) ليس هذا الكلام حجة على شيء ، وإنما هو تصور قصاص يستثيرون الخيال .  
(٢) النصب : جمع نصاب ، وهي جزاء السكين .

ليست سهامُ الموت طائشةً وهل تطيش سهامُ كله نُصبُ  
ونحن أغراضُ أنواعِ البلاءِ بها قبلَ الماتِ فمرمى ومُرْتقبِ  
أين الذين تناهَوْا في ابتنائهم صاحبت بهم نائبات الدهر فاقبلوا

\*\*\*

انتبهوا يا نيام ، افهموا هذا الكلام ، قد بقيت لكم أيام ، هذا عود الحياة قد  
يس ، ونور الشباب بالشيب منطمس ، ولسان الفرح بالترح قد خرس ، وسواء في  
الموت المهمل والمحترس ، ولا فرق عنده بين اللين والشرس . إخواني : كم رأيتم من قبر  
مدرس ، إخواني : كم تلى عليكم زجر ودُرس . إخواني : كأنكم في كف المختلس ،  
إنما هو نفس منطلق وكان قد حبس ، ترى متى ينق هذا القلب الدنس ، إلى كم ذا  
المريض كل يوم ينتكس ، إنما أنت بقية الراحلين فاعتبر بهم وقس :

نائباتُ في كل يوم تنوبُ وخطوبُ تأتي وتمضي خطوبُ  
ما عجيبُ مكر الزمان ولكن ثقة النفس بالزمان عجيبُ  
كم دعتني إلى زخارفها الداء يا فنادت مني الذي لا يجيبُ  
ومتي ساحتُ خليلاً بحظّ خالفتها فاسترجعتُ الخطوبُ  
كم إلى كم نذود عنها ونهني غير أن القلوب ماتستجيبُ  
وصلاح الأجسام سهل ولكن في صلاح القلوب يعقب الطيبُ

الدنيا بحر عجاج ، ليس راكبه بناج ، الدنيا كظلمة ليل داج ، ليس فيها إلا  
الزهد سراج ، هدوها انزعاج وسكونها اختلاج ، ضيقة الفجاج كدرة المزاج ،  
لا تفرّك ولو ألبستك التاج ، وقد خاطر من حمل في الوحل الزجاج ، تريك السلامة  
تفرياً وتمويها ، وتظهر المحاسن والقبائح وتخفيها ، تبين كل كف كانت تبنيها ، ماتعتذر  
إلى جريحها كبراً وتيها :

هي الدنيا فلا يفرّك منها زخارف تستغرّ ذوى العقول

أقلُّ قليلها يكفيك منها ولكن ليس تقنع بالقليل

\*\*\*

مَحَنَ الدنيا ولذاتها أنموذج مافي الآخرة ، فلو أصغى سَمْعُ القلب فِهم .  
لما أهديت مُعَاذَةَ العدوِّية إلى صلة بن أشيم أدخله ابنُ أخيه الحَمَام ثم أدخله  
بيتاً مطيَّباً فقام يصلى حتى برق الفجر ، فقامت فصلت . قال : فأنيته فقلت : يا عم أهديت  
إليك ابنة عمك فقت تصلى ؟ ! فقال يا بن أخي أدخلتني أمس بيتاً أذكركني  
به النار ، ثم أدخلتني الليلة بيتاً أذكركني به الجنة ، فما زال فكري فيهما  
إلى الصباح !

يا أيها الراحِل وما له رَوَّاحِل ، يكنى في الوعظ أربعون كَوَامِل ، كلهن من فِعل  
الخير عَوَّاطِل ، متى تسمع قول العاذِل ، متى تؤثرُ المكاتبات بالرسائل ، أما أنت في صف  
الحرب تُقَاتِل ، هذا العدو ينصب الحبايل قد فوق السهم وأمَّ المَقَاتِل ، إلى متى ترضى  
باسم جاهل ، إلى متى تؤثر لقب غافل ، كم تعد بالتوبة وكم تماطل ، أين قلبك ؟ قلبك  
على مراحِل .

كم أسمعك الموت وعيدك ، فلم تنتبه حتى قطع وريدك ، وتقص منزلك وهدم مَشِيدك ،  
ومزق مالك وفرق عبيدك ، وأخلى دارك وملأ بيدك ، أما رأيت قرينك ؟ أما أبصرت  
هَيْدِكَ ، يا ميتاً عن قليل مهَّد تمهيدك ، وانظر لنفسك مجتهداً وحقق تجويدك ، لقد أمرضك  
المهوى وفي عزِّمه أن يزيدك ، يا عجبا للجاهل المغرور كيف يشتغل بمارة الدُّور ، قد بعث  
الموت للرحيل المنشور ، السَّقام أعلامه واللحودُ السطور :

خُذْ ما صفا لك فالحياةُ غرورُ	والموتُ آتٍ واللييبُ خيرُ
لا تمتبَنَّ على الزمان فإنه	فلَك على قُطْبِ الهلاك يدورُ
تَعَفَّو السطور إذا تقادم عهدها	واخلُتْ في رِقِّ الحياة سطورُ
كلُّ يَفِرَّ من الردى ليفوته	وله إلى ما فرَّ منه مَصيرُ

فانظر لنفسك فالسلامة نُهْزَة وزمانها ضافي الجناح يطيرُ  
مرآة عيشك بالشباب صَقِيلَة وجناح عمرك بالمشيب كَسِيرُ  
بادِر فإن الوقت سَيْفٌ قاطِعٌ والعمر جيشٌ والشبابُ أَمِيرُ

\*\*\*

### قوله تعالى

« فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان »

قال المفسرون: تنفجر السماء من الحجر لئول من فيها يوم القيامة . « فكانت وَرْدَة كَالْدَهَانِ » . فيها قولان : أحدهما : أنها القرم الوردية <sup>(١)</sup> تكون السماء كلونها . قاله أبو صالح والضحاك . قال الفراء : القرم الوردية تكون في الربيع إلى الصفرة فإذا اشتد الحر كانت حمراء ، فإذا كان بعد ذلك كانت إلى الغبرة . فشبه تلون السماء بتلون الورد من الخليل . قال الزجاج : السكمت الورد يتلون ، فيكون لونه في الشتاء خلاف لونه في الصيف ، ولونه في الفصل خلاف لونه في الشتاء والصيف ، فالسما تتلون من الفزع .  
والثاني : أنها وردة النبات وقد تختلف ألوانها إلا أن الأغلب عليها الحمرة . ذكره الماوردي .

وفي الدهان قولان : أحدهما أنه واحد الأديم الأحمر . قاله ابن عباس . والثاني : أنه جمع دهن ، والدهن تختلف ألوانه بخضرة وحمرة وصفرة . حكاه اليزيدي ، وإلى نحوه ذهب مجاهد . وقال الفراء : شبه تلون السماء بتلون الورد من الخليل ، وشبه الوردية في اختلاف ألوانها بالدهن .

قوله تعالى : « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان » فيه ثلاثة أقوال : أحدها :

---

(١) الورد من الخليل : بين السكيت والأشقر .

لا يُسألون ليعلم حالهم، لأن الله تعالى أعلم منهم بذلك . والثاني : لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله لاشتغال كل منهم بنفسه . والقولان عن ابن عباس . والثالث : لا يسألون عن ذنوبهم لأنهم يعرفون بسيماهم فالكافر أسود الوجه والمؤمن أغرَّ مُحَجَّل من أثر وضوئه . قاله القراء . وقال الزجاج لا يسأل عن ذنبه بسيفهم ولكنه يسأل سؤال توبيخ . قوله تعالى : « يُعرفُ المجرمونُ بسيماهم » قال الحسن : بسواد الوجوه وزرق الأعين « فيؤخذُ بالنواصي والأقدام » فيه قولان : أحدهما أن خزنة جهنم تجمع بين نواصيهم إلى أقدامهم من وراء ظهورهم ثم يدفعونهم على وجوههم في النار . قاله مقاتل . والثاني : يؤخذ بالنواصي والأقدام يُسحبون إلى النار . ذكره الثعلبي .

وروى مردويه الصائغ قال : صلى بنا الإمام صلاة الصبح فقرأ سورة الرحمن ومعناه على ابن الفضيل بن عياض فلما قرأ : « يُعرفُ المجرمونُ بسيماهم » خرَّ مفشياً عليه حتى فرغنا من الصلاة ، فلما كان بعد ذلك قلنا له أما سمعت الإمام يقرأ : « حورٌ مقصورات في الخيام » فقال شغلني عنها : يُعرفُ المجرمونُ بسيماهم .

قوله تعالى : « هذه جهنمُ التي يكذبُ بها المجرمون » يعنى الشركين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » .

انفرد بإخراجه مسلم<sup>(١)</sup> .

قوله عز وجل : « يطوفونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ » الحميم : الماء الحار . والآنى : الذى قد انتهت شدة حره . والمعنى أنهم يسعون بين عذاب الحميم وبين الحميم إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الشديد الحرارة .

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الحميم ليُصبَّ على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه حتى يَمْرُقَ من قدميه ثم يعاد كما كان<sup>(٢)</sup> » .

(١) صحيح مسلم كتاب الجنة حديث رقم ٢٩ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣٧٤/٢ والترمذى في صحيحه كتاب جهنم باب ٤ .

قوله عز وجل « ولمن خاف مقامَ رَبِّه جَنَّاتٌ » وفيه قولان : أحدهما : قيامه بين يدي ربه يوم الجزاء . والثاني : قيام الله على عبده بإحصاء ما اكتسب .

قال مجاهد : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » وهو الذي إذا همَّ بمعصية ذكر مقام ربه عليه فيها فاتهمي . وقال أبو موسى : جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين . قال الحسن البصري : كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاب يلزم المسجد والعبادة ، فعشقتة امرأة فأتته في خلوة فكلَّمته ، فحدّث نفسه بذلك فشبهه فشبهه ففُشّي عليه ، فجاء عمّ له فحمله إلى بيته فلما أفاق قال : يا عم انطلق إلى عمر رضي الله عنه فأقرئه مني السلام وقل له : ما جزاء من خاف مقام ربه ؟ فانطلق عمه فأخبر عمر رضي الله عنه فأثاه عمر رضي الله عنه وقد شهِق فمات فوقف عليه عمر وقال : لك جنتان (١) .

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه ، ورجلٌ تصدّق بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله عز وجل خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال : إني أخاف الله عز وجل » .  
أخرجاه في الصحيحين (٢) .

وقال يحيى ابن أبي كثير : لا يُحمَد ورعُ امرئٍ حتى يُشْفِي على طمع ويقدر عليه فيتركه حين تركه الله عز وجل .

\*\*\*

آه من نفس ما يقرّ قرارها ، طلعت شمس الشَّيب وما خبّت نارها ، ما لاحت لها شهوة إلا قلَّ اضطبارها ، ما بانت لها موعظة فبان اعتبارها ، كم وعظها ليلها ونهرها

(١) ذم الهوى لابن الجوزي .

(٢) صحيح البخاري كتاب الزكاة باب رقم ١٦ . وصحيح مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ٩١ .

نهارها ، الذَّنْبُ لباسها والجهل شِعَارها ، كم نُكثِر النِّصَائِحَ وما نَقُل أَوْزَارها ، كم تَقَوِّمُ  
وما يَصْلِح أوزرارها ، كم تُلَاقِمُ لُطْفًا وما يَرَعُو نِفَارها ، كلما جَذَبَهَا أَمَلُهَا زاد اغْتِرَارها ،  
إلى كم مع المَعاصِي أَمَا يَلْزِمُهَا عَارها ، أَسَاءَ تَدِيرُهَا أَمْ قُبِحَ اخْتِيَارها ، من يأخذ بيدها  
إذا طَالَ عِثَارها .

إِنَّ النِّفْسَ إِذَا أَطْمَعَتْ طَمِعَتْ ، وَإِذَا أَقْنَعَتْ بِالْيَسِيرِ قَنَعَتْ ، فَإِذَا أُرِدَتْ صِلَاحُ  
مَرْضِهَا فَبِتَرَكْ غَرَضُهَا ، احْبِسْ لِسَانَهَا عَنْ فُضُولِ كَلِمَاتِهَا ، وَغُضِّ طَرْفَهَا عَنْ مَحَرَّمِ نَظَرَاتِهَا ،  
وَكُفِّ كَفِّهَا عَنْ مُؤَذَى شَهَوَاتِهَا إِنَّ شَتَّى أَنْ تَسْعَى لَهَا فِي نَجَاتِهَا .



إِخْوَانِي : علامة الاستدراج المعنى عن عيوب النفس ، ما ملكها عبدٌ إلا عَزَّ  
وما ملكت عبدًا إلا ذَلَّ :

الْحَرَصُ فِي كُلِّ الْأَفَانِينِ يَصِمُ      أَمَا رَأَيْتَ كُلَّ ظَهَرٍ يَنْقُصُ  
وَعُرَّةٌ مِنْ كُلِّ حَيٍّ تَنْقُصُ      أَمَا سَمِعْتَ الْحَادِثَاتِ تَخْتَصِمُ  
بَلْ حُبُّكَ الْأَشْيَاءَ يُعْنَى وَيُصِمُ

قال مالك بن دينار : يقول الله عز وجل : وعزتي إني لأهبط بعذاب أهل الأرض  
فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتى صرفت عنهم العذاب .  
وقال ميمون بن مهران : الذِّكْرُ ذِكْرَانِ : ذِكْرُ بِاللِّسَانِ وَأَفْضَلُ مِنْهُ ذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَ  
مَا يُشْرِفُ عَلَيْهِ مِنْ مَعَاصِيهِ .

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كَانَ الْكَفَلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ  
ذَنْبٍ ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سَتِينَ دِينَارًا فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ فَقَالَ :  
مَا يَبْكِيكِ؟ قَالَتْ هَذَا عَمَلٌ لَمْ أَعْمَلْهُ قَطُّ . فَقَالَ اذْهَبِي وَالِدَانِيرَ لَكَ . ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَعْصِي  
اللَّهُ الْكَفْلُ أَبَدًا فَاتِ مِنْ لَيْلَتِهِ ، فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ : قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لِلْكَفْلِ .



يَا مَنْ لَا يَتْرَكَ ذَنْبًا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، يَا مَنْ أَكْثَرَ عَمَلَهُ الَّذِي لَهُ عَلَيْهِ ، كَمْ ضَيَّعْتَ فِي الْمَعَاصِي  
عَصْرًا ، كَمْ حَمَلْتَ عَلَى الْأَزْرِ<sup>(١)</sup> مِنَ الْوِزْرِ أَزْرًا ، أَتَرْضَى أَنْ تَمْلَأَ الصَّحَافَ عَنِيًّا وَخَسْرًا ،  
أَمَا يَكْفِي سَلْبَ الْقَرِينِ وَعَظًا وَزَجْرًا ، لَقَدْ ضَيَّعْتَ شَطْرًا مِنَ الزَّمَانِ فَاحْفَظْ شَطْرًا ، مَا أَبْقَتْ  
لَكَ الصَّحَّةُ حُجَّةً وَلَا تَرَكْتَ عُذْرًا ، كَمْ نِعْمَةٍ نَزَلَتْ بِكَ وَمَا قَرَنْتَهَا شُكْرًا ، تَقَابَلْهَا بِالْمَعَاصِي  
فَتَبَدَّلَ الْعُرْفَ نُكْرًا ، كَمْ سَتَرَكَ عَلَى الْخَطَايَا وَأَنْتَ لَا تُقْلَعُ دَهْرًا ، كَمْ نَمَتَ عَنْ صَلَاةٍ  
وَكَمْ شَرِبْتَ خَمْرًا ، كَانَ الشَّيْبُ هَالَا لَا وَقَدْ صَارَ بَدْرًا ، تَعَاهِدْ وَلَا تَقَى إِلَى كَمْ غَدْرًا ،  
أَطَالَ عَلَيْكَ الْأَمَدُ فَصَارَ الْقَلْبُ صَخْرًا ؟ إِنَّمَا بَقِيَ الْقَلِيلُ فَصَبْرًا يَا نَفْسُ صَبْرًا .

صَبَا مِنْ شَابٍ مَفْرَقَهُ تَصَايِي	وَأِنْ طَلَبَ الصَّبَا وَالْقَلْبُ صَايِي
أَعَاذَلُ رَاضِيًا لَكَ شَيْبُ رَأْسِي	وَلَوْلَا ذَاكَ أَعْيَاكَ اقْتَضَايِي <sup>(٢)</sup>
كَفَنِي بِالشَّيْبِ مِنْ نَاهٍ مُطَاعٍ	عَلَى كُرْهِهِ وَمِنْ دَاعٍ مُجَابٍ
حَطَّطْتُ إِلَى النِّهْيِ رَحْلِي وَكَلَّتْ	مَطْيَةُ بَاطِلِي بَعْدَ الْهَيْبَابِ <sup>(٣)</sup>
وَقُلْتُ مُسَلِّمًا لِلشَّيْبِ أَهْلًا	بِهَادِي الْخَطِئِينَ إِلَى الصَّوَابِ
يَذْكُرْنِي الشَّبَابَ وَمِیْضُ بَرَقٍ	وَسَجْعُ حَمَامَةٍ وَحَنِينِ نَابٍ <sup>(٤)</sup>
أُفْجِعَ بِالشَّبَابِ وَلَا أُعْزِي	لَقَدْ غَفَلَ الْمَرْزِيُّ عَنْ مُصَابِي

### (سجع)

يَادَائِمُ الْخَطَايَا وَالْعَصِيَانِ ، يَاشَدِيدُ الْبَطْرِ وَالطُّفْيَانِ ، رُبِحَ الْمُتَقَوْنَ وَلَكِ الْخُسْرَانِ  
« وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ » . يَامَعْتَكِفًا عَلَى زَلَّهِ وَذَنْبِهِ ، لَا يُوَثِّرُ عِنْدَهُ أَلِيمُ عَتْبِهِ ،  
أَمَّا الْمَصْرَفُ فَقَدْ طُمَسَ عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يَنْفَعُهُ وَعَظُ اللِّسَانِ « وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ » .  
كَمْ خَوْفٌ وَمَاتَخَافٌ ، يَا مَنْ إِذَا أَمَرَ بِالْعَدْلِ خَافَ ، الْوَيْلُ لَكَ يَا صَاحِبَ الْإِسْرَافِ

(١) الْأَزْرُ : الظُّهْرُ . وَالْوِزْرُ : الْإِثْمُ . (٢) الْاِقْتَضَابُ : مَصْدَرُ اقْتَضَيْهِ ، بِمَعْنَى قَطَعَهُ .  
(٣) الْهَيْبَابُ : النِّشَاطُ فِي السِّيرِ . (٤) النَّابُ : النَّاقَةُ الْمُسْتَهْ .

« ولن خاف مقام ربه جنتان » . لو رأيت أهل الزَّيْغِ والمناد وأرباب المعاصي والفساد مُقَرَّنين في الأصْفاد « سَراييلهم من قِطْران » « ولن خاف مقام ربه جنتان » . قد سُدَّتْ في وجوههم الأبواب وغضب عليهم رَبُّ الأرباب ، والنار شديدة الالتهاب والعذاب فيها ألوان « ولن خاف مقام ربه جنتان » أَعْرَضَ عنهم الرَّحِيمُ ومنعمهم خَيْرَهُ الْكَرِيمُ ، وَيَتَقَلَّبُونَ فِي الْجَحِيمِ « يَطُوفُونَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ حِمِيمٍ أَنْ » سَعِيرِهِمْ قَدْ أُحْرِقَ ، وزمهريرهم قَدْ مَزَّقَ ، ونورُ الْمُتَّقِينَ قَدْ أَشْرَقَ ، « متكئين على فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ » .

سارت بهم إلى الجَدَّةِ الْمُطَايَا ، فَأُجْزِلَتْ لَهُمْ جَزِيلُ الْعَطَايَا ولأرباب الخطايا النيران .  
مَنْ عَلَيْهِمْ بِنَعِيمٍ مَا مَنَّ<sup>(١)</sup> ، لَا يَخْطُرُ لِمَنْ يَتَوَكَّلُ وَيُظَنُّ ، وَقَدْ كَفَانَا صِفَةَ الْحُورِ مِنْ وَصَفِهِنَّ  
« كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ » .

أَيُّهَا الْعَاصِي قَدْ اجْتَهِدْنَا فِي صَلَاحِكَ ، وَعَرْضْنَا فِي التَّجَارَةِ لِأَرْبَاحِكَ ، وَأَنْتَ عَلَى الْمَعَاصِي فِي مَسَائِكَ وَصَبَاحِكَ ، وَبِمَدُّ قَلْبِ نَبِيٍّ مِنْ قَلَالِكَ « كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ »  
ولن خاف مقام ربه جنتان «

# الطَبَقَةُ الرَّابِعَةُ

تَشْتَمِلُ عَلَى فُضَائِلِ الْعِلْمِ وَالْمَعَامَلَاتِ

---

فِيهَا ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ مَجْلَسًا



## المجلس الأول

### في فضائل العلم والعمل

الحمد لله الذى بيده الإيجاد والإنشاء ، والإماتة والإحياء ، والإعادة والإبداء ،  
والإنعام والآلاء ، والرخص والفلاء ، والحظ والعلاء ، والعافية والبلاء ، والداء والدواء ،  
خلق آدم وخلقت لأجله الأشياء ، فمن جرّاه كانت الأرض والسماء ، والظلمات والأضواء ،  
والصباح والمساء ، والريح والماء ، وعلمه العلم فانبجست عنه الظلمات ، وعرفه خطّ الخط فبجاء  
المهجاء: الألف والباء ، والتاء والثاء ، والجيم والحاء ، والخاء والdal والذال والراء ، والزاي  
والسين والشين والصاد والضاد والطاء ، والظاء والعين والعَيْن والفاء ، والقاف والكاف  
واللام والميم والتون والهاء ، والواو ولام الألف والياء .

وبث من نسله الرجال والنساء ، فمنهم العالم الذاكر ومنهم الجاهل النساء ، وأكثرهم  
الغافلون وأقلهم الألباء ، وليست زرقاء اليمامة كالأعشى ، ولا النهار كالليل إذا يفتشى ،  
« إنما يخشى الله من عباده العلماء »<sup>(١)</sup> .

أحمده له بتوفيق لحمده الآلاء ، وأقرّ بأنه مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع  
الملك ممن يشاء ، وأصلّى على رسوله محمد أشرف ركب حوته البیداء ، وعلى صاحبه أبى  
بكر الصديق مُصاحبه إن وقعت الشدة أو الرخاء ، وعلى عمر الفاروق الذى دوّخ الكفر  
فذلّت له الأعداء ، وعلى عثمان الصابر وقد اشتد به البلاء ، وعلى عليّ الذى حصل له دون  
الكل الإخاء ، وعلى عمه العباس الذى سألت الصحابة به الفيت فسال السماء .

\*\*\*

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم

في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة <sup>(١)</sup> » .

وهذا المثل من أوقع المثال ، لأن طريق التوحيد والعلم بالآخرة لا يدرك بالحس وإنما يُعرف بالدليل ، والعلماء هم الأدلاء فإذا قُعدوا ضلَّ السالك .

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ العباد رءوساً جهلاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا <sup>(٢)</sup> » .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن صفوان بن عسال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب <sup>(٣)</sup> » .

وذكر أبو سليمان الخطابي في معنى وضعها أجنحتها ثلاثة أقوال : أحدها بسط الأجنحة . والثاني : أن المراد به التواضع لطالب العلم . والثالث : النزول عند مجالس العلم وترك الطيران ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « ما من قوم يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة <sup>(٤)</sup> » .

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضى الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلى عليه السلام : « والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النعم <sup>(٥)</sup> » .

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٥٧/٣ . وفيه رشد بن سعد واختلف في الاحتجاج به .

وأبو حفص صاحب أنس مجهول يجمع الزوائد ١٢١/١ . (٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب ٣٤

وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب العلم حديث رقم ١٣ ، ١٤ والترمذي كتاب العلم باب ٥ .

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي تيسير الوصول ١٧٢/٣ .

(٤) أخرجه مسلم والترمذي . تيسير الوصول ١٠٥/٢ . (٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب

باب مناقب علي بن أبي طالب ، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٣٤ .

وروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، فإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر<sup>(١)</sup> » .

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : تعلّموا العلم فإن تعلّمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومُدّارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قرّبة ، وهو الأنس في الوحدة والصاحب في الخلوة .

وقال كعب : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أن تعلّم يا موسى الخير وعلمه للناس فإنني منور لمعلم الخير ومتعلمه في قبورهم حتى لا يستوحشوا في مكانهم .

وقال عيسى عليه السلام : من تعلّم وعلم وعمل فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : خير سليمان بن داود عليه السلام بين العلم والمال والمُلك ، فاختار العلم فأعطى المال والمُلك معه .

وقال بعض الحكماء : ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم ؟ وأي شيء فات من أدرك العلم .

ولا يخفى فضل العلم ببديهته العقل ، لأنه الوسيلة إلى معرفة الخالق وسبب الخلود في النعيم الدائم ، ولا يُعرف التقرب إلى المعبود إلا به ، فهو سبب لمصالح الدارين .

قال الحسن : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم . وقال المعافى بن عمران : كتابة حديث واحد أحبُّ إليَّ من قيام ليلة .

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي . تفسير الوصول ١٧٢/٢ .

وكيف لا يقول هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يوزن مدادُ العلماء مع دم الشهداء فيرجح مدادُ العلماء على دم الشهداء »<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

ومن آداب العالم : أن يترك فضول الدنيا ليتبعه الناس ، فإن الاستدلال بالفعل أقوى من الاستدلال بالقول ، فإن الطبيب إذا أمر الحمية ثم خلط لم يلتفت إلى قوله .  
أخبرنا علي بن عبد الله بسنده عن أبي همام الكلاعي عن الحسن أنه مرَّ ببعض القراء على بعض أبواب السلاطين فقال : أفرحتم جباهكم وفرطحتم نعالكم وجنتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم فزهّدوا فيكم ! أما إنكم لو جلستم في بيوتكم حتى يكونوا هم الذين يُرسلون إليكم لكان أعظم لكم في أعينهم ، تفرّقوا فرق الله بين أعضائكم !

وقال الحسن : إن الزبانية إلى فسقة حملة القرآن أمرع منهم إلى عبدة الأوثان ، فيقولون : ربّنا ما بالنّا يتقدمون إلينا ؟ فيقول الله تعالى : ليس من يعلم كمن لا يعلم !  
أخبرنا يحيى بن علي بسنده عن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول : من قرأ القرآن عظمت قيمته ومن تفقه نبّل قدره ، ومن كتب الحديث قويت حجّته ، ومن تعلم اللغة رقى طبّعه ، ومن تعلم الحساب جزّل رأيه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه .

سمعت إسماعيل بن أحمد يقول سمعت عبد الله بن عطاء يقول : سمعت أبا نصر الحواري يقول : سمعت أبا حاتم الرازي يقول بسنده عن يونس بن عبد الأعلى يقول ، سمعت الشافعي يقول : كتب حكيمٌ إلى حكيم : يا أخى قد أوتيت علماً فلا تدنّس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم .

\*\*\*

---

(١) أخرجه الشيرازي عن أنس والموهي عن عمران بن حصين وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله . انظر الجامع الصغير للسيوطي حديث رقم ١٠٠٢٦ .



والمأخوذ على المتعلم : أن يطلب العلم للعمل به . ففي الحديث : « من طلب العلم ليباهى به العلماء أو يُمارى به السفهاء أو ليصرف وجوه الناس إليه لم يَرَحْ رائحة الجنة <sup>(١)</sup> » .  
وفي أفراد مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه  
أنه قال : « إن أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة ، فذكر منهم رجلا تعلم العلم وعلمه  
وقرأ القرآن فيقال له : ما عملت ! فيقول : تعلمتُ فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن .  
فيقال : كذبتُ ولكذك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل . وقرأت القرآن ليقال هو قارئ  
وقد قيل . ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار <sup>(٢)</sup> » .

أخبرنا أبو منصور وعبد الرحمن بن محمد بسندهما عن أبي جعفر عبد الله بن إسماعيل  
ابن توبة . يقول رأيت أبا بكر الأدمي القاري في النوم بعد موته يمدّ يده قتل له :  
تلك الليالي والمواقف والقرآن ؟ فقال لي : ما كان شيء أضر على منها لأنها كانت للدنيا .  
قتل له : فإلى أى شيء انتهى أمرك ؟ قال : قال لي تعالى : آليت على نفسي أن لا أعذب  
أبناء الثمانين <sup>(٣)</sup> .

### السلام على البسم

نَبِيٌّ وَنَجْمٌ وَالْآثَارُ تَنْدَرُسُ      وَنَامِلُ اللَّبْثِ وَالْأُرُوحُ تُخْتَلَسُ  
ذَا اللَّبِّ فَكَّرَ فَمَا فِي الْخُلْدِ مِنْ طَمَعٍ      لَا بُدَّ مَا يَنْتَهِي أَمْرٌ وَيَنْعَكُسُ  
أَيْنَ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ وَمَنْ      كَانُوا إِذَا النَّاسُ قَامُوا هَيَّيَّةً جَلَسُوا  
وَمَنْ سَيُوفِهِمْ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ      تُخَشَى وَدُونَهُمُ الْحِجَابُ وَالْحَرَسُ  
أَضْحَوْا بِمَهْلِكَةٍ فِي وَسْطِ مَعْرَكَةٍ      صَرَعَى وَمَا شَى الْوَرَى مِنْ فَوْقِهِمْ يَطْسُ <sup>(٤)</sup>

(١) رواه الطبراني في الأوسط ، والبراز وفيه سليمان بن زياد الواسطي . مجمع الزوائد ١/ ١٨٤ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإمامة رقم ١٥٢ .

(٣) لا يصح مثل هذا الخبر ولا يتفق مع القواعد التي أعلنها الإسلام في الثواب والعقاب .

(٤) يَطْسُ : بطلاً بشدة . والوطس : الضرب الشديد بالخف وغيره .

وَعَمَّهُمْ حَدَثٌ وَضَمَّهُمْ جَدَثٌ      باتوا وهم جُنُثٌ في الرَّفْسِ قَدْ حُبِسُوا  
كَأَنَّهُمْ قَطٌّ مَا كَانُوا وَمَا خُلِقُوا      ومات ذِكْرُهُم بَيْنَ الْوَرَى وَنُسُوا  
وَاللَّهُ لَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَا صَنَعْتَ      يَدُ الْبَلَى بِهِمْ وَالِدُودٌ يَقْتَرِسُ  
لَعَايَنْتُ مِنْظَرًا تَشْجَى النُّفُوسُ بِهِ      وَأَبْصَرْتُ نُكْرًا مِنْ دُونِهِ النَّكْسُ  
مِنْ أَوْجِهِ نَاضِرَاتٍ حَارٍ نَاضِرَهَا      فِي رَوْنِقِ الْحُسْنِ كَيْفَ تَنْطَمِسُ  
وَأَعْظَمُ بِالْيَاتِ مَا بَهَا رَمَقٌ      وَلَيْسَ تَبْقَى وَهَذَا وَهِيَ تُنْفَسُ  
وَالسِّنُّ نَاطِقَاتٌ زَانِهًا أَدَبُ      مَا شَانَهَا شَانَهَا بِالْآفَةِ الْخَرَسُ  
نَكَسَهُمُ أَلْسِنٌ لِلدَّهْرِ فَاعْرَةٌ      فَاهَا فَاهَا لَمْ إِذْ بِالرَّدَى وَكِسَا  
عَرَوْا عَنِ الْوَشْيِ لَمَّا أُلبِسُوا حُلَلًا      مِنْ الرِّغَامِ عَلَى أَجْسَادِهِمْ وَكُسُوا  
وَصَارَ لُبْسُ الصَّفَايَا مِنْ خَلَائِهِمْ      جُونُ النَّيَابِ وَقَدَمًا زَانَهُ الْوَرَسُ<sup>(١)</sup>  
حَتَّامٌ يَاذَا النَّهْيِ لَا تَرَعُو سَفَهًا      وَدُمُعُ عَيْنِكَ لَا يَهْمِي وَيَنْبَجِسُ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

يا غافلاً عن نفسه أمرك عجيب ، يا قتيلاً الهوى ذاؤك غريب ، يا طويلاً الأمل ستدعى  
فتجيب ، وهذا عن قليل وكلُّ آت قريب ، هلا تذكرت لحدك كيف تبليت وحدك ،  
ويبأشر الثرى خدك ، وتقسم الديدان جلدك ، ويضحك الحبُّ بعدك ناسياً عنه بعدك ،  
والأهل مُذْوجدوا المالَ ما وجدوا قفدك ، إلى متى وحتى متى تترك رشدك ، أما تُحسِنُ  
أن تحسن إلينا قفدك ، الأمر جدُّ مُجد فلأزم جدك .

ذهبَ الأحبةُ بعدَ طولِ تودد      ونأى المزارُ فأسلموك وأقشعوا  
خَذْلُوكَ أَقْفَرَ مَا تَكُونُ لِقُرْبَةٍ      لَمْ يُونْسُوكَ وَكَرْبَةً لَمْ يَدْفَعُوا

(١) الصفايا : كذا . والمعروف في جمع الصفاة ، وهي الحجر الصلد : صفا . وصفوات وجمع الجمع : أصفاه  
وصفى . والجبون : السود . والورس : نبات كالسمسم يصنع به ، لونه أصفر . (٢) ينبجس : ينجس .

قُضِيَ القضاء وصرتَ صاحبَ حُفْرةٍ    عنك الأحبة أعرَضُوا وتصدَّعُوا  
ووجد على قبر مكتوب :

سِعْرَضَ عن ذكرى وتُنسى مودَّتِي    ويحدث بَعْدِي للخليل خليلُ  
إذا انقطعت يوماً من العَيش مُدَّتِي    فإن غناء الباكياتِ قليلُ  
إلى متى هذا التخليط والموت بكم محيط ، أين الأخ والخليل بادرهما موتٌ نشيط ،  
كيف يلهو هذا الشَّمِيط ، وله أسدٌ مُسْتَشِيط ، عليه وسخ وما يميظ لابل دمٌ عَبِيط <sup>(١)</sup> ،  
ياربما انقبض النشيط ، تيقظ فكم هذا الفَطِيط ، اقبل نصحي واسمع من الوسيط ، ياذا  
التحرك في الهوى لابدله من سكون ، على هذا كانت الدنيا وعليه تكون ، لا يفرّتك  
سَهْلها فبعد السهل حُزُون ، لا تنظر إلى فرحها فكل فرح محزُون ، تأمل فعلها بغيرك  
فبُغْض المُقْبِح يهون ، إن روحك دَيْن المات وستُقضى الديون ، ما فرحها مُسْتَم ولا نَرَحها  
مأمون ، ما أضحكت السنَّ إلا وأبكت العيون ، إياك وإيا المومِس الخنُون ، إنها لدار  
الفرور ومنزلٌ للفتون ، كم نلوم على الغَبْن وما يعقل المغبون ، مهلاً أضْعَم المواقظ قلبُ  
هذا مفتون ، يا لآئِمًا لى فى الهوى ماذا هوى هذا جنون .

أيها الغافل عما بين يديه لا يذكر الموت ولا يلتفت إليه ، شغله عن المواقب ماله فيه  
وألهاه ماله عما عليه :

يَالْقَوْمِ لِلآمَلِ المَفرورِ    وِلْجَاجٍ لا يَنْقِضِ فى الصَدرِ  
ولنفسٍ مَخدوعَةٍ بالأمانِ    ولهمْ مُوَكَّلٍ بِسُرورِ  
واقْباضِ الحِياةِ عما يَرجى    هـ الفِى وامتدادِ حَبْلِ المَفرورِ  
يَلْتَحِيه الزمانُ فى كلِّ يومٍ    دائِبًا كالنَّحاءِ غُصْنٍ نَضِيرِ <sup>(٢)</sup>  
يَتَمَنَّى فى العِيش ما ليس يَلقَا    هـ وينسى حَزَمَ الزمانِ المَغيورِ

(١) العَبِيط : الطرى الذى لم يجف . (٢) يَلْتَحِيه : يقشره .

ولنِغْنِ غَفَتْ عَنِ الْأَجْلِ الْيَقْظَا      نَ أَمْسَى بِهَا قَرِيبَ الْمَسِيرِ  
كُلَّ يَوْمٍ يَهْبِضُ لِلْمَرْءِ عَظْمًا      وَهُوَ يَسْطُو فِيهِ بِعَظْمٍ كَسِيرِ  
يَحْمِلُ الْمَوْتَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ إِذْ يَنْدُو      وَيَخْشَاهُ مِنْ وَرَاءِ الثُّغُورِ  
كُلُّ نَفْسٍ فِي مَسْتَقَرٍّ عَلَيْهَا      وَالْبَحْرِ مِنْ حِمَامِهَا الْمَقْدُورِ

\*\*\*

يا مَنْ يَجُوبُ شَرْقَ الْهَوَى ثُمَّ يَقْطَعُ غَرْبَهُ ، فَكَمْ لَهُ مِنْ طَلْعَةٍ فِي طَلْبِهِ وَغُرْبَةٍ ، كَأَنَّهُ  
بِسَيْفِ الْأَسَفِ قَدْ سُلَّ مِنْ جَفْنِهِ <sup>(١)</sup> فَأَسَالَ مِنْ جَفْنِهِ غَرْبَهُ .

قال بعض أصحاب الحسن : ليت ابن آدم لم يُخْلَقْ . فقال حبيب العجمي : فقد  
وقعتم فاحتالوا !

تالله ما اهتمَّ بِالْخَلَّاصِ إِلَّا أَهْلُ الثَّقَى وَالْإِخْلَاصِ ، أَيامهم بِالصَّلاحِ زَاهِرَةٌ ، ودولهم  
لِلْعَدُوِّ قَاهِرَةٌ ، وَأَعْيُنُهُمْ فِي الدُّجَى سَاهِرَةٌ ، يَخَافُونَ الْعَرَضَ عَلَى أَرْضِ السَّاهِرَةِ ، وَالْعَقُولُ  
لِلنَّفُوسِ نَاهِيَةٌ آمِرَةٌ ، وَأَخْلَاقُ الثِّيَابِ عَلَى أَخْلَاقِ طَاهِرَةٍ ، وَالدُّنْيَا عَلَيْهِمُ وَالْقُلُوبُ صَابِرَةٌ ،  
وَفِي الْجَمَلَةِ بَاعُوا الدُّنْيَا فَاشْتَرَوْا بِهَا الْآخِرَةَ .

قال أبو يزيد : جمعتُ أسبابَ الدُّنْيَا فربطتها بِجَبَلِ الْقُنُوعِ ، وَوَضَعْتُهَا فِي مِئْجَنِيْقِ  
الصَّدَقِ ، وَرَمَيْتُ بِهَا فِي جَبَلِ الْيَأْسِ ، فَاسْتَرَحْتُ :

قَرَّبَ الْحِرْصُ مَرْكَبًا لَشَقِيٍّ      إِنَّمَا الْحِرْصُ مَرْكَبُ الْأَشْقِيَاءِ  
مَرْحَبًا بِالْكَفَافِ يَأْتِي عَفِيًّا      وَعَلَى الْمُتَعَبَاتِ ذُبُلُ الْعَفَاءِ  
ضِلَّةٌ لَا مَرِيءَ يَشْمُرُ فِي الْجَمِّ      حَ لَيْشٍ مَشْمُرٌ لِلْفَنَاءِ  
دَائِبًا يُكْثِرُ الْقَنَاطِيرَ لِلَّوَا      رِثَ وَالْعَمْرَ دَائِبًا لَا تَقْضَاءِ  
حَبْذَا كَثَرَةُ الْقَنَاطِيرِ لَوْ كَا      نَ لَرَبِّ الْكَنُوزِ كَنْزُ بَقَاءِ  
يَفْتَنْدِي يَرْحَمُ الْأَسِيرُ أُسِيرَا      جَاهِلًا أَنَّهُ مِنَ الْأُسْرَاءِ

(١) الْأَصْلُ : مِنْ جَيْنَتِهِ . مَحْرَفَةٌ .

بحسب الخطّ كلّ في يديه وهو حمله على مدى الجوزاء  
ذلك الخائب النقي وإن كان يرى أنه من السعداء<sup>(١)</sup>

### الكلام على قوله تعالى

« فاليوم لا تظلم نفس شيئا »<sup>(٢)</sup>

ميزان العدل يوم القيامة مستقيم اللسان، تبين فيه الذرة فيجزى العبد على الكلمة قالها في الخير والنظرة نظرها في الشر، فيا من زادته من الخير طفيف، احذر ميزان عدل<sup>(٣)</sup> لا يحيف.

أخبرنا ابن المذهب بسنده عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فيُنشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مَدّ البصر؛ ثم يقول له: أنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتكَ كتبتي الحافظون؟ قال: لا يارب فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فينهت الرجل فيقول: لا يارب فيقول: بلى؛ إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم<sup>(٤)</sup> اليوم عليك؛ فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضروه. فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة. قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة<sup>(٥)</sup> ».

البطاقة: القطعة.

(١) الأبيات لابن الرومي في ديوانه (٢) سورة يس ٥٤.

(٣) الأصل: ميزان عبد. معرفة.

(٤) الأصل: لا ظلم. (٥) أخرجه الترمذي في صحيحه ١٤ / ١٤.

أخبرنا محمد بن أبي طاهر بسنده عن يونس بن عبيد عن الحسن قال : بينا عائشة رضى الله عنها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟ قالت : يا رسول الله هل تذكرن أهليكم يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّا في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً : عند الميزان حين يوضع حتى يعلم أنتقل موازينه أم تحفّ ، وعند الكتاب حين يقال « هاؤم اقرأوا كتابيه » حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أو في شماله أو وراء ظهره . وعند الصراط حين يوضع بين ظهري جهنم حتى يعلم أينجو أم لا ينجو<sup>(١)</sup> .

( أخبرنا ) الكركرُ وخی بسنده عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ، وعن أبي سعيد رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعيد يوم النيامة فيقول له : ألم أجعل لك سمما وبصرا ومالا وولدا وسخّرت لك الأنعام والحرث وترككتك ترأس وترنّع أ كنت تظن أنك ملاق يومك هذا ؟ فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتنى<sup>(٢)</sup> .

أخبرنا ابن الحُصَيْن بسنده عن شعبة عن قتادة عن أبي سعيد الخدري عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون يوم القيامة من النار فيجسسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُوا أُذِن لهم في دخول الجنة<sup>(٣)</sup> .

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة .

(٢) صحيح مسلم كتاب الزهد حديث رقم ١٤ ، وسنن الترمذی كتاب القيامة ومسند أحمد ٤٩٢/٢ .

(٣) صحيح البخارى كتاب المظالم وكتاب الرهق ومسند أحمد ١٣ / ٣ .



والثاني : مُعْجِبُونَ . قاله الحسن . والثالث : ناعمون . قاله مقاتل . والرابع : ذووقا كُتَبَ ، كما يقال لابن تامر<sup>(١)</sup> . قاله أبو عبيدة .

وقرأ أبو جعفر : فِكِهُونَ . وهل هي بمعنى القراءة الأولى ؟ فيه قولان : أحدهما : أنهما بمعنى واحد . كما يقال حاذِر وحَذِر . قاله الفراء . والثاني : أن الفِكِه : الذى يتفكّه ، يقال فلان يتفكّه بالطعام . قاله أبو عبيدة .

قوله تعالى : « هم وأزواجهم فى ظلال »

الأزواج : الحلائل . والظلال جمع ظل . وقرأ حمزة والكسائي فى ظلل . قاله الفراء وهى جمع ظل ، وقد تكون الظلال جمع ظلة أيضا .

قال المنصورون : المراد بالظلال كنا النصور . والمقصود أن بناء الجنة محكم عال فلو كان هناك شمس كان فى ظلهم ما يردّ .

أخبرنا عبد الأول أخبرنا الداودى ، أنبأنا ابن أعين حدثنا الفريزى ، حدثنا البخارى ، عن مَعْمَرٍ عن هَمَّامِ بْنِ مِنْبِهِ ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أولُ زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتفوطون ، آتيتهم فيها الذهب وأمشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم الألوة<sup>(٢)</sup> ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى من مخرج سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد ، يستحون الله بكرة وعشيا<sup>(٣)</sup> » (وقال كعب) لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بدأ بمقصمها الذهب صوته الشمس ! .

(١) لابن تامر : أى ذولبن وذوتمر .

(٢) الألوة : عود يتبخر به .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب بدء الخلق باب ما جاء فى صفه الجنة وأنها مخلوقة .



أخبرنا محمد بن منصور، عن عباد بن راشد، عن ثابت البناني، قال : كنت عند أنس بن مالك فقدم عليه ابن له من غزاة فساء له ثم قال ألا أخبرك عن صاحبنا فلان؟ قال : بينما نحن في غزاتنا قافلين إذ ثار وهو يقول : وأهلأه وأهلأه . فثَرْنَا إِلَيْهِ فَظَنْنَا أَن عَارِضًا عَرَضَ لَهُ فَقُلْنَا : لَهُ مَا شَأْنُكَ ؟ فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ أَحَدْتُ نَفْسِي أَن لَا أَتَزَوَّجَ حَتَّى أَسْتَشْهَدَ فَيَزَوِّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى الْحُورَ الْعِينِ ، فَلَمَّا طَالَتْ عَلَى الشَّهَادَةِ حَدَّثْتُ نَفْسِي فِي سَفَرِي هَذَا إِن أَنَا رَجَعْتُ تَزَوَّجْتُ ، فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فَقَالَ : أَنْتَ الْقَاتِلُ : إِن أَنَا رَجَعْتُ تَزَوَّجْتُ ؟ قِمِ فَقَدْ زَوَّجَكَ اللَّهُ الْعَيْنَاءَ . فَاذْهَبْ بِي إِلَى رَوْضَةِ خَضِرَاءَ مُعْشَبَةٍ فِيهَا عَشْرُ جَوَارٍ فِي يَدِ كُلِّ جَارِيَةٍ صَنْعَةٌ تَصْنَعُهَا لَمْ أَرِ مِثْلَهُنَّ فِي الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ ، قُلْتُ لَهُنَّ : فَيَكُنَّ الْعَيْنَاءُ ؟ قُلْنَ : لَا نَحْنُ مِنْ خَدَمِهَا وَهِيَ أَمَامُكَ ، فَاذْهَبْ فَإِذَا أَنَا بِرَوْضَةٍ أَعْشَبَ مِنْ الْأُولَى وَأَحْسَنَ فِيهَا عَشْرُونَ جَارِيَةً فِي يَدِ كُلِّ جَارِيَةٍ صَنْعَةٌ تَصْنَعُهَا لَيْسَ الْعَشْرُ إِلَيْهِنَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ . قُلْتُ : فَيَكُنَّ الْعَيْنَاءُ ؟ قُلْنَ : لَا نَحْنُ مِنْ خَدَمِهَا وَهِيَ أَمَامُكَ . فَضَيِّتُ فَإِذَا أَنَا بِرَوْضَةٍ أُخْرَى أَعْشَبَ مِنَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَأَحْسَنَ ، فِيهَا أَرْبَعُونَ جَارِيَةً فِي يَدِ كُلِّ جَارِيَةٍ صَنْعَةٌ تَصْنَعُهَا لَيْسَ الْعَشْرُ وَالْعَشْرُونَ إِلَيْهِنَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ . قُلْتُ : فَيَكُنَّ الْعَيْنَاءُ ؟ قُلْنَ : لَا نَحْنُ مِنْ خَدَمِهَا وَهِيَ أَمَامُكَ . فَاذْهَبْ فَإِذَا أَنَا بِبِقَاعٍ مَجُوفَةٍ فِيهَا سَرِيرٌ عَلَيْهَا امْرَأَةٌ قَدْ فَضَلَتْ السَّرِيرَ قُلْتُ : أَنْتِ الْمَيْنَاءُ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ مَرَحِبًا فَذَهَبْتُ أَضَعُ يَدِي عَلَيْهَا فَقَالَتْ : مَهْ ! إِنْ فِيكَ شَيْءٌ مِنَ الرُّوحِ بَعْدُ ، وَلَكِنْ فِطْرَكَ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ .

قال : فما فرغ الرجل من حديثه حتى نادى مناد : يا خيل الله اركبي وأبشري بالجنة . قال : فجعلت أنظر إلى الرجل وأنظر إلى الشمس ونحن مُصَافُونَ الْمَدْوَّ ، وَأَذْكَرُ حَدِيثَهُ فَمَا أَدْرَى أَيُّهُمَا رَأَيْتُهُ بَدَرَ أَوَّلَ ؟ هُوَ أَوَّ الشَّمْسِ سَقَطَتْ أَوَّلَ ؟  
فقال أنس : رحمه الله تعالى .

(سجع)

يا هذا لقد بلغ القومُ الآمالَ ، ونالوا مُدْكَ عَظِيماً لا يَزَالُ ، فأين ذاك التَّعَبَ وتلك الأثقالَ ، وبقي المدحُ والتَّرحُّ زَالُ ، « هم وأزواجهم في ظلال » .

طالما نصبوا في خدمة ذى الجلالَ ، فغفلتهم عن اللذات أشغالَ ، وأزعجتهم عن الشهوات أوجالَ ، وفاقهم الموت إذا خطر بالقلب وجالَ ، فإذا وردوا تُلُتُّوا بالنوالَ ، « هم وأزواجهم في ظلال » .

بالغ القوم في التحقيقَ ، وأخذوا بالأمر الوثيقَ ، وأنذروهم الموتُ فما أبلغهم الرفيقَ فجدُّوا حتى خرجوا من المضيقَ ، فأما البطال فإنه لما تلحَّح الطريقَ ، رآه قد طال .  
صام القومُ عن الشهواتَ ، وقاموا لله في الخلواتَ ، وحبسوا الألسنَ عن فُضُولِ الكلماتَ ، وتركوا في الجملة بُجْلة اللذاتَ ، فانقضى رمضانُ صومهمَ ، وجاء شوالُ ، « هم وأزواجهم في ظلال » .

كم بينك وبينهم ، أسخنَ الشرُّ عَيْنَكَ وأقرَّ الخَيْرُ أَعْيُنَهُمْ ، نالوا الخطَّ ونِلتَ الحَضِيضَ ، أين أنت وأين هم ، وإنما يُكَالُ للعبد كما كال .  
سبحان مَنْ أصلحهم وسامحهم ، وعاملهم فأربحهم ، وأثنى عليهم ومدحهم ، وأقال مُجْتَرَحَهُمْ وقال : « هم وأزواجهم في ظلال » .  
قطعوا المهامه ففازوا ، وعبروا قناطر الخوف وجازوا ، ونالوا غاية المني وحازوا ، فسلمَ الربحُ ورأسُ المالِ « هم وأزواجهم في ظلال » .

قوله تعالى « على الأرائك متكئون »

قال ثعلب : لا تكون الأريكة إلا سريراً في قبة عليه شواره ومتاعه ، والشوار متاع البيت .

نعموا فأريحوا ، وزهدوا فأبيحوا ، زال نصيبهم وارتفع نعيمهم ، وحصل مقصودهم ، ورضى معبودهم .

قوله تعالى : « ولهم ما يدعون » أى ما يتمنون . قال ابن قتيبة : العرب تقول لدع ما شئت . أى تمنى ما شئت . وقال الزجاج : هو مأخوذ من الدعاء والمعنى : كل ما يدعو به أهل الجنة بأنهم .

وقوله : « سلام » بدل من ما . والمعنى : لهم ما يتمنون سلام أى هذا مَنَى أهل الجنة أن يسلم الله عز وجل عليهم . و « قولاً » منصوب على معنى : لهم سلام يقوله الله قولاً . وفى حديث جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل يقول : السلام عليكم يا أهل الجنة . فذلك قوله عز وجل : « سلام قولاً من رب رحيم » فيُنظر إليهم وينظرون إليه ولا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم .

### (سجع)

أين المستمدون لهذا الأمر الجسيم ، أين المخاطر فى طلب ذا الفضل العظيم ، أين للتأهب خِلاَعُ الفوز والتقديم « سلام قولاً من رب رحيم » .  
لو رأيتهم فى دار الإقامة ، على غاية الفوز والسلامة ، وعلى القوم حُلُمُ الكرامة ، وباللِّكِ بُسْمَعُهم كلامه العزيز القديم ، « سلام قولاً من رب رحيم » .  
حلُّوا فى جوار الجبار ، فحلُّوا بضائع الأسفار<sup>(١)</sup> ، فجوزوا أن قيل لهم : جوزوا بلا عِثَار ، وأشرفُ من جناتِ تجري من تحتها الأنهار ، أن أشرف عليهم الكريم بكل تَكريم ، « سلام قولاً من رب رحيم » .

طالباً تَمَلُّكُوا تَمَلُّكُ السَّليم<sup>(٢)</sup> ، وبكروا فى الدُّجى بكاء اليَئيم ، فانتشع الأمر إلى أن سامحَ الفَرِيم ، فأحلَّهم برضوانه جناتِ النعيم ، والعيون تجري من رحيق وتَسْنيم ، وواسطةُ ذلك العِمْدُ المُثَمِّن النظيم ، « سلام قولاً من رب رحيم » .

(١) أى المبتدعات التى كانوا يؤدونها فى وقت الحرب . (٢) السليم : الدبغ .

## المجلس الثاني

### في ذكر الطهارة

الحمد لله مُحَكِّمِ المخلوق ومُتَمِّنِ الصنعة ، ومَالِكِ يوم الحشر والجزاء والرجفة ،  
المقدِّر ما شاء فمن ذا الذي يستطيع دَفْعَه ، أراد فلم يفتنع العبد إن بذل جهده ووسعه ،  
وعلم إخلاص النية من مقصود السمعة ، ومَمِّع فلم يَمْنَعِ اختلاف اللغات سَمْعَه ، وأبصر  
حتى جَوَف الجَوَف وجريان الدِّمعة ، وشرَعَ فشهدت العتول بصحة الشريعة ، ومنع  
فمن ذا الذي يعطى ما قدَّر مَنَعَه ، صفاته كذاته وما يُشَبِّه الصانعُ صنْعَه ، الاستواء  
معلوم والكيفُ مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

أحمد حمداً يدوم ما دامت الأيام السبعة ، وأشهد أنه فارق الحب عن الطَّلعة ،  
وأصلى على رسوله محمد المبعوث بأفضل شريعة ، وعلى أبي بكر أول من جمع هذه الربة ،  
وعلى عمر فتاح الأمصار فكم قلع قلعة ، وعلى عثمان الصابر على مضيق تلك الصرعة ،  
وعلى علي الذي مدانحه أنفق من كل سلعة ، وعلى عمه العباس أبي الخلفاء وأكرم بهذا  
البيت رفعة .



أخبرنا أبو الحسن الأنصارى بسنده عن يحيى أن زيدا حدثه أن أبا سلام حدثه ،  
عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ،  
والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض ،  
والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل  
يقْدُو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها .

انفراد بإخراجه مسلم<sup>(١)</sup> .

اعلم أن الطهارة على أربعة أضرب :

الضرب الأول : تطهير البدن عن نجس أو حدث أو فضلة من البدن . فأما طهارة الأنجاس ففي الصحيحين من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مرّ بقبرين فقال : « إنيهما ليمذبان وما يعذبان في كبير : أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول <sup>(١)</sup> » .

قال الخطّابي : معناه أنهما لم يعذبا في أمر كان بكبير عليهما فله أو بشق . وروى الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه » .

وأما طهارة الأحداث ففي التفريط فيها وعيد شديد . ففي الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو قال : تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرها فأدركنا ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا قال فنأدى بأعلى صوته ، مرتين أو ثلاثا : « ويلّ للأعقاب من النار <sup>(٢)</sup> » .

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل أمر بعبد من عباده أن يضرب في قبره مائة جلدة ، فلم يزل يسأل ويسأل حتى صارت جلدة واحدة ، فامتلاً قبره عليه نارا فلما أفاق قال : لم جلدتموني ؟ قالوا : إنك صليت صلاةً بقبر طهور ، وممررت على مظلوم فلم تنصره » .

\*\*\*

وقد مُدح إسباغ الوضوء . ( أخبرنا ) هبة الله بن محمد بسنده عن جامع بن شداد قال سمعت عمران بن أبان يحدث عن عثمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

(١) صحيح مسلم كتاب الطهارة حديث رقم ١١١

(٢) صحيح البخاري كتاب الوضوء ، وصحيح مسلم كتاب الطهارة حديث رقم ٢٥ - ٢٨ .

عليه وسلم : « من أتمَّ الوضوء كما أمره الله عز وجل فالصلوات المكتوبات كفارة لما بينهن <sup>(١)</sup> » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا توضأ العبدُ للمسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء أو نحو هذا فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب » .  
انفرد بإخراج الحديثين مسلم <sup>(٢)</sup> .

وأما غسل الجنابة فروى أبو داود من حديث علي عليه السلام أنه قال : من ترك موضع شعرة من جنابة لم يغسلها فُعل به كذا وكذا من النار قال عليه السلام : فمن تمَّ عاديتُ رأسي . وكان يَجُزُّ رأسه .

وأما الفضلات فنوعان : أوساخ تبتري البراجم والأسنان . قال مجاهد : أبطأ الملكُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاه فقتل لعلِّي أبطأتُ ؟ قال : قد فملت . قال : وما لي لا أفعل وأنتم لا تدبُّون ولا تقصُّون أظفاركم ولا تنفقون برآجكم ! قال ابن الأنباري : البراجم : الفُصوص التي في فصول ظهور الأصابع تبدو إذا جُمعت وتقمض إذا بسطت . والرَّواجب : ما بين البراجم ، بين كل بُرجتين راجبة . أخبرنا عبد الأول بسنده عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن أشق على أمتي ، أو على الناس ، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة .  
أخرجاه في الصحيحين <sup>(٣)</sup> .

(١) صحيح مسلم كتاب الطهارة حديث رقم ١١ (٢) صحيح مسلم كتاب الطهارة .

(٣) صحيح البخاري كتاب الجمعة وكتاب الصوم وكتاب التمني . وصحيح مسلم كتاب الطهارة

وأخرجنا من حديث حذيفة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَشُوصُ فاه بالسواك<sup>(١)</sup> .

قال أبو عبيد : الشَّوْصُ وَالْمَوْصُ : الفسل . وقال ابن الأعرابي : الشوص : الدلك والموص : الفسل .

أخبرنا علي بن عبد الله وأحمد بن الحسين وعبد الرحمن بن محمد بسندهم عن معاوية بن يحيى عن الزهرى عن عائشة رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تفضل الصلاة التى بستاك لها على الصلاة التى لا بستاك لها سبعين ضعفا ، ويفضل الذكر الخفى على غيره من الذكر بسبعين ضعفا » .

وأما الأجزاء : فقص الشارب ونتف الإبط وحلق العانة وتقليم الأظفار .

\* \* \*

والضرب الثانى : تطهير الجوارح عن الآثام . قال الله عز وجل : « إن السمع والبصر والفؤاد كلٌ أولئك كان عنه مسئولا »<sup>(٢)</sup> .

واعلم أن الجوارح كالسواقي توصل إلى القلب الصافى والكدر ، فمن كفها عن الشر جلت معدة القلب بما فيها من الأخلاط فأذابتها وكفى بذلك حمية ، فإذا جاء الدواء صادف محلا قابلا .

ومن أطلتها فى الذنوب أوصلت إلى القلب وسخ الخطايا وظلم المعاصى ، فلو وضع الدواء كان بينه وبين القلب حجاب ، فلا تكاد الجوارح تسلم من الخطايا إلا بالعزلة ، فمن أمسكه فما أحسنه ، ومن لم يمكنه تحفظ فى مخالطته للخلق تحفظ المجاهد فى الحرب .

\* \* \*

(١) صحيح البخارى كتاب الوضوء وكتاب التهجيد . وصحيح مسلم كتاب الطهارة ، حديث

رقم ٤٦ و ٤٧ .

(٢) سورة الإسراء ٣٦ .

والضرب الثالث : تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة من الحرص والحقد والحسد والكبر وغير ذلك ، ولا يمكن معالجته من أدوائه بدوائه حتى تقع الحمية التي وصفناها في كَفِّ الجوارح ، ثم يعالج كلُّ داء بدوائه . وكَم من متعبد يبالغ في كثرة الصلاة والصوم ولا يعاني صلاح القلب ، وقد يكون عنده الكبر والرياء والنفاق والجهل بالعلم ولا يحسُّ بذلك ، وقد يكون تطلُّعه إلى تقبيل يده وإجابة دعائه ، وهذه آفات لا دواء لها إلا الرياضة بالعلم ليقع التهذيب بإصلاح دائه ، وإنما تنفع العبادة وتظهر آثارها وتبين لذاتها مع إصلاح أمراض القلب .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب بسنده عن عبد الرحيم بن يحيى الدبلي قال : حدثني عثمان بن عمارة فقال : وردتُ الحجرة<sup>(١)</sup> مرةً فإذا أنا بمحمد بن ثوبان وإبراهيم بن أدهم وعَبَادِ المقرئ وهم يتكلمون بكلام لا أعقله ، فقلت لهم : يرحمكم الله ؛ إني شابُّ كما ترون أصوم النهار وأقوم الليل وأحجَّ سنةً وأغزو سنةً ، ما أرى في نفسي زيادةً . فشغل القوم عني حتى ظننت أنهم لم يفهموا كلامي ثم حان من واحد منهم التفاتة فقال : يا غلام إنَّ هَمَّ القوم لم يكن في كثرة الصلاة والصيام إنما كان هَمُّ القوم في نفاذ الأبصار حتى أبصروا .

\* \* \*

الضرب الرابع : تطهير السرِّ عمَّا سوى الله عز وجل . وهذه المرتبة العليا ولم تحصل إلا لمن تجأت له أوصاف الحبيب فدخل في دائرة المحبة .

أخبرنا عمر بن ظفر بسنده عن سميد بن عبد المزيز قال : أخبرنا أحمد بن أبي الخوارى قال : سأل محمود أبا سليمان وأنا حاضر : ما أقرب ما يُتقرب به إلى الله عز وجل فبيكى أبو سليمان ثم قال : مثلى يُسأل عن هذا ! أقرب ما يقترب به إليه أن يَطْلُعَ على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو<sup>(٢)</sup> .

(١) كذا ، وحجرة : بلد باليمن كما في معجم البلدان . (٢) ذم الهوى ٧٧ .



قال ابن جَهْضَمَ : وحدثنا عبد الجبار بن بشران قال : سمعت سهلاً يقول : من نظر إلى الله عز وجل قريباً منه بعد عن قلبه كل شيء سوى الله عز وجل ومن طلب مرضاته أرضاه الله عز وجل ومن أسلم قلبه إليه تولى الله جوارحه <sup>(١)</sup> .

قال ابن جهضم : وحدثني أحمد بن علي قال حدثني عباس بن عبد الله الهاشمي قال : سمعت سهل بن عبد الله يقول : ما من ساعة إلا والله مُطَّلِعٌ على قلوب العباد ، فأى قلب رأى فيه غيره سلط عليه إبليس <sup>(٢)</sup> .

قال ابن جهضم : وحدثني عمر بن يحيى قال سئل الشَّيْبِيُّ عن قوله عز وجل « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » فقال : أبصار الرءوس مما حرم الله ، وأبصار القلوب مما سوى الله عز وجل <sup>(٣)</sup>

أخبرنا أبو بكر بن حبيب بسنده عن علي بن عبد العزيز قال سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول : بات أبو سليمان ذات ليلة فلما انتصف الليل قام ليتوضأ فلما أدخل يده في الإناء بقي على حاله حتى انفجر الصبح وكان وقت الإقامة فخشيت أن تفوت صلاته فقلت : الصلاة يرحمك الله فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال : يا أحمد أدخلت يدي في الإناء فمارضني عارض من سرِّي : هَبْ أُنْكَ غسلت بالماء ما ظهر منك ، فماذا تفعل قلبك ؟ فبقيت متفكراً حتى قلت : بالهموم والأحزان فيما يفوتني من الأنس بالله عز وجل .

\*\*\*

يا هذا إذا توضأت بغير نية قيل للماء : ابدل له البَلَلُ لا الطهارة ، فإذا نويت قيل له طهارة الظاهر ، فإذا صفا قلبك فقد حصلت طهارتك حقيقة !

(١) ذم الهوى ٧٩ .

(٢) ذم الهوى ٧٧ .

(٣) ذم الهوى ٧٧ .

### (الكلام على البسمة)

أرى الناس سَفَرًا في طريق المتعاليين      فمن بالغِ أخرى المدى ومُشارفِ  
وما بطن هذى الأرض إلا قرارةً      وأرواحنا مثل السيول الجوارفِ  
وما الدهرُ إلا جَـوَلَةٌ ثم أوَلَةٌ      ونحن بِرِصَادِ الرقيبِ المشارفِ  
أيها المنفكر في القبور الدوَّارِسِ ، الباكي على من كان به يستأنس ، ابكِ مُطْلَقًا  
ما يرعوى بِتَمَلُّ أهل المحاسن ، تيقظُ لِلخَلَّاصِ ، فإلى كم أنت ناعس ، وقم مبادرا  
للفوتِ فإلى كم أنت جالس ، ليت شمري متى تزود ، ومتى تبيض القلب الأسود ،  
أين الفرار والرقب بالمرصد ، إلى متى مع الزلل والإسراف ، إلى كم مع الخطايا والافتراق ،  
أين الندم وأين الاعتراف ، لقد سمعت من الوعظ كل شافٍ كاف ، أنت فيما ينفك  
قاعد ، وفيما يضر ناهض ، تتوب بلسانك وتضر بجناحك ، أنتاقض ؟ الشرُّ في باطنك  
داخل في القوامض ، أسدُ الشرى في البيع والشرا ، فإذا يرى الخديعة خلا المرائب ،  
يا غافلا عما قد أعد له أمكر هذا أم بكه ، ما عُذْر من تثر في ظلمات العيب ، بعد إضاءة  
نور الشيب ، يا أسفى من للمحتضر ، إذا علم من قد حضر ، وقلب الطرف متعبرا ونظرا ،  
ورأى العجائب وقلب البصر ، وندم على إغفاله زاد السفر ، وجرى دمع الأسى ثم انهمر  
واحترج إلى قليل من الزاد وافتر ، ولم ينفعه كل مستور مدخر ، وتقطع فؤاده أسفا وانفطر ،  
إن هذا لمبة لمن اعتبر ، إن كان قد سبقك الغير فأنت على الأثر ، يا هذا الحساب شديد  
والطريق بعيد وقد خاف من لا خوف عليه ، فكيف سكن من لا أمن له !

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول : وَدِدْتُ أَنى شَفَرَةٌ فى صدر مؤمن .

وكان عمر رضى الله عنه يقول : وَدِدْتُ أَنى أُنَلِّتُ كَفَمًا لا على ولا لى لو أن لى

طَلَّاعَ الأرض ذهبًا وفضة لا فتديتُ بها من هَوْلِ المَطَّاعِ ، لو أن لى الدنيا وما فيها

لا فتديتُ بها من هول ما أمامى قبل أن أعلم ما الخير .

لما طعن عمر رضى الله عنه قال له ابن عباس رضى الله عنهما: اتَهَنِكَ الْجَنَّةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .  
فقال : غُرٌّ بِهَذَا غَيْرِي يَا بْنَ عَبَّاسٍ قَالَ : وَلَمْ لَا أَقُولُ لَكَ هَذَا ؟ فَوَ اللَّهِ إِنْ كَانَ إِسْلَامُكَ  
لَمَزًا وَإِنْ كَانَتْ هَجْرَتُكَ لَفَتْحًا وَإِنْ كَانَتْ وَلَا يَتَكَ لَمَدًا وَلَقَدْ قُتِلْتَ مَظْلُومًا . فقال :  
تَشْهَدُ لِي بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَكَانَ تَلَكَّا فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ جَانِبِهِ  
نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

هذا خوف عمر رضى الله عنه وأين مثل عمر ! كانت الصوامت تنطق بفضلته وهو  
أسير خوفه وحُزْنه ولو رأيتَه لقلت له :

سَلْ عَنِ فَضَائِلِكَ الزَّمَانَ فَتُخْبِرَا	فَنظِيرُ مَجْدِكَ لَا أَرَاهُ وَلَا يُرَى
أَوْ لَا فَدَعْنِي وَادْعِي الشَّرَفَ الَّذِي	أَعْيَا الْأَنَامَ فَلَسْتُ تَتَلَقَّى مُذَكِّرَا
مَا احْتَاجُ يَوْمًا أَنْ يَقَامَ بِشَاهِدٍ	حَقٌّ أَزَالُ الشُّكَّ وَاجْتِاحُ الْمِرَا
فَلَتَنْدَجِمَتْ مَنَاقِبَا مَا اسْتَجِيبَتْ	مَشْهُورَةٌ مَا اسْتَفْجَمَتْ فَتَنْسِرَا
فَضْلَ الْأَنَامِ وَأَنْتَ أَنْبَتَهُمْ قَرَا <sup>(١)</sup>	فِي حِلِّ نَائِبَةٍ وَأَعْجَلَهُمْ قِرَا
بِوَلَمَ تَمْلِكْ الْأُمُورَ قِيَادَهَا	صَفَقَتْ <sup>(٢)</sup> فَرُئِيَ مِمَّا عَرَى وَوَهَتْ عَرَى
فَتَقَدَّمَ الْأُمَرَاءُ غَيْرَ مَنَازِعَ	فَوَرَاءَ زَنْدِكَ كُلُّ زَنْدٍ قَدْ وَرَى
مَا بَيْنَ مَجْدِكَ وَالْمَحَاوِلِ مِثْلُهُ	إِلَّا كَمَا بَيْنَ الثُّرَيَّا وَالْأَرَى

وكان عمر رضى الله عنه يقول : لو أنى بين الجنة والنار لا أدرى إلى أيتهما أصير  
لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير .

وكان عليُّ عليه السلام يقول : آه من قِلَّةِ الزَّادِ وَبُؤْسِ السَّفَرِ وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ !

واعجبا لخوفهم مع التقوى وأمنك مع المامسى !

(١) الفراء : أظهر .

(٢) صفقت : ضففت أو اضطربت .

يا سكران الهوى متى تُفَيِّق ، رَحَلَ الأحبابُ وما عرفتَ الطريق ، وانسَمَت  
الرَّحَابُ وأنت في المضيق ، وقد بقي القليل ونَفَصُ الطريق ، وتعاين زفير الموت وتعالج  
الشهيق ، ويبطل القوى ويخرس المنطيق ، وتُفَمِّس في بحر التلف ومن للغريق ، ويخلو  
بيدك الدود للتقطيع والتمزيق ، وخرب الحصن وحطم الفُصْن الوريق ، وخالوت  
بأعمالك وتجاوأك الصديق ، فإذا قت من قبرك فما تدري في أي فريق ، يا مُفْرَضاً كلَّ  
الإعراض عني ، كم رسولٍ قد أُنَاكَ مِنِّي ، ويحك عني أُمْنِيَّةُ المُنَمِّي ، أنصرت على ممصيتي  
وتقول ظنِّي ، أنتفض عزمك معي ومع المدوّ تَبَنِّي ، أترك كلامي وتختار أن تنفِّي ،  
يا للهوى كم صار بشرّك ، كم عَقَلَ عقلاً فدار في فلّكه ، كم غيّر نورا من الهدى بجملكه ،  
كم بطل بطلا في حربهِ ومُتْرَكه ، كم أبكى مفرورا بعد لهوهِ وضحكهِ ، كيف يفرح مَنْ  
الموت يَبِينُ بدبهِ ، وكيف يلهو من ماله بلاءُ عليه ، وكيف يقفل ورُسل الموت تختلف  
إليه ، كيف يلتذ بوطنه من يرى اللحد بعينيه :

إني أبشك من حديثي والحديث له شجونُ  
غيرتُ موضعَ مرقدِي ليلاً فنافرتي الشُّكُونُ  
قلْ لي فأولُ ليلةٍ في القبر كيف تُرَى تكونُ !؟

الكلام على قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً  
فتصبح الأرض مخضرة »<sup>(١)</sup>

المراد بالماء ها هنا المطر . وقد جعل الله عز وجل الريح سبباً لإثارتِهِ فقال عز وجل :  
« الله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً »<sup>(٢)</sup> وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينزعج إذا  
رأى الريح أو الغيم .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن أبي النضر ، عن سليمان بن يسار ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرِفَ ذلك في وجهه فقلت يا رسول الله الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية . فقال : يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب ؟ قد عذب قوم بالريح ، وقد رأى قوم العذاب فقالوا : « هذا عارض ممطرنا » .

أخرجه في الصحيحين<sup>(١)</sup> .

وقال ابن عباس : الرياح ثمان : أربع رحمة ، وأربع عذاب . الرحمة : المبشرات ، والمُنشِرات ، والمرسلات ، والرُّخَاء . والعذاب : العاصف ، والقاصف وهما في البحر ، والعقيم والعصرصر ، وهما في البر .

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال : اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرِّها وشر ما أرسلت به .

وروى ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك »<sup>(٢)</sup> .

قال ابن عباس : الرعد صوت ملك يزجر السحاب كما يتمق الراعي بالفنم . وكان ابن الزبير إذا سمع صوت الرعد يقول : إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض . وقال شهر

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة الأحقاف .

وصحيح مسلم كتاب الاستسقاء حديث رقم ١٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات .

ابن حَوْشَب : ارعد ملكٌ موكل بالسحاب يسوقه كما يسوق الحادى الإبل يدبُّج كلها خالفت سحابة صاح بها فإذا اشتد غضبه طار النار من فيه<sup>(١)</sup> .

وسمع سليمان بن عبد الملك صوت الرعد فانزعج فقال عمر بن عبد العزيز : هذا صوت رحمة فكيف لو جاء بسخط ؟ !

وقال على كرم الله وجهه : البرق مخاريق بأيدي الملائكة يسوقون بها السحاب .  
وقال أبو الجلد : البرق هو تلاقؤ الماء ، والصواعق مخاريق يُزَجَّر بها السحاب .  
قال عطاء : الصّاعقة لا تصيب ذا كَرَّ الله تعالى .

وقال ابن عباس : ما من عام أكثر مطرا من عام ولكن الله تعالى يصرفه في الأرضين .

قال عطاء بن أبي رباح : قال موسى عليه السلام : يا رب هذا الفيث لا ينزل ، وينزل فلا ينفع ؟ قال : لكثرة الزنا وظهور الرِّبَا .

وقال عمر رضى الله عنه : إن الرَّجْف من كثرة الزنا وإن قحوط المطر من قضاة السوء وأئمة الجور .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك بسنده ، عن محمد بن واسع ، عن سمير بن نهار ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قال ربكم عز وجل : لو أن عبادى أطاعونى لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد »<sup>(٢)</sup> .

قال هرون : وحدثنا عفان بن مبارك ، عن فضالة قال سمعت الحسن يقول : كانوا

---

(١) هذه الأقوال ليس لها مستند صحيح ، وقد عرف المحققون من العلماء الأقدمين الأسباب العلمية لتلك الظاهرة ، ومنهم الشريف الرضى في كتابه « تلخيص البيان في مجازات القرآن » ص ١٢٦ ( تحقيق الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ) .

(٢) ذم الهوى ص ١٨٥ .

يقولون - يعنى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - الحمد لله الذى لو جمل هذا الخلق خلقاً دائماً لا يتصرف لزال الشاك في الله عز وجل : لو كان لهذا الخلق ربٌ لحادثه ، وإن الله تعالى قد حادث بما ترون من الآيات ، إنه قد جاء بضوء طبق ما بين الخافقين وجمل فيها معاشا وسراجاً وهاجاً ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق ، وجاء بظلمة طبقت ما بين الخافقين وجعل فيها سَكْماً ونجوماً وقراميراً وإذا شاء بنى بناءً جمل فيه المطر والرعد والبرق والصواعق ، وإذا شاء صرف ذلك ، وإذا شاء جاء ببرد يُقَرِّف الناس وإذا شاء جاء بحرٍ يأخذ بأنفاس الناس ليملم الناس أن لهذا الخلق رباً يحادثه بما يرون من الآيات كلها ، كذلك إذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استسقى يقول : اللهم اسق عبادك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، اللهم اسقنا غيثاً هنيئاً مريئاً غداً طبقة عاجلاً غير راث نافعا غير ضار اللهم اسقنا سقياً وادعة نافعة .

قال أنس : أصابنا مطر في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه حتى أصابه المطر وقال : إنه حديث عهد بربه .  
وفي لفظ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى ثيابه أول مطرة تمطر .  
وقال عكرمة : كان ابن عباس إذا مُطر يقول : يا عكرمة اخرج الرياح أخرج كذا حتى يصيبه المطر .

وقال عبيد بن عمير : يبعث الله ريحاً فتقيم الأرض ثم يبعث الميثرة فتثير السحاب ثم يبعث المؤلفة فتؤلفه ثم يبعث اللواحق فتلقح الشجر .

وقال عكرمة : ينزل الله عز وجل الماء من السماء السابعة فتقع القطرة منه على السحاب مثل البعير . قال كعب : والسحاب غربال المطر ولولا السحاب لأفسد ما يقع عليه .

وقال ابن عباس : للمطر مزاجه من الجنة فإذا كثر المزاج كثرت البركة وإذا جاء القطر من السماء فتحت له الأصداف فكان لؤلؤاً .

وفي حديث أبي أمامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : عند نزول الغيث تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء .

قال المنسرون : إذا نزل القطر على الأرض اهتزت أى تحركت للنبات ، فإذا أراد الخروج ارتفعت عنه فهو معنى قوله عز وجل « وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ » أى من كل جنس « بَهِيَج » أى أنه يُبهِج ويسر .

\* \* \*

يامن قد أُجْدَبَتْ أرضُ قلبه ، متى تهبّ ريح المواعظ فتمثير سحابا ، فيه رعود تخويف وبروق خشية فتقع قطرة على صَخْر القلب فيتروى وَيُنْبِت ١٩  
يامن أُجْدَبَتْ أرض قلبه ، واشتغل عنها ولها ، اخرج إلى صحراء التيقظ واستسقى لها ، هيهات أن تخضر أرض القلب حتى يتروى اخْذُ من عَيْن العين . لا تياس من جَذَب الجذب فليس بمستحيل أن يستحيل .

### سجع

سبحان المتفرد بالقدرة ، فلا تقدر الخلائق قَدْرَه ، أنعم فمن يطيق شُكْرَه ، كلا إن العاقل فى سكرة « أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة » .

جَلَّ صِفَةً وَعَزَّ اسْمًا ، وبسط أرضًا وزفّع سما ، وأنزل من السماء ماء ، فحَمَى النباتُ فسمّره جَمْرَةً « فتصبح الأرض مخضرة »

تعرفه القلوب والألباب ، ويسبّحه الصّحْو والضُّباب ، انبعث الغيم فما توقف السحاب ، أقبل الرعد فى صرّة « فتصبح الأرض مخضرة » .

تأخّر الغيث فتمسكن الضرّ ، ثم جاء فاللؤم بذلك سرّ ، فاستغاث النبات بماعز ، فجاء بعد أن كان قد مرّ ، كم كَرَّ كَرَّةً بعد كرة « فتصبح الأرض مخضرة » .



أصبح الثرى عطشان ينادى واليبس عليه ظاهرٌ بادى ، فصاح الرعد بالسحاب  
صياح الحادى ، فتروى الوادى وسالت الجرة « فتصبح الأرض مخضرة » .  
انبعث السحاب فطَبَّقَ الأرْجاءَ ، وصاح البدوى فى البدو : النجاء ، والجرون متلفعة  
بالفناء ، دب ثم نمش ثم قَطَّعَ ثم أفرط ثم جاء بكرّة « فتصبح الأرض مخضرة » .  
انكشفت سماء الأرض عن بدورها ، وأزنت الفائبات النبات فى حضورها ،  
ولم تَخُنْ الأرضُ من بَذْرِ نباتها ذرّة « فتصبح الأرض مخضرة » .  
أحضرت أمهات الزرع عن بناتها ، واجتمعت الأغصان بالقطر بعد شتاتها ، وتزينت  
لِلناظرين بأنواع نباتها ، ولقد كانت عرّة « فتصبح الأرض مخضرة » .  
فشت الزينة فى الصحارى والبرى ، وأظهرت عجائب القدرة فيما يرى ، وأشاع الثرى  
كما ترى من المكثوم سرّه « فتصبح الأرض مخضرة » .  
ماتت تحت الأرض كل البذور ، فإذا الرعد ينفخ فى الصور ، فضحك النور بالثور  
لما سرّه « فتصبح الأرض مخضرة » .  
قام ميت البذر من حُفْرته ، وقدم بعد طول سَفَرته ، ومنح النبات لكثرتِه قانعة  
ومُعْتَرّة « فتصبح الأرض مخضرة » .  
تسكلمت الأطيّار والمعنى مفهوم ، وارتاحت بنطقها حتى البوم ، وتبدلت الأرضُ  
الفرح من الهموم ، فانقلبت تلك الغيوم كلها مَسْرّة « فتصبح الأرض مخضرة » .  
جيدت الأرض فروّت التراب ، وأجيدت الواعظَ فهل أحضرت الألباب ١٩ ،  
وما يؤثر اللومُ والعتاب ، إلا عند نفسٍ حرّة « فتصبح الأرض مخضرة » .  
والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

## المجلس الثالث

### في ذكر الصلاة

الحمد لله الذي أوضح سبيل هدايته لأرباب ولايته ، وأبهج وحرّك أهل عبادته إلى معاملته وأزعج ، وأبدع بدائع قدرته في محكم صنعه وأخرج ، وأوقد نيران محبته في أفئدة أحبته وأجج ، من عرف لطفه ثنى عطفه إليه وأدّج ، ومن خاف عتبه ترك ذنبه وتحرّج ، يُحب الإخلاص في الأعمال ولا يخفي عليه البهرج ، حلّيم فإن غضب مكرّ بالعبد واستدرج ، لا يُفتّر بجله فكم عقاب في الحلم أدرج ، واعتبر بأبيك إذ فسح لنفسه في شهوة وأمرّج ، وحام حولى المنهى اغتراراً بالصفح وعرج ، كيف أصبح إكرامه بحرير الهوان يُمرّج ، وأضحى يندج الصوف إذ عرى عما يُندج ، وصار مغبرّ القدمين بعد قرس العزّ المُسرّج ، ولم تزل تجري دموع عينيه إلى أن تاب عليه وفرّج ، لا يخفى عليه ضمير القلب ، وإن تلوّى اللسان ومَجَمَج<sup>(١)</sup> ، ولا يفيب عن بصره في سواد الليل طرّف أدعج ، يُبصر جرّى اللين بسرّى في العروق نحو الخرج ، وينزل إلى السماء الدنيا فآين الذي بالمناجاة بلمَج ، فيستعرض الحوائج إلى أن يلوح الفجر ويتلمج وما انتقل ومن عقل رأى الحق أبلج ، هذا مذهب من القرآن القديم والنقل القويم مُستخرج ، وهو المنهاج العظيم فلا تمرّج عن المنهج .

أحمد على ما سرّ وما أزعج ، وأشهد بوحدانيته بغير تاجلج ، شهادة موقن ما آجلج ، وأن محمدا عبده ورسوله الذي محاسن الشرائع في شريعته تُدرّج ، صلى الله عليه وعلى أبي بكر أول من أنفق من ماله وأخرج ، وعلى عمر الذي اضطر كسرى إلى الهرب وأخوّج ، وعلى عثمان المظلوم وقد عُدل وما عدل ولا عرّج ، وعلى عليّ مبيد الطغاة وآخرهم المخدّج ، وعلى عمه العباس الذي قرن الله نسه بنسب الرسول وأزوّج .

\* \* \*

(١) مجج في خبره : لم يبينه .

( أخبرنا ) هبة الله بن محمد ، قال : حدثنا الحسين بن علي التميمي ، أنبأنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، سمعت الأوزاعي يقول : حدثني الوليد بن هشام المعيطي ، حدثنا معمر بن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة اليمعري ، قال : لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أخبرني بعمل أعمله يدخلني الجنة أو قال قلت بأحب الأعمال إلى الله ففكت ثم سألته الثانية ففكت ، ثم سألته الثالثة فقال : سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « عليك بكثرة السجود ، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحطَّ عنك بها خطيئة » قال معمر بن : ثم لقيت أبا الدرداء فسألته فقال لي مثل ما قال لي ثوبان .

انفرد بإخراجه مسلم .

( اعلم ) أن الله عز وجل عظمَ قَدْرَ الصلاة لأنها أَوْفَى خدمة العبد ، والمراد من العبد التَّعْبِيد ، وهي جامعة بين خضوع بدنه ونطق لسانه وحضور قلبه ، وإن الله تعالى جعل عبادة ملائكته بين سجود وركوع وذكر ، وذلك مجموع في الصلاة ، وليس لنا فعل يدخل به الكافر في حكم الإسلام ويخرج بتركه السلم من الإسلام إلا الصلاة ، فإنَّ عندنا <sup>(١)</sup> أن الكافر إذا صَلَّى حُكِمَ بإسلامه سواء صَلَّى مع جماعة أو منفردا فيُجَبَّرَ عندنا على الإسلام . وعن أبي حنيفة روايتان إحداهما كقولنا . والثانية : اشترط أن يكون في جماعة . وقال الشافعي : إذا صَلَّى الحُرْبِيُّ في دار الإسلام حُكِمَ بإسلامه .

وأما تارك الصلاة فلا يختلف مذهبنا عن مذهب أحمد رضي الله عنه أنه يقتل حَدًّا أو كفرا . فيه روايتان . إحداهما : يُقتل لكُفْرِهِ . وهو قول عمر وابن مسعود وابن عباس وجماعة وجابر والشَّعْبِي والأوزاعي رضي الله عنهم . وقد دل على هذا ما أخرجه

(١) أي : عند المنابلة .

مسلم في أفراد من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ صَلَاةٍ » .

والرواية الثانية : يَقْتُلُ حَدًّا لَا أَنَّهُ يَكْفُرُ . وهو قول مالك والشافعي . وقال أبو حنيفة : يُحْبَسُ وَلَا يَسْتَأْبَرُ وَلَا يُقْتَلُ .

واعلم أن الشرع عَظَّمَ أَمْرَ الصَّلَاةِ وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ بِفَضْلِهَا .

أخبرنا عبد الملك بن أبي القاسم ، أنبأنا أبو عامر الأزدي وأبو بكر القُورَجِيُّ ، قَالَا أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرَّاحِيُّ ، أَنبَأَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَبُوبِيُّ ، أَنبَأَنَا التِّرْمِذِيُّ ، حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ أَبِي الْهَادِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَفْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالُوا : لَا . قَالَ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا » .

أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

وفي أفراد مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الصَّلَاةُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، مَكْفَرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبْتَ الْكِبَائِرَ » .

وفي أفراد من حديث عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٌ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتِ كَبِيرَةً ، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ » .

( أَخْبَرَنَا ) سَعِيدُ بْنُ أَحْمَدَ بِسَنَدِهِ إِلَى مُجَاهِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُخْصُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ فَضْلَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ ، وَلَا يَحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ .

وقد فضّل الشرعُ تقديم الصلاة في أول الوقت .

ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أحبُّ إلى الله تعالى ؟ قال : « الصلاة على وقتها » .

\* \* \*

وفضّلت الصلاة في الجماعة .

ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صلاة الجماعة تفضل على الصلاة الفذِّ سبع وعشرين درجة » <sup>(١)</sup> .

وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى أربعين يوما في جماعة لم تغفّر ركعة واحدة كتب الله له براءتَيْن : براءة من النار ، وبراءة من النفاق » .

( أخبرنا ) محمد بن ناصر بسنده قال البغوى سمعت عبد الله بن عمر القواريرى يقول : لم تسكن تفوتنى صلاة العتمة في جماعة ، فنزل بى ضيف فشُفّلت به فخرجت أطلب الصلاة في قبائل البصرة فإذا الناس قد صاؤا وخَلَّت القبائل ، فقلت في نفسى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذِّ خمسا وعشرين درجة » . وروى « سبعا وعشرين » . فانقلبت إلى منزلى فصليت العتمة سبعا وعشرين مرة ، ثم رقدت فرأيتنى مع قومٍ راكبي أفراس وأنا راكب فرسا كأفراسهم ونحن نتجارى فالتفت إلى أحدهم فقال لا تُجهِد فرسكَ فلتستَ بلاحقنا . فقلت : فلم ذاك ؟ قال : إنا صليْنَا العتمةَ في جماعة .

\* \* \*

وورد الثوابُ لمنتظر الصلاة .

فروى في الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال: «لا يزال أحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه لا يمنعه إلا انتظارها». وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يزال أحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه لا يمنعه إلا انتظارها<sup>(١)</sup>.

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال صليّنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب فعقب من عقب ورجع من رجع ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسّر ثيابه عن ركبتيه فقال : « أبشروا يامعشر المسلمين ، فهذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء يبأى بكم الملائكة يقول : « هؤلاء عبادى قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى<sup>(٢)</sup> » وقد عظم الصف الأول فروى فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو يعلم الناس ما فى الصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا<sup>(٣)</sup> »

وفى أفراد مسلم من حديث أبى هريرة أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لو يعلم الناس ما فى الصف المذموم لكانت قرعة<sup>(٤)</sup> » .

وقد أمر المصلى بخفض رأسه استمالا لأدب الخدمة فروى مسلم فى أفراد من حديث جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كَيْذَبَيْنَ أَقْوَامٌ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ أَوْ لَا تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ<sup>(٥)</sup> » .

وأمر المصلى بالتثبُّت فى الركوع والسجود ؛ حدثنا الكُروخي بسنده عن حمير عن أبى

(١) صحيح البخارى كتاب الأذان ١ / ٦٨ ( ط الأميرية ) بالنظر آخر وصحيح مسلم كتاب المساجد.

ووضع الصلاة حديث رقم ٢٧٢ .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى كتاب المساجد باب ١٩ .

(٣) صحيح البغوى ١ / ٨٤ . وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٢٩ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٣١ .

(٥) صحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١١٧ .

مَعْمَرُ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تُجْزَى صَلَاةٌ لَا يَقِيمُ فِيهَا الرَّجُلُ بِعَنْ صَلْبِهِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ <sup>(١)</sup> » .

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ شَيْبَانَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَنْظُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى رَجُلٍ لَا يَقِيمُ صَلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ <sup>(٢)</sup> » .

\* \* \*

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالصَّلَاةِ إِنَّمَا هُوَ تَعْظِيمُ الْمَعْبُودِ ، وَتَعْظِيمُهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِحُضُورِ الْقَلْبِ فِي الْخِدْمَةِ . وَقَدْ كَانَ فِي السَّلَفِ مَنْ يَتَغَيَّرُ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ وَيَقُولُ : أَتَرَوْنَ بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ أَرِيدُ أَنْ أَقِفَ ؟ !

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مَنْ حَضَرَ قَلْبُهُ فِي تَعْظِيمِ سُلْطَانِهِ فَخَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَنْ يَمُرُّ مِنْ إِلَى جَانِبِهِ امْتِلَاءً بِهَيْبَةِ الْمُعْظَمِ ، فَإِذَا أُرِدْتَ اسْتِجْلَابَ حُضُورِ قَلْبِكَ الْغَائِبِ فَفَرِّغْهُ مِنَ الشَّوَاغِلِ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ .

وَقَدْ كَانَ أَرْبَابُ التَّفَكُّرِ مِنَ السَّلَفِ يَشَاعِدُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ عِبْرَةً ، فَيَذْكُرُونَ بِالْأَذَانِ نِدَاءَ الْعَرَضِ ، وَبِطَهَارَةِ الْبَدَنِ تَطْهِيرَ الْقَلْبِ ، وَبِسِتْرِ الْعَوْرَةِ طَلَبَ سِتْرِ الْقِبَاحِ مِنْ عِيُوبِ الْبَاطِنِ ، وَبِاسْتِمْبَالِ الْقِبْلَةِ صَرْفَ الْقَلْبِ إِلَى الْمُنَاقَبِ ، فَمَنْ لَمْ تَكُنْ صَلَاتُهُ هَكَذَا فَقَلْبُهُ غَافِلٌ .

\* \* \*

يَا هَذَا إِذَا صَلَّيْتَ وَالْقَلْبُ غَائِبٌ وَجُودُهُ فَالصَّلَاةُ كَالْمَدَمِ ، وَهُوَ بِالرُّؤُومِ مَقِيمٌ وَلَهُ بِالشَّامِ قَلْبٌ ، يَأْذَاهِلُ الْقَلْبَ فِي الصَّلَاةِ حَاضِرُ الذَّهْنِ فِي الْهَوَى ، جَسَدُهُ فِي الْحَرَابِ وَقَلْبُهُ فِي بِلَادِ الْغَفْلَةِ .

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي صَحِيحِهِ ١ / ٥٥٠ . (ط الأُمِّيَّة)

(٢) قَالَ التِّرْمِذِيُّ : وَفِي الْبَابِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ شَيْبَانَ وَأَنْسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَرِقَاعَةَ الزُّرْقِيِّ .

جاء مملوك إلى سيده فقال : ضاعت مَخْلَاة الفرس ، فقام السيد بصلى ، فلما فرغ من الصلاة قال : هى فى موضع كذا وكذا : فقال الغلام : باسيدى أعد الصلاة فإنك كنت تفشّ على المخلّاة !

قال الحسن : يا بن آدم إذا هانت عليك صلاتك فما الذى يَعرّ عليك ؟ ولما كان المطلوب حضور القلب جاء الوعد بالثواب الجزيل عليه . أخبرنا ابن الحصين بسنده عن زيد بن أسلم عن زيد بن خالد الجهنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى سجدةً لا يسهو فيها غفر الله له ما تقدم من ذنبه »<sup>(١)</sup> .

وفى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من توضأ فأصبح الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت : حَفِظَكَ الله كما حفظتنى . ثم يُصعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور فتفتح لها أبواب السماء حتى تنتهى إلى الله عز وجل فتشفع لصاحبها . فإذا لم يُتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها قالت : ضيعك الله كما ضيعتنى . ثم أُصعدت إلى السماء وعليها ظلمة فأغلقت دونها أبواب السماء فلُفَّت كما لُفَّ الثوب الخلق ، فيضرب بها وجه صاحبها »<sup>(٢)</sup>

### (الكلام على البسملة)

لا تأسفنَ لأمرٍ فات مَطْلَبُه هيهات ما فأت الدنيا بمرود  
إذا اقتضت أخذتَ نقداً وإن سئلتَ فدأبها بالأمانى والمواعيد  
وما السرورُ بها الموروث آخره أن يُتبع الحرصَ إلا قلبُ مكذودٍ  
وللتأسف يَبقى كلُّ مُدْخِرٍ وللمنية يَفدو كلُّ مولودٍ

\*\*\*

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ٤ / ١١٧ ، ٥ / ١٩٤ .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير والبراز بنحوه ، وفيه الأحوص بن حكيم ، وثقه ابن المدينى والجللى

وضمته جماعة وبقي رجاله ثقات . مجمع الزوائد ٢ / ١٢٢ .



يا مخلوقا من علقى ، اكتف من الدنيا بالعلق<sup>(١)</sup> ، واحذر فى رى الهوى من  
شرق ، وتذكر يوم الرحيل ذاك القلق ، وتفكر فى هاجم يسوى بين الملوك  
والسوق ؛ وتأهب له فربما بكر وربما طرق ، يا من شاب وماتاب ، استلب باقى الرمق ،  
أبعد الحلم جهل أم بعد الشيب نزع ، كان الشباب غصنا غصا فخلّى عن ورق ، وأنت  
فى الشباب كالشيب تجرى على نسق ، يا غربقا فى الهوى صبح من قبل الفرق ، كم  
طالب خلاصا لما فات ما انتفى .

ليأتينك من الموت ما لا يقبل رشوة ولا مالا ، إذا حال على القوى والقوى مالا ،  
يا مختار الهوى جهلا وضلالا ، لقد حلت أوزارنا ثقالا ، إياك والى فك  
وعد الذى محالا ، كم قال لطالب نعم : نعم سأعطيك نوالا وقد نوى : لا .

كم سقى الموت من الحشرات كزوسا ، كم فرغ ربعا عامرا مانوسا ، كم طمس  
بدورا وشموسا واستلب نعمانم أعطى بوسا ، وأذل جبابرة كانوا شوسا ، وأغمض  
عمونا ونكس رؤسا وأبدل التراب عن الثياب ملبوسا .

إذا كان ما فيه الفتى عنه زائلا فشتان فيه أدرك الخط أو أخطا  
وليس بئى يوما سرور وغبطة يحزن إذا المعطى استرد الذى أعطى

\* \* \*

ذهب الشباب الأسود ، وانقضى العيش الأرغد ، وقال الشيب : أنا الموت وما أبعد ،  
هذا وقلب الغافل كالجمد :

لا بدع إن ضحك القدير<sup>(٢)</sup> فبكى لضحكته الكبير  
عاصى العزاه عن الشبا ب وطاوع الدمع الغزير  
سقيما لأيام مضت فطوبى لها عندى قصير

(١) العلق : جم علقه وهى ما يتبلغ به .

(٢) القدير : العيب .

سُقِيَ الشَّبَابُ وَإِنْ عَفَى آثَارَ مَعْمُودِهِ الْقَتِيرُ  
مَا كَانَ إِلَّا الْمَلَكُ أَوْ دَى بِلْ هَوَى وَهَوَى السَّرِيرُ  
هُوَّنَ عَلَيْكَ فَإِنَّهَا خَلَعَ أَعَارَ كَمَا مُوسِرُ  
وَالدهرُ يَقْسِمُ مَرَّةً نَفْلًا وَأَوْنَةً بُنِيرُ

\*\*\*

كلُّ راحات الدنيا هموم وكروب ، أما دوام العيش بالشيب مشوب .  
نظر سلجان بن وهب وزير المهتدي يوما في المرأة فرأى شيئا كثيرا فقال :  
عيبٌ لا عدمننا .

أنت كل يوم إلى القبر تقترب ، وسترحل إلى البلى وتتغرب ، وسيا كل الحب  
بعدك وبشر ، وكألك إذا ذكرت أضرب ، فخذ الغدّة فخيّل الشدة تسرب ،  
واسمع نصحي فنصحي مجرب ، يا هذا احذر الأمل ، وبادر العمل ، فكأنك بالأجل  
على عجل . أما الأعمار كل يوم ناقصة ، أما الفجائع واردة واقصة <sup>(١)</sup> ، أما النكبات  
لأهلها مُمَاقِصَة ، أما كفّ الموت قابضة فانصة ، فأنّى لساكن الدنيا بسلامة المأصاة ، كألك  
بالموت قد تلب وقدح <sup>(٢)</sup> ، وأورى زناد الرحيل وقدح ، وخلت كفك يامن نعب  
وكدح ، وتساوى لديك من ذمّ ومن مدح ، ماهذه المارة لدار خراب ، كلما عمرها  
قومٌ صاح بينهم للبين غراب ، أتدبني وأنت تُنقِص ، هذا العُجَاب :

رُبَّ شَرِيفٍ الْبِنَاءِ عَالِيهِ بِالشَّيْدِ <sup>(٣)</sup> وَالسَّاجِ كَانَ بَانِيهِ  
كَأَمَّا الشَّمْسُ فِي جَوَانِبِهِ بِالْأَيْلِ مِنْ حُسْنِهِ تَبَاهِيهِ

(١) الواقعة : المهلكة .

(٢) تلب : لام وعاب . وقدح فيه : طمن .

(٣) الشيد : ما طلى به الحائط من جص ونحوه .

نَحَارُ فِي صَحْنِهِ الرِّيحُ كَمَا يَحَارُ سَارِي الظَّلَامِ فِي التَّيِّهِ  
كَانَتْ صَحُونٌ فَيَحُتُّ تَضِيقُ بِهِ فَالشُّبْرُ فِي الْقَبْرِ صَارَ يَكْفِيهِ  
الْجِدَّةُ الْجَدُّ قَبْلَ بَفْتَاتِ الْمَنَايَا ، الْبِدَارُ الْبِدَارُ قَبْلَ حُلُولِ الرِّزَايَا ، لِيُعْلَنَ بِكُمْ مِنَ الْمَوْتِ  
يَوْمَ ذُو ظَلَمٍ يَنْسِيكُمْ مَعَاشِرَةَ اللَّذَاتِ وَالنِّعَمِ ، وَلَا يُبْقَى فِي الْأَفْوَاهِ إِلَّا طَعْمُ النَّدَمِ :  
سَلْ بِالزَّمَانِ خَبِيرًا إِنِّي بِهِ لَعَلِيمٌ  
وَاهِيَ الْأَمَانَةَ ظَاعِنٌ بِالْمَرْءِ وَهُوَ مَقِيمٌ  
لَا تُخَدِّعَنَّ بِمُنْيَةٍ أُمُّ الْخُلُودِ عَقِيمٌ  
وَإِذَا النِّيَّةُ أْبْرَقَتْ فَرَجَاؤُكَ الْمَهْزُومُ  
عُشِقَ الْبَقَاءُ وَإِنَّمَا طَوَّلُ الْحَيَاةِ هِمُومُ

\* \* \*

ما هذه الخصال المذمومة ، أي يؤثر الفهم لذة مَسْمُومَةٍ ، إن هذه لعقول مرجومة ،  
متى تيقظ هذه النفوس اللومة ، إنها لظالمة وكأنها مظلومة ، تُعَاهِدُوا وَالْمَهْزُودُ كُلَّ يَوْمٍ  
مهذومة ، لتتمنين أن تكون في غد معدومة ، لتعلمن أن اختياراتها كانت مشنومة ،  
من لها إذا بدت لها خصال مكتومة ، كيف تصنع إذا نشرت الصحف مخنومة ، ما هذا  
الحرص الشديد والأرزاق مقسومة ، تصبح حزينه وتسمى مهمومة ، أتقدر على رد ما يُقَدَّرُ  
والأمور مخنومة ، أسفا لها الموت يُطلبها وهو نُؤُومَةٌ ، ما حاربت جندَ هَوًى إلا وعادت  
مهزومة ، يا لها موعظة بين المواعظ كالأيام المعلومة أحسن من اللائى المنشورة . والمعقود  
المنظومة .

الكلام على قوله تعالى : « إن الذين سبقتم لهم منا الحسنی

أولئك عنها مبعدون <sup>(١)</sup> » .

سبب نزولها أنه لما نزل : « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » شق ذلك على قريش وقالوا : شتم آلهمتنا فجاء ابن الزبيری فقال : ما لكم؟ قالوا : شتم آلهمتنا قال : وما قال؟ فأخبروه فقال : ادعوه لى . فلما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا محمد هذا شيء لآلهمتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله؟ قال : بل لكل من عبد من دون الله عز وجل . قال ابن الزبيری : خُصِّمَتْ وربُّ هذه البنية ! ألسن تزعم أن الملائكة عباد صالحون وأن عيسى عبد صالح ، وأن عزيزاً عبدٌ صالح ؟ فهذه بنو مليح يعبدون الملائكة ، وهذه النصراني تعبد عيسى ، وهذه اليهود تعبد عزيزاً . فضج أهل مكة فنزلت هذه الآية . قاله ابن عباس .

اسم ابن الزبيری : عبد الله كان يهجو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [ والزبيری ] بفتح الباء .

قال المفسرون : وإنما أراد بقوله « وما تعبدون » الأصنام ؛ لأنه لو أراد الملائكة والناس [ لقال ] ومن .

والحسنی عند العرب : كلمة توقع كل محبوب ومطلوب ؛ قال امرؤ القيس : -  
فَصِرْنَا <sup>(٢)</sup> إلى الحسنی ورقاً كلامنا ورُضْتُ فذلَّتْ صَعْبَةٌ أَيْ إِذْلالِ

\* \* \*

وقوله تعالى : « أولئك عنها » أى عن جهنم « مُبْعَدُونَ » والبعد طول المسافة .  
والحيس : الصوت تسمعه من الشيء إذا مرَّ قريباً منك .

(١) سورة الأنبياء ١٠١

(٢) الأصل : نظرنا محرفة

وقال ابن عباس : لا يسمع أهل الجنة حيس أهل النار إذا نزلوا منازلهم من الجنة « وهم فيما اشتبهت أنفسهم خالدون » .

أخبرنا عبد الأول بسنده إلى عطاء بن يسار عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية فقال : إن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال له : أو است فيما شئت ؟ قال : بلى ولكني أحب أن أزرع . فأسرع وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده ، فيقول الله عز وجل : دونك يا بن آدم لا يشبعك شيء . فقال الأعرابي : يا رسول الله لا نجد هذا إلا قرشياً أو أنصاريا فإنهم أصحاب زرع فأما نحن فلنا بأصحاب زرع . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

انفرد بإخراجه البخارى (١).

قوله تعالى « لا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ » فيه أربعة أقوال : أحدها : أنه النفخة الأخيرة رواه العوفي عن ابن عباس . والثاني : أنها إطباق النار على أهلها . رواه ابن جبير عن ابن عباس . والثالث : أنه ذبح الموت بين الجنة والنار . قاله ابن جرير . والرابع : أنه حين يؤمر بالبعد إلى النار . قاله الحسن .

قوله : وتلقاهم الملائكة « اختلفوا في محل التلقى على قولين : أحدهما : أنه إذا قاموا من قبورهم . قاله مقاتل . والثاني : على أبواب الجنة . قاله ابن الصائب . قوله : « هذا يومكم الذي كنتم توعدون » فيه إضمار : يقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون فيه الجنة .

\*\*\*

---

(١) صحيح البخارى ٤ / ٢٤٦ (كتاب التوحيد باب كلام الرب مع أهل الجنة)

أين من يعمل لذلك اليوم ، أين المتينِّظ من سِنَّة النوم ، أين من يلحق بأولئك  
اقوم ، جدُّوا في الصلاة وأخروا في الصوم ، وعادوا على النفوس بالتوبيخ واللوم ،  
ليتك إن لم تقدر على الإشمام لطريقتهم حصلت الرُّوم .

قوله تعالى : « يوم نطوى السماء » وذلك بمحو رسومها وتكدير نجومها وتكوير  
شمسها « كطى السَّجَل » وفي السجل أربعة أقوال : أحدها أنه ملك . قاله علي بن  
أبي طالب ، وابن عُمر ، والسُّدِّي .

والثاني : كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه أبو الجوزاء عن  
ابن عباس .

والثالث : السجل بمعنى الرجل . روى عن ابن عباس . قال شيخنا أبو منصور  
اللُّغَوِي : وتد قيل : السجل بمعنى لغة الحبشة : الرجل .  
والرابع : أنها الصحيفة . رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس . وبه قال مجاهد  
والفرَّاء وابن قتيبة .

وقرأت على شيخنا أبي المنصور قال : قال أبو بكر بن دُرَيْد : السجل : الكتاب  
والله أعلم . ولا ألقت إلى قولهم أنه فارسي معرب .

والعنى : كما يُطَوَّى السجل على ما فيه من الكتاب . واللام بمعنى على . وقال بعض  
العلماء : المراد بالكتاب المكتوب ؛ فلما كان المكتوب ينطوى بانطواء الصحيفة جعل  
السجل كأنه يُطَوَّى الكتاب .

ثم استأنف فقال : « كما بدأنا أولَ خَلْقٍ نعيده » وفي معناه أربعة أقوال : أحدها  
كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عُرَاة غُرُلا ، كذلك نعيدهم يوم القيامة .

أخبرنا عبد الأول بسنده عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال : « إنكم تُحشرون حفاة عراة غُرْلًا كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين » .

أخرجاه في الصحيحين <sup>(١)</sup> .

والغُرْل : القَاف ، يقال هو أَقْلَف وأَغْرَل وأَغْلَف بمعنى واحد .

وفي بعض الأحاديث بهُماً . ومعناه : سالين من عاهات الدنيا وآفاتِها لا جُذَامَ بهم ولا بَرَص ولا عَمَى ولا غير ذلك من البَلايا لكنهم يحشرون بأجساد مصححة تلحود الأبد ، إما في الجنة وإما في النار ، والبهُـم من قول العرب : أسود بهم وكُـيـت بهم وأشقر بهم : إذا كان لا يخالط لونه لون آخر ، فكذلك هؤلاء يبعثون معافين عافية لا يخالطها سقم .

والثاني : أن المعنى : أنا نهلك كل شيء كما كان أول مرة ، رواه العوفي عن ابن عباس .

والثالث : أن السماء تمطر أربعين يوماً كفى الرجال فينبتون بالمطر في قبورهم كما ينبتون في بطون أمهاتهم . رواه أبو صالح عن ابن عباس .

والقول الرابع أن المعنى : قُدرتنا على الإعادة كقدرتنا على الابتداء . قاله الزجاج .

\* \* \*

ياله من يوم ما أعجب أحواله وما أصعب أهواله وما أكثر أحواله ، مريض طَرَدَه لا يُرَجَى له ، ذِكر القيامة أزعج المتقين وخَوَف العَرَض أَفلاق المذنبين ، ويومُ الحساب أبكى العابدين ، وأرى قلبك عند ذكره لا يلبس .

أخبرنا محمد بن ناصر بسنده عن عبد الرحمن بن محمد اللكّاري عن موسى الجهمي قال : سمعت عون بن عبد الله يقول : وَيَمْحَى كيف أغفل ولا يُفعل عني ، أم كيف تهينني

(١) صحيح البخاري ١٠٩ / ٤ وصحيح مسلم كتاب الجنة حديث رقم ٥٦ ، ٥٩ .

معيشتي واليوم الثقيل ورائي ، أم كيف لا يطول حزني ولا أدري ما فُعل في ذنبي ،  
 أم كيف أؤخر عملي ولا أعلم متى أجلي ، أم كيف يشتد عَجبي بالدنيا وليست بداري ،  
 أم كيف أجمع لها وفي غيرها قراري ، أم كيف تعظم رغبتني فيها والقليل منها يكفيني ،  
 أم كيف آمن فيها ولا بدوم فيها حالي ، أم كيف يشتد حرصي عليها ولا ينفعني ما تركتُ  
 منها بعدى ، أم كيف أؤثرها وقد صرّرت من آثرها قبلي ، أم كيف لا أفك نفسي من  
 قبل أن يَخلَقَ رَهْني .

قال عبد الله بن الحسن بن عبد العزيز الجَرَوِي ، قال : حدثنا عبد الله بن يوسف  
 الدمشقي ، قال : حدثنا محمد بن سليمان بن بلال ، أن أمه عَثَمَةَ كُفَّ بَصَرها فدخل عليها  
 ابنها يوماً وقد صَلَّى فقالت : أصليتِ أمي بني ؟ فقال : نعم . فقالت :  
 عَثَمَ مَالِكٍ لَاهِيَةِ حَلَّتْ بِدَارِكَ دَاهِيَةِ  
 ابكي الصلاة لوقتها إن كنت يوماً باكيه  
 وابكي القرآن إذا نُلِي أن كنت يوماً تاليه  
 تتلينه بتفكيرٍ ودموع عَيْنِكَ جاريه  
 فاليوم لا تتلينه إلا وعندك تاليه  
 لهفي عليك صباية ما عشتُ طول حياتيه<sup>(١)</sup>

\* \* \*

يا غافلاً عن القيامة ستدري بمن تقع الندامة ، يا مُعرضاً عن الاستقامة أين وجهه  
 السلامه ، يا مبنياً بالقدرة سينقُصُ بناؤك ، ويا مستأنساً بداره ستخلو أوطانك ،  
 يا كثير الخطايا سيخف ميزانك ، يا مشغولاً باهوه سينشَر دِوانك ، يا أعجمي الفهم  
 متى تفهم ، أنعادي النصيح وتوالي الأرقم<sup>(٢)</sup> ، وتؤثر على طاعة الله كَسْبَ درهم ،

(١) الرواية في ذم الهوى لابن الجوزي أيضاً . (٢) الأرقم : أحبّ الحيات وأطلبها للناس .



وتفرح بذنب عقوبته جهنم ، ستعلم حالك غدا ستعلم ، ستري من يبكي ومن يندم ،  
إذا جئنا الخليل وتزازل ابن مريم ، يا عاشق الدنيا كم مات متيم ، يا من إذا  
خطرت له مصيبة صمم ، ما فعلك فعل من يريد أن يسلم ، ما للفلاح علامة والله أعلم  
إن كان ثم عذر قتل وتكلم .

أيها اللئيم نفسه يجرأحات الشباب ، حسبك ماقد مضى سوّدَت الكتاب ، أبعد  
الشيب وعظ أو زجر أو عتاب ، هيهات تفرقت وصل الوصل وتقطعت الأسباب .

حسبك ماقد مضى من اللعب      فتب إلى الله فعل مرتقب  
طواك مر السنين فاطو ثياب الاله      هو واخلع جلايب الطرب  
وتب فإن الجحيم تنتظر الأش      يب إن مات وهو لم يتب  
تظهر منها عليه أغلظ ما      تظهره للشباب من غضب  
السجع على قوله تعالى « كما بدأنا أول خلق نعيده .

يا من لا يؤثر عنده وعده ووعيده ، ولا يزجه تخوفه وتهديده ، يا مطلقا ستعلمه  
بيده ، ثم يفنيه البلى وببيده ، ثم ينفخ في الصور فيبتدأ تجديده « كما بدأنا أول  
خلق نعيده » .

فرقنا بالوت ماجمنا ، ومزقنا بالتلف ما ضيعنا ، فإذا نفخنا في الصور أسمعنا ،  
محكم الميعاد في الميعاد ونجده « كما بدأنا أول خلق نعيده » .

كم حسرة في يوم الحسرة ، وكم سكرة من أجل سكرة ، يوما قد جعل خمسين  
ألف سنة قدره ، كل ساعة فيه أشد من ساعة المسرة ، نبئني فيه ما نقصناه ونشيد  
« كما بدأنا أول خلق نعيده » .

قرّبنا الصالحين منا وأبعدنا العاصين عنا ، أحبيننا في التدم وأبغضنا ، فن قضينا  
عليه بالشقاء أهلكنا ، فهو أسير البعد وطريده ، ومن سبقت لهم منا الحسنی فنحن  
ننعم عليه ونعيده « كما بدأنا أول خلق نعيده » .

يومٌ كُلُّه أحوال ، شُغْلُه لا كالأشغال ، يتقلقل فيه القلب والبال ، فتذهل عقول  
النساء والرجال ، ومن شدة ذلك الحال لا ينادى وليده .  
تجرى العيون وابلا وظلًّا ، وترى العاصي بقلق ويتنلَّى ، ويتمنى العودَ فيقال :  
كَلَّا . والويلُ كل الويل لمن لا يريدُه . تَحْتَمِع فيه الأملاك ، وتطير فيه الضحَّاك ، ويعز  
على المحبوس الفسَّاك . فأما المؤمن النقي فذاك عبده .  
إخواني : ارجعوا بحسن الزُروع والأوْبَة ، واغسلوا ب مياه الدموع ماضى الحَوْبَة ،  
وقد نصَبْنَا للمذنب شَرَك التوبة ، أفترى اليوم تصيده .  
يا من لا يزال مطالبًا مطلوبًا ، يا من أصبح كل فمله محسوبًا ، إن حرَّكَك الوعْظُ  
إلى التوبة صرت محبوبًا ، وإن كان الشقا عليك مكتوبًا فما ينفع تردیده .

## المجلس الرابع

### في ذكر الزكاة

الحمد لله الذي لا واضع لما رفع ، ولا رافع لما وضع ، ولا واصل لما قطع ولا مفرق لما جمع ، سبحانه من مقدر ضرر ونفع ، وحكم فالكمل حكمه كيف وقع ، أمرض حتى أتى على شئنا ثم شفى الوجع ، وواصل من شاء ومن شاء قطع ، جمل العصاة في خفارة الطائمين وفي كنف القوم وسع ، « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع »<sup>(١)</sup>.

أحمده على ما أعطى ومنع ، وأشكره إذ كشف للبصائر سيرة الخلدع ، وأشهد بأنه واحد أحكم صنم ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله والكفر قد علا وارتفع ، ففرق بمجاهدته من شره ما اجتمع ، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر الذي نجم نجم سعادته يوم الردة وطلع ، وعلى عمر الذي عز الإسلام به وامتنع ، وعلى عثمان المفتول ظملاً وما ابتدع ، وعلى علي الذي دحض الكفر بمجاهده وقمع ، وعلى عه المباس الذي سئل به سئل السحاب فهمم . اللهم يا من إلى بابه كل راغب رجس ، اجعلنا ممن بالمواظع انتفع ، واحفظنا من موافقة الطمع والطمع وانفعي بما أقول وكل من استمع .

\*\*\*

قال الله تبارك وتعالى : « والذين يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ »<sup>(٢)</sup>.

الكنز : ما لم يؤد زكاته . أخبرنا عبد الأول بسنده عن الليث بن سعد عن

(١) سورة الحج ٤٠ .

(٢) سورة التوبة ٣٤ .

نافع أن عبد الله بن عمر قال: ما كان من مال تؤدّي زكاته فليس بكنز، وإن كان مدفوناً، وما ليس مدفوناً لا تؤدّي زكاته؛ فإنه الكنز الذي ذكره الله عز وجل في كتابه .

وفي قوله : « ولا يُنفقونها » قولان ، ذكرها الزجاج : أحدهما : أن المعنى يرجع إلى السكّنوز والثاني : إلى الفضة . وقال أبو عبيدة : العرب إذا أشركوا بين اثنين قَصَرُوا فأخبروا عن أحدهما استغناء بذلك وتخفيفاً بمعرفة السامع أن الآخر قد شاركه ودخل معه في ذلك الخبر :

ومن يك أمسى بالمدينة رَحله فإني وقيارٌ بها لغربُ

قوله تعالى : « فبشّرهم بمذابٍ أليم » . أى اجعل مكان البشارة هذا .

قوله عز وجل : « يوم يُجمَعُ عليها في نار جهنم » . يعنى الأموال . قال ابن مسعود : ما من رجل يُكْوَى بكنز فيوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ، ولكن يوسّع في جلده فيوضع كل دينار على حدّته .

وقال ابن عباس : هي حية تُطَوَى على جنبيه وجهته فتقول : أنا مالك الذي خلّيت به .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن المخزوم بن سُوَيْد عن أبي ذر رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل الكعبة فقال : هم الآخسرون وربّ الكعبة . قالوا ثلاث مرات . قال : فأخذني غَمٌ وجعلت أتنفّس ، قال : قلت هذا شرّ حدث في . قال : قلت : مَنْ هم فذاك أبى وأمى ؟ قال : الأكثرون أموالاً إلا من قل في عباد الله ، هكذا وهكذا ، وقليل ما هم ، ما من رجل يموت فيترك غنماً أو إبلاً أو بقراً لا يؤدّي زكاتها إلا جاءته يوم القيامة أعظم ما تكون وأنتم حتى تطأه بأظلافها وتنطحه بقرونها حتى يقضى الله بين الناس ثم تعود أولاهها على أخراها .  
أخرجاه في الصحيحين<sup>(١)</sup> .

(١) صحيح البخارى ٤ / ١٢٣ ط الأميرية (كتاب الأيمان) وصحيح مسلم كتاب الركاة حديث

وبالإسناد عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقها إلا جاءته يوم القيامة أكثر ما كانت قط وقعد لها بقاع قرقر <sup>(١)</sup> تنطحه بقرونها وتطوؤه بقوائمها ، ولا صاحب غنم لا يفعل بها حقها إلا جاءت أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطوؤه بأظلافها ليس فيها حياء ولا منكس قرن ، ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء يوم القيامة شجاعا أقرع يبقمه فاغراً فاه فإذا أتاه مرء منه فيناديه ربه : خُذْ كنزك الذي خبأته فإني عنه أغنى منك فإذا رأى أن لا بد له منه سلك بيده في فيه فيقضمها قضم الفحل » .

انفرد بإخراجه مسلم <sup>(٢)</sup> .

وفي أفراد من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدّي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّعت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهوره كلما تردّت أعيدت إليه أولاها أعيدت أخراها أعيدت إليه في يوم كان مقداره : خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » <sup>(٣)</sup> .

أخبرنا عبد الأول بسنده عن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من آناه الله مالا فلم يؤدّ زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه يقول : أنا مالك أنا كنزك وتلا هذه الآية : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم » الآية » .

انفرد بإخراجه البخاري <sup>(٤)</sup> .

(١) القرقر : القاع الأملس . (٢) صحيح مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ٢٧ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ٢٦ .

(٤) صحيح البخاري ١ / ١٨٣ ط الأميرية .

فإن قيل : لم خص الجبّاه والجَنُوب والظهور من بقية البدن ؟

فجوابه من وجهين : أحدهما : أن هذه المواضع مجوّفة فيصل الحرّ إلى أجوافها ، بخلاف اليد والرجل ، وكان أبو ذر يقول : بشر الكنازين بكى في الجبّاه وكى في الجَنُوب وكى في الظهر حتى يلتقى الحرّ في أجوافهم . والثاني : أن الفنى إذا رأى الفقير انقبض وإذا ضمه وإياه مجلس ازورّ عنه وولّاه ظهره ، فكُويت تلك المواضع منه . قاله أبو بكر الورّاق .

قوله تعالى : « هذا ما كنزتم لأنفسكم » للبنى : هذا ما ادخرتم لأنفسكم « فذوقوا ما كنتم تكفرون » أى عذاب ذلك اليوم .

• • •

واعلم أن الزكاة أحد أركان الإسلام . قال صلى الله عليه وسلم : « بُنى الإسلام على خمس » فذكر منهن الزكاة .

وينبغى للمتيقظ أن يفهم المراد من الزكاة ، وذلك ثلاثة أشياء :

أحدها : الابتلاء بإخراج المحبوب . والثاني : التنزه عن صفة البخل المهلك . والثالث : شكر نعمة المال ، فليتذكر إنعام الله عليه إذ هو المعطى لا المعطى .

وعليه ألا يؤخّرّها إذا حالّ الحولُ لأنها حق للفقير ، ويجوز تقديمها على الحول ، ولا يجوز إعطاء العوّض باعتبار القيمة<sup>(١)</sup> . وينبغى أن ينتقى الأجود للفقير ، فإن الذى يمطيه هو الذى يلقاه يوم القيامة ، فليتخير لنفسه ما يصدّق به ، وأن يقدم قراء أهله ويتحرى بها أهل الدّين ، ولا يُبطل صدقته بالمنّ والأذى ، فليعط الفقيرَ بانسراح ولطف حتى كأل الفقير هو الذى يُنعم بما يأخذه ، وليستر عطاءه أهل الروءات فإنهم

---

(١) هذا على مذهب أحد بن حنبل ، وفى بعض المذاهب الأخرى يجوز إخراج القيمة .

لا يُؤثرون كشفَ سِتْرِ الحاجة ، فإن خطرَ له أن الزكاة ينبغى أن تنشأ لثلاثتهم  
الإنسان ، ففى من لا يَسْتَحْيِ إذا أخذها كثرة ، فليُشْمَعْها عند أولئك وليترك أربابَ الأنفة  
تحت ستر الله عز وجل .

### (الكلام على البسملة)

غَوَالِبُ راحَةِ الدنيا عَنَّا	وما تعطيه من هبة هباء
وما دامت على عَهْدٍ بخلق	ولا وعدت فكان لها وفاء
تُذِيقُ حلاوةً وتذيقُ مرًّا	وليس لذا ولا هذا بقاء
وتجولو نفسها لك فى المعاصى	وفى ذاك الجلاء لها الجلاء
إذا نشرت لواء الملك فيها	لوى قَلْبَ الغنى لها اللواء
فَدَعَّها راغبًا فى ظل عيش	وملك ماله أبدا فناء



عجبا لمن عرف الدنيا ثم اغتر ، أما يقيس ما بقى بما مر ، أيؤثر لبب على  
الخير الشر ، أينحتر القطن على النفع الضر ، كم نعمة عليك قد سَلَفَتْها وما قت بفريضة  
كَلَمَتْها ، إذا دعيت إلى التوبة سوِّقَتْها ، وإن جاءت الصلاة ضيَّقَتْها ، وإذا قت فى العبادة  
خَفَّفَتْها ، وإذا لاح لك وجه الدنيا ترشَّفَتْها ، لقد آفَتْك آفةُ الدنيا وما أفتها ، إنها لدار  
قلعة تضيِّقُها أو ليس قد شَبِتَ وما عرفتها ، كم حيلة فى مكاسبها تلطَّفَتْها ، ولو شفلتك عنها  
آيات نافَقَتْها ، كم بادية فى أرباحها نصَفَتْها ، كم قفَّار فى طلبها طُفَّتْها ، كم كذبات  
من أجل الدنيا زَخَرَفَتْها ، لقد استشمرت محبتها إى والله والتَّحَفَّتْها ، تحضر المسجد  
وقلبك مع التى أَلْفَتْها ، أو ما بكفيك أموالك وقد أَلْفَتْها ، تا الله لو علت ما تمنجى  
عِفَّتْها . أنسيت تلك الذنوب التى أَسْلَفَتْها ، أَلَسْتَ الذى تذكَّرْتها ثم خِفَتْها ،

آه لمراحل أيام قطعها وحلفتها ، آه لبضائع عمر بذرت فيها وأتلفتها ، لو أردت خيرا  
وبجتها وعفتها ، لو قبلتها بالوفاق فهلا خالفتها .

\* \* \*

إخواني : قولوا للمفرط الجاني ، قال لك الشيب : أما تراني ، أنا كتاب الأنون  
والضعف عنواني ، وإيس في السطور إلا أنك فاني :

ورأيتني غير ما قد تراني	أنكرت سلمى مسيباً عراني
وشباب المرء ظل للزمان <sup>(٢)</sup>	أشرف الشيب على لمتي <sup>(١)</sup>
لا يفرنك ضمان للأمان <sup>(٣)</sup>	إنما أنت ليا قد ترى
كم ترى من هالك قد صار فاني	هل ترى من عاش خالد
واعظاتي بفوادي لكفاني <sup>(٤)</sup>	لو أعنت العين إذا أبصرت
بين جنبي بعيني بداني	أى شيء أنقى والردى
من بقائي جاذب مني عنائي	كل يوم ناقص دولة
شاء أن يذمي لحيني رماني	وألاقيه بلا جنة فإذا
يتبع العامل جراً للساني <sup>(٥)</sup>	تابع يتبع ماضى كما
فإذا غابوا فشغل للأمان	لذة الدنيا إذا ما حضروا
فكان لم أرهم في مكان	ما اطمأن الدهر حتى تقضوا

\* \* \*

(١) اللغة بالكسر : الشعر المجاوز شعبة الأذن .

(٢) الأصل : ظل الزمان . محرفة .

(٣) الأصل : ضمان .

(٤) الأصل : كماني .

(٥) كذا بالأصل .



أين أهل العزائم رحلوا وماتوا ، أين أهل اليقظة ذهبوا وفاتوا ، قف على قبورهم تجد ريح العزَم ، تنفَس عندها تحب روح الحزَم ، أقبلوا بالقلوب على مقلِّبها ، وأقاموا النفوس لدى مؤدِّبها ومدَّوا الباع من باع التسليم إلى صاحبها ، وأحضروا الأخرى فنظروا إلى غايتها وسهروا الليالي كأنهم قد وكَّلوا برغى كواكبها ، ونادوا نفوسهم صبرا على نار البلاء لمن كواكبها ، ومقتوا الدنيا فما مال الملأ إلى مَلَاعِبها ، واشتاقوا إلى الحبيب فاستطالوا مدة المقام بها .

أنتم على البُعْد هموى إذا غِثْمٌ وأشجاني على القُرْبِ  
لا أنبغ القلب إلى غيركم عني لكم عينٌ على قلبي  
إن لم تكن معهم في السَّحَرِ فتلحَّ آثار الحبيب عليهم وقت الضحى ، واقرأ في صحائف الوجوه سطور القبول بمداد الأنوار ، وجوهٌ ينهاها الحسَن أن تتقنما .  
أين أنت من القوم ، كم بين اليقظة والنوم ، يا بعيد السلامة قد قرَّبت منك النِّعامة<sup>(١)</sup> يا عديم الاستقامة ، ما أرى لنجاتك علامة ، أعمالك لا تصلح للجنة وخصالك الباطنة أوصاف .

إلى متى إلى متى جدَّ في غير الجِدِّ والكهش ، إلى كم في الظلام وقد نُسخت الأَغْباش ، تمكَّن حبُّ الدنيا من القلب فما يخرجُه مِنْقَاش ، ولا حَ نورُ الفلاح وكيف يبصر حَقَّاش ، أما النهار فأسير الهوى في المعاش ، وأما الليل ففَقِيل المنام في الفراش ، كيف يصحب الصلحاء مَنْ هَمَّتْهُ صُحْبَةُ الأَوْبَاش ، وهل يبارز في صف الحرب خَوَّارٌ ضعيف الجاش ، دخل حب الدنيا فاستقبطن بطن المُشَاش<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

(١) النعمة من معانيها : الصحراء ، والنفس . ولعله يريد الإشارة إلى البيت الجاهلي : قريبا مربوط النعمة مني . وهي إذا كناية عن التهيؤ للرحيل .  
(٢) المشاش . رهوس العظام .

مِثْلُ الشَّيْبَةِ كَالرَّيْعِ إِذَا مَا جِيَدَ فَأَخْضَرَتْ لَهُ الْأَرْضُ  
 قَالِيبٌ كَالْحُلِّ الْجَادِ لَهُ لَوْنَانِ مُغَبَّرٌ وَمُنْبِيضٌ  
 سَنَعَتْ لَهُ دَهْيَاءَ مَنْ كَشَبٍ دَانَتْ خُطَاهُ وَمَا بِهِ أَيْضُ<sup>(١)</sup>  
 تَرَكَ الْجَدِيدُ جَدِيدَهُ جَهْلًا لَا الصَّوْنُ يُرْجِعُهُ وَلَا الرَّخْضُ<sup>(٢)</sup>  
 وَتَعَاقِبُ التَّفْتِيْشِ يَقْدَحُ فِي صُمِّ الصَّفَا فَيُظَالُّ يَرْفُضُ<sup>(٣)</sup>

الكلام على قوله عز وجل : « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ<sup>(٤)</sup> »

المعنى : لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ الْكَامِلَ وَبِمَضِ الْمَفْسِرِينَ يَقُولُ : التَّوَدُّ بِالْبِرِّ هَاهُنَا الْجَنَّةُ ، وَلَنْ يَدْرَكَ الْفَضْلُ الْكَامِلُ إِلَّا بِبَذْلِ مَحْبُوبِ النَّفْسِ .

أخبرنا عبد الأول بسنده عن إسحاق بن عبد الله بن طلحة ، أنه سمع أنس بن مالك يقول : « كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَحْلٍ وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَثْرَاءُ وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٌ . قَالَ أَنَسُ : فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ » قَامَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ » وَإِنْ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَى بَثْرَاءَ وَإِنِّي لَأُحِبُّهَا لَكَ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعْتُهَا حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَخٍ ذَاكَ مَالٌ رَابِعٌ أَوْ رَائِحٌ - شَكَّ ابْنُ مَسْلَمَةَ - وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْمَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ » . قَالَ أَبُو طَلْحَةَ : أَفْعَلُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَخَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنَى عَمَهُ .

(٢) الرخض : الشنة والزادة الملقى .

(١) الأيض : الرجوع .

(٤) سورة آل عمران ٩٢ .

(٣) يرفض : يتكسر ويفرق .

أخرجاه في الصحيحين<sup>(١)</sup>. ورواه مُحمَّد عن أس قال فيه: لو استقطعت أن أسيرَها لم أعلنها. فقال: اجعله في قراء أهلك.

وقال مجاهد: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء ففعل فدعاها عمر فأعتقها ثم تلا هذه الآية: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون».

وقال ابن عمر: خطرَت هذه الآية بيالي: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» ففكرت فيما أعطاني الله عز وجل فما وجدت شيئا أحبَّ إلى من جاريتي رميئة فقلت: هي حُرَّة لوجه الله فلولا أني لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها. فأنكحها ناعما فهي أم ولده.

أخبرنا محمد بن ناصر بسنده عن عبد العزيز بن رواد عن نافع، قال: كان ابن عمر إذا اشتدَّ عُجْبُهُ بشيء من ماله قرَّبه لربه عز وجل. قال نافع: كان بعض رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شتم أحدهم فلزم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم إلا أن يخذعوك! فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله اتخذنا له!

قال نافع: فلقد رأيتنا ذات عشيَّة وراح ابن عمر على نَجِيب له قد أحذه بمال، فلما أعجبه سَيَرَهُ أناخه مكانه ثم نزل عنه وقال: يا نافع انزعوا زِمَامَهُ وَرَحْلَهُ وَجَلُّوهُ وَأَشْمُرُوهُ وَأَدْخُلُوهُ فِي الْبُذُن.

وروى بشير بن دعلوف عن الربيع بن خثيم أنه وقف سائل على بابه فقال: أطمعوه سكرا فإن الربيع يحب السكر.



(١) صحيح البخاري كتاب الزكاة باب رقم ٤٤ وكتاب الوصايا باب ١٧ وهو كذلك في كتاب الوكالة وكتاب التفسير وكتاب الأشربة.

وصحيح مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ٤٣. ومسنَد أحمد ٣ / ١٤١.

واعلم أن الإنفاق يقع على الزكاة المفروضة وعلى الصدقة النافلة، وعلى الإيثار والمواساة  
للإخوان، فمن أخرج الله عز وجل شيئاً فليكن من أطيب ماله وليوقن المضاعفة .  
أخبرنا ابن الحصين بسنده عن سعيد بن يسار عن ابن هريرة رضي الله عنه قال :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يصعد  
إلى الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم قُلُوه حتى  
يكون مثل الجبل »<sup>(١)</sup> .

وفي أفراد مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري قال : جاء رجل إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بناقاة مخطومة فقال : هذه في سبيل الله . فقال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة »<sup>(٢)</sup> .

أخبرنا يحيى بن علي بسنده عن يونس بن عُبيد عن الحسن بن أنس قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الصدقة لتبقي غضب الرب وتدفع ميتة  
السوء »<sup>(٣)</sup> .

أخبرنا موهوب بن أحمد بسنده عن يزيد الرقاشي عن أنس عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم أنه قال : « تصدقوا فإن الصدقة فيكأك من النار والصدقة تمنع سبعين  
نوعاً من البلاء أهونها الجذام والبرص »<sup>(٤)</sup> .

وفي حديث بُريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما يُخرج  
أحد شيئاً من الصدقة حتى يفك إحيى سبعين شيطاناً<sup>(٥)</sup> .

(١) صحيح البخاري كتاب الزكاة باب رقم ٨ وسنن الترمذي كتاب الزكاة باب ١٢ وسنن ابن  
ماجه كتاب الزكاة باب ٢٨ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإمارة حديث رقم ١٣٢ .

(٣) سنن الترمذي كتاب الزكاة باب ٢٨ .

(٤) ذكر نحوه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ / ١٠٩ عن رافع بن خديج وقال : رواه الطبراني في  
السيكبير وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف .

(٥) رواه أحمد والبخاري والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات . مجمع الزوائد ٣ / ١٠٩ .

وينبغي للمتصدق أن يصلح نيته فيقصد بالصدقة وجه الله عز وجل ، فإن لم يقصد وجه الله لم تُقبل منه . وينبغي أن يتخير الحلال . ففي أفراد مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يقبل الله صدقةً من غُلُول .  
وكان الحسن يقول : أيها المتصدق على المسكين برحمة ارحم من ظلمت .

وأن يتخير الأجود فقد قال الله تعالى : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » . وقال عروة بن الزبير : إذا جعل أحدكم لله شيئاً فلا يجعل له ما يستحي أن يجعل للكريم ؛ فإن الله تعالى أكرم الكرماء وأحق من اختياره .

ثم ينبغي أن يكون إخراج المحبوب في زمان صحة المعطى وزمان فاقية المعطى ، وليقدم الأقرباء ويقدم من الأقارب من لا يميل إليه بالطبع . ففي حديث أبي أيوب الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح <sup>(١)</sup> .

وليخرج المعطى ما سهل وإن قلَّ . فقد روى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل : أى الصدقة أفضل ؟ فقال : جهداً للفيل <sup>(٢)</sup> » .

وقال الحسن : أدركنا أقواماً كانوا لا يردون سائلاً إلا بشيء ، ولقد كان الرجل منهم يخرج من بيته فيأمر أهله ألا يردوا سائلاً .

ومن آداب العطاء أن يكون سراً ؛ فإن صدقة السر تطفى غضب الرب عز وجل . قال عبد العزيز بن عمير : الصلاة تُبَلِّغك نصف الطريق والصوم يبلِّغك باب الملك ، والصدقة تُدْخِلُك عليه .

(١) مسند أحمد ٣ / ٤٠٢ ، ٥ / ٤١٦ وسنن الدارمي كتاب الزكاة باب رقم ٣٨ .

(٢) سنن أبي داود كتاب الزكاة باب ٤٠ وسنن الدارمي كتاب الصلاة باب ١٣٥ .

الكرم حر لأنه يملك ماله ، والبخل عبدٌ لأن ماله يملكه ، أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طُبع على أشرف الأخلاق وقد وصف نفسه عليه الصلاة والسلام فقال : « يَا بِي اللَّهِ لِي الْبَخْلُ <sup>(١)</sup> » وأعطى غنماً بين جبلين فتعير الذي أعطاه في صفة جوده فقال : هذا عطاء من لا يخشى الفقر ، فلما سار في فيافي الكرم تبعه صديقه فجاء بكل ماله فقال : ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت الله ورسوله :

سبق الناس إليها صفة لم يمد راندُها عنها بفن  
هرة للجود صالت نشوة لم يكدر عندها العرف بمن  
طلبوا الشاء فوافى سابقا جَدَعٌ غَبَر في وجه المسن  
نزع أبو بكر نحيط الهوى فزقه على ، رمى الصديق جهاز المطلقه فوافقه على حتى  
رمى الخاتم :-

حب الفقر إليه أنه سؤدد وهو بذاك الفقر يفتى  
وشريف التوم من بقى لهم شرف الذكر وخلى المال بفتى  
ما اطمأن الوفر في بحبوحة فرأيت الجد فيها مطمئناً  
هَدم الأموال من آساسها أبدا مادامت العلياء تُدنى

كان السلف يؤثرون عند الحاجة ، ويقدمون الأجود المحبوب .

أخبرنا عبد الأول بسنده إلى أبي حازم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نساءه فقلن ما عندنا إلا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يَضُم هذا أو يُضَيِّف هذا ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ما عندنا إلا قوت الصبيان ، فقال : هيئي طعامك وأصلي سراجك ونومي صبيانك

إذا أرادوا عشاء ففعلت ثم قامت كأنها تُصلح سراجها فاطفأتها فجعلها يُريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ضحك الله الليلة ، أو عجب ، من فمالكما . فأنزل الله تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون <sup>(١)</sup> » .

أخبرنا عبد الوهاب بسنده إلى محمد بن عبيد ، عن ابن الأعرابي قال استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن أبي جهل وسهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام وجماعة من بنى المفيرة ، فأتوا بماء وهم صرعى ، فتدافعوه حتى ماتوا ولم يدوقوه ! أتى عكرمة بالماء فنظر إلى الحارث بن هشام ينظر إليه فقال : ابدأوا بهذا فنظر سهيل إلى الحارث بن هشام ينظر إليه فقال : ابدأوا بهذا فأتوا كلهم قبل أن يشربوا ، فر بهم خالد بن الوليد فقال : بنفسى أنتم !

نقّه ابن عمر من مرض فاشتبهى سمكة ، فلما قدّمت إليه جاء سائل فناوله إياها . واشتهى الربيع بن خثيم حلواء فلما صنعت دعا بالفقراء فأكلوا ، فقال أهله : أنعبتنا ولم تأكل فقال : وهل أكل غيري !

كم يملك وبين الموصوفين كما بين المجهولين والمعروفين ، آثرت الدنيا وآثروا الدين ، فتلجّح تفاوت الأمر يامسكين ، أمّا الفقير فما يحظر ببالك ، فإذا جاء سائل أغلظت له في مقالك ، فإن أعطيته فحيرا سيرا من ردىء مالك . إلى كم تتعبد في جمع الحطام وتشقى ، وتؤثر ما يفتنى على ما يبقى : -

يُحصى الفتى ما كان من نفقاته      ويُضيع من أنفاسه ما أنفقاً  
لم يمتصم ملك يشدّ ملكه      حصنا يُعزّ به ويخفر خندقاً  
وكأما دنيا ابن آدم عِرْسه      أخذت جميع ثرائه إذ طلقاً

السجع على قوله تعالى : « لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا مما تحبون »

عباد الله : إلى متى تجمعون ما لا تأكلون ، وتبنون ما لا تسكنون والجيد في بيوتكم تدّخرون ، والردى إلى الفقير تُخرِجون « لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا مما تحبون » .  
حرّكوا هممكم إلى الخير وأزجوا ، وحثّوا عزائمكم إلى الجِدَّة وأدّجوا ، والتفتوا عن الحرص على المال وعرجوا ، وآثروا الفقير بما تؤثرون .

وَنَحْكُم ! السيرُ حديث ، ولا مُنجد لكم ولا مُغيث ، فبادروا بالصدقة المواريث ،  
« ولا تيمّموا الخبيث منه تُنفقون » كم قطعت الأمالُ بقاءً<sup>(١)</sup> . كم مُصيف ما أربّع ولا شتّى ، كم عازم على إخراج المال ما تأتى ، سبقتهُ المنون « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ياحريصا ما يستقر ، ياطالبا للدنيا ما يقرّ ، إن كنت بُصدّق بالثواب فتصدّق في السر بالمحبوب المصون « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » .

يا بخيلاً بالفتيل<sup>(٢)</sup> شحيحاً بالفقير ، يا صريماً بالهوى إلى متى عَمير ، تختار لنفسك الأجودَ ولربّك الحقير ، ما لا يصلح لك من الشيء تُعطيه الفقير ، فما تختار لنا كذا يكون .  
اكسائبك على أغراضك أنفقت ، أمرجت نفسك في الشهوات وأطلقت ، ونسيت الحسابَ غداً وما أشفقت ، فإذا رحمت الفقير ونصّدت أعطيت الردى الدّون .  
أما المسكينُ أخوك من الوالدين فكيف كففت عن إعطائه اليدين ، كيف نحتّ على النفل والزكاة عليك دين ، وأنتم فيها تتأولون .

يا وحيداً عن قليل في رَمسه ، يا مستوحشاً في قبره بعد طول أنسه ، لو قدّم خيراً فقهه في حبسه . « ومن يوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون » .

تجمع الدينار على الدينار لغيرك ، وينسأك من أخذ كلَّ خيرك ، ولا تزوّدت منه شيئاً لسيرك ، هذا هو الجنون « لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا مما تحبون » .

(١) البت : القطع اسكل أمر لارجعة فيه . (٢) ١ : بالقليل .



## المجلس الخامس

### في ذكر الصيام

الحمد لله خالق الدُّجَى والصباح ومسبب الهدى والصلاح، ومقدّر النُوم والأفراح،  
الجائد بالفضل الزائد والسَّامح، مالك الملك المنجى من الهلك ومسير الفلك والفلك  
مسير الجنّاح<sup>(١)</sup>، عزّ فارتفع، وفرّق وجمع، ووصل وقطع، وحرّم وأباح، ملك  
وقدر، وطوى ونشر، وخلق البشر وفطر الأشباح، رفع السماء وأنزل الماء وعلم آدم  
الأسماء وذريّ الرياح، أعطى ومنح، وأنعم ومدح وعفا عن اجتراح وداوى الجراح،  
علم ما كان ويكون، وخلق الحركة والسكون، وإليه الرجوع والركون في القدر  
والرّواح، يتصرّف في الطول والعرض، وينصب ميزان العدل يوم العرض  
« الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح<sup>(٢)</sup> » .

أحمده وأستعينه، وأتوكل عليه وأسأله التوفيق لعملٍ يقرب إليّ، وأشهد  
بوحدايته عن أدلة صِحّاح، وأن محمداً عبده المقدم ورسوله المعظم، وحبّيه المكرّم،  
تقدّيه الأرواح، صلى الله عليه وعلى أبي بكر رفيقه في الفار، وعلى عمر فتّاح الأمصار،  
وعلى عثمان شهيد الدار وعلى عليّ الذي يفتك<sup>(٣)</sup> رُعبه قبل لبس السلاح وعلى العباس  
العباس عمه صنو أبيه أقرب من في نسبه يليه .

\*\*\*

اعلموا أن الصوم من أشرف العبادات وله فضيلة ينفرد بها عن جميع التعبدات وهي  
إضافته إلى الله عز وجل بقوله عز وجل : « الصوم لى وأنا أجزي به » .

(١) كذا بالأصول . وفي النسخ انبصرة : ومسير الرياح .

(٢) سورة النور ٣٥ .

(٣) ١ : يقتل .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلُّ عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله ، يقول الله عز وجل : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي بدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، وللاصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، وآخولف فيه <sup>(١)</sup> أطيبُ عند الله من ربح المسك ، الصومُ جنةٌ .

قال أحمد : وحدثنا أحمد بن عبد الملك ، عن سهل بن سعد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن للجنة باباً يقال له الريان يقال يوم القيامة : أين الصائمون؟ هلموا إلى باب الريان . فإذا دخل آخروهم أغلق ذلك الباب . وفي لفظ : فلم يدخل منه أحدٌ غيرهم .

هذان الحديثان في الصحيحين <sup>(٢)</sup> .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن رجاء بن حيوة عن أبي أمامة قال: أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم غزواً فأتيته فقلت : يا رسول الله ادعُ لي بالشهادة . فقال : اللهم سلمهم وغنمهم . قال : ففزوننا فسلمنا وغنمنا . قال : ثم أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم غزواً ثانياً فأتيته فقلت : يا رسول الله ادعُ الله لي بالشهادة . فقال : اللهم سلمهم وغنمهم . قال : ففزوننا فسلمنا وغنمنا ، ثم أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم غزواً ثالثاً فقلت : يا رسول الله قد أتيتك مرتين أسألك أن تدعو الله لي بالشهادة فقلت : اللهم سلمهم وغنمهم ، يا رسول الله فادع الله لي بالشهادة . فقال : اللهم سلمهم وغنمهم . قال : ففزوننا فسلمنا وغنمنا ثم أتيت به ذلك فقلت : يا رسول الله مرني بعمل آخذك عنك ينفعني الله به . قال : « عليك بالصوم لأنه لا مثل له » .

(١) : ١ : فم الصائم .

(٢) صحيح البخاري كتاب الصوم باب ٢ .

وصحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٦٤ ، ١٦٥ .

وكان أبو أمامة وامرأته وخادمه لا يُلْقُونَ إلا صياما ، فإذا رأوا [ عندهم ]<sup>(١)</sup> ناراً أو دخاناً بالنهار في منزلهم عرفوا أن قد اعتراهم ضيفٌ . قال : ثم أتيتُه بعد ذلك فقلت : يا رسول الله إنك قد أمرتني بأمر وأرجو أن يكون الله عز وجل قد نفعتني به ، فمرني بأمر آخر ينفعني الله به ، قال : « اعلم أنك لا تسجد لله سجدةً إلا رفع الله لك بها درجة أو حطَّ أو قال وحطَّ - شك مهدي - عنك بها خطيئة »<sup>(٢)</sup> .

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ بسنده عن أبي بُرْدة عن أبي موسى قال : خرجنا غازين في البحر فيدنا نحن والريحُ لنا طَيِّبَةٌ والشرَّاع لنا مرفوع ، فسمعنا منادياً ينادي : يا أهل السفينة قفوا أخبركم حتى والي<sup>(٣)</sup> بين سبعة أصوات . قال أبو موسى : فممت على صدر السفينة فقلت : من أنت ومن أين أنت ؟ أو ما ترى ما نحن فيه وهل نستطيع وقوفاً ؟ فأجابني الصوت : ألا أخبركم بقضاء قضاء الله عز وجل على نفسه ؟ قال : قلت : بلى أخبرنا . قال : فإن الله سبحانه قضى على نفسه أنه من عطش نفسه لله في يوم حارٍّ كان حقاً على الله أن بُرْويه يوم القيامة . قال : فكان أبو موسى يتوخَّى ذلك اليوم الحار الشديد الحر الذي يكاد ينسلخ فيه الإنسان فيصومه !

\* \* \*

واعلم أن للصوم آداباً منها : كَفُّ النظر واللسان عن الفضول ، والإفطار على الحلال وتمجيله ، وأن يفطر على تمر . قال وهب بن منبّه : إذا صام الإنسان زاع بصره فإذا أفطر على حلاوة عاد بصره .

ويقول إذا أفطر : اللهم لك صُمت وعلى رزقك أفطرت وعليك توكلت . ويستحب السحور وتأخيرهُ .

(١) من ١ .

(٢) أخرجه - لم في كتاب الصلاة حديث رقم ١٦٩ وابن ماجه في كتاب الإقامة باب ٢٠١ وأحمد في مسنده ٥ / ١٦٤ . (٣) ١ : فتاوى سبعة أصوات .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كان أحدكم يوماً صائماً فلا يجهل ولا يبرُفُث فإن امرؤ قاتله أو شتمه فليقل : إني صائم » <sup>(١)</sup> .

وقد لا تَخْلُصُ النيةُ ولا يَحْصُلُ الأجر : أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي بسنده عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : رُبَّ صائمٍ حُظُّه من صيامه الجوعُ والعطش ، ورب قائمٍ حُظُّه من قيامه السهر <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

فأما ما يستحب صيامه فقد كان جماعة من السلف يصومون الحرام . وقد أخرج مسلم في أفرادهِ من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم » <sup>(٣)</sup> . وفي أفرادهِ من حديث أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في صوم يوم عاشوراء : « يكفِّرُ السَّنةَ الماضية » <sup>(٤)</sup> .

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم في شهر من السنة أكثر من صيامه من شعبان كان يصومه كله <sup>(٥)</sup> . وفي أفرادهِ من حديث أبي أبوب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فذلك صيام الدهر » <sup>(٦)</sup> .

---

(١) صحيح البخارى كتاب الصوم باب رقم ٢

وصحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٥٩

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢ / ٣٧٣ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ٢٠٢ ، ٢٠٣

(٤) سبق تخريج هذا الحديث في أول هذا الجزء .

(٥) انظر تخريج هذا الحديث في أول هذا الجزء .

(٦) صحيح مسلم كتاب الصوم حديث رقم ٢٠٣ .

وفي أفراد من حديث أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام يوم عرفة إني أحسب على الله أن يكفر السنّة التي قبله والسنّة التي بعده » <sup>(١)</sup> .

وفي أفراد من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أبواب الجنة تُفتح في يوم الاثنين والخميس » <sup>(٢)</sup> .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن أبي سعيد المقبري قال: حدثني أسامة بن زيد قال : قلت يا رسول الله إنك تصوم لا تكاد تُفطر ، وتُفطر لا تكاد تصوم إلا يومين إن دخلًا في صيامك وإلا صُمتما . قال : أي يومين ؟ قلت : يوم ، الاثنين والخميس . قال : ذاك يومان تُعرض فيهما الأعمال على رب العالمين فأحب أن يُعرض على وأنا صائم » <sup>(٣)</sup> .

ويستحب صيام ثلاثة أيام من كل شهر . ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام » <sup>(٤)</sup> .

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثلث عشر ورابع عشر وخامس عشر » <sup>(٥)</sup> .  
وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحب الصيام إلى الله صيام داود عليه السلام : كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ، وينام

(١) انظر تخرّيج هذا الحديث في أول هذا الجزء .

(٢) صحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ٣٤ .

(٣) أخرجه الترمذی في كتاب الصوم باب رقم ٤٤ والنسائي في كتاب الصيام باب رقم ٧٠ .

(٤) صحيح البخاري كتاب الصوم باب رقم ٦٠ وكتاب التهجد باب رقم ٣٣ . وصحيح مسلم

كتاب المسافرين حديث رقم ٨٥ ، ٨٦ .

(٥) أخرجه الترمذی في كتاب الصوم باب رقم ٥٣ . والنسائي في كتاب الصيام باب رقم ٨٤ .

سُدُّهُ<sup>(١)</sup> » وقد كان جماعة من السلف يَتَنَمَّونَ العمرَ فيَسْرُدُونَ الصومَ ولا يَفْطَرُونَ إلا الأَيَّامَ الحَرَّمَه. وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَسْرُدُ الصومَ، وسرده أبو طلحة أربعين سنة وأبو أمامة . وسرَدَتْهُ عائشة وعُروة وسعيد بن المسيب .

أخبرنا المحدثان: ابن عبد الملك وابن ناصر قالوا: أنبأنا أحمد بن الحسن بن خيرون قال: قرئ على أبي علي بن شاذان: أخبركم أبو بكر الأرموي القاري، حدثنا أحمد بن عبيد، حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا عبد العزيز قال: قال نافع: خرجت مع ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له فوضوا سَفْرَةَ لهم فمرَّ بهم راعٍ فقال له عبدُ الله: هلمَّ يا راعي فأصِبْ من هذه السفرة فقال: إني صائم . فقال له عبد الله: في مثل هذا اليوم الشديد حرّه وأنت بين هذه الشعاب في آثار هذه الغنم وبين هذه الجبال ترى هذه الغنم وأنت صائم؟ فقال الراعي: أبادِرُ أيامي الخالية . فمَجِبَ ابنُ عمر وقال: هل لك أن تبیعنا شاةً من غنمك نجتزرها نُطْعَمُكَ من لحمها ما تُفْطِرُ عليه ونعطيك ثمنها؟ قال: إنها ليست لي إنها لمولاي . قال: فما عسيت أن يقول لك مولاي: إن قلت: أكلها الذئب؟ فمضى الراعي وهو رافع إصبعه إلى السماء وهو يقول: فأين الله؟

قال: فلم يزل ابن عمر يقول: قال الراعي: فأين الله! فما عدا أن قدِمَ المدينة فبعث إلى سيده فاشترى منه الراعي والغنم فأعتق الراعي ووهب له الغنم . وقد كان بعض السلف يبكي عند الموت فقتل: ما يبكيك! قال: أبكى على يوم ما صُفِّتْهُ وَليلَةٍ ما قُتِّمَتْها!

فاغتنموا إخواني زمَنكم، وبادروا بالصحة سقمكم، واحفظوا أمانة التكليف لمن أمِنكم، وكانكم بالجسيم وقد دفنكم، وبالعمل في القبر قد ارتهنكم .

(١) صحيح البخاري كتاب الصوم وكتاب التهجد وصحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٨٩٩،

(الكلام على البسمة)

ألم يَأْنِ تركي ما على ولا ليا وعَزَمِي على ما فيه إصلاح حاليَا  
وقد نال مني الدهر وابيضَ مَفْرِقِي بكرُّ الليالي والليالي كما هيَا  
أصوْتُ بالدنيا وليست نجيبني أحاول أن أبقَى وكيف بقائِيَا  
وما تَبْرَحُ الأيامُ تَحْذِفُ مُدَّتِي بهدِّ حسابٍ لا كعدِّ حِسَابِيَا  
أليس الليالي غاصباتي مُهْجَتِي كما غصبتُ قبلي القرون الخواليَا  
وتُسَكِّنِي لحدًّا لذي حُفْرَةٍ بها بطول إلى أخرى الليالي ثَوَائِيَا  
فيا ليتني من بعد موتي ومَبْنِيَا أكون ترابًا لا على ولا لِيَا

\*\*\*

يا من ذنوبه كثيرة لا تُمدَّ وجهه صحيفته بمخالفته قد اسودَّ ، كم ندعوك إلى الوصال  
وتَأْتِي إلا الصدَّة ، أما الموت قد سمي نخوك وجدَّ ، أما عزم أن يُلْحَقَكَ بِالْأَب والجد .  
أما ترى مُنْعَمًا أَتَرَبَّ الثرى منه الخلد ، كم عابنت متجبرًا كَفَّ الموتُ كَفَّهُ الممتد ،  
فاحذر أن يَأْتِي على المعاصي فإنه إذا أتى أبي الرد<sup>(١)</sup> ، إلى كم ذا الصَّبَا وللراح ، أبقى  
الشيبُ موضعا للمزاح ، لقد أغنى الصَّبَاحُ عن المصباح ، وقام حَرْبُ النون من غير  
سلاح ، اعوجَّبَ القنأةُ بلا قنًا ولا صِفَاح ، فعاد ذو الشيبة بالضعف ثخين الجراح ،  
ونطقت ألسن الفناء بالوعظ الصُّراح ، وأسفا صَمَّتِ السامع والمواعظُ فُصَّاح ، لقد  
صاح لسان التحذير يا صاح يا صاح ، وأنى بالفهم لمحمور غير صاح ، لقد أَسْكَرَكَ  
الموى سكرًا شديدًا لا يُزَاح ، وما تفيق حتى يقول الموتُ : لا بَرَّاح .

أَلَا تُبْصِرُ<sup>(٢)</sup> الآجال كيف تَحْرَمْتُ<sup>(٣)</sup> وكل امرئٍ للهلاك واللوتِ صائرُ  
وأنت بكأس القوم لا بد شارِبُ فهل أنت فيما يُصلح النفس ناظرُ

\*\*\*

(١) في تلخيص البصرة : أبي إلا الرد . (٢) ت : أما تبصر . (٣) ١ : تصومت .

لقد وعظ الزمن بالآفات والمحن ، ولقد حدث بالطعن كل من قد ظعن ، ولقد  
أنذر المطلق في أغراضه <sup>(١)</sup> المرتهن ، تالله لو صفت الفطن أبصرت ما بطن .  
إخواني : أمر الموت قد علمن ، كم طحطح الردى وكم طحن ، يا بائعاً لليقين  
مشترياً للظنن ، يا مؤثراً للردائل في اختيار الفتن ، إن الشرور والشرور في قرن ،  
أنت في المعاصي مُطلق الرسن وفي الطاعة كذى وسن <sup>(٢)</sup> ، يا رضيع الدنيا وقد آن  
فطامه ، يا طالب الهوى وقد حان حمامه .

قال وهب بن منبه : إن لله منادياً ينادى كل ليلة : أبناء الحمين : هلموا للحساب ،  
أبناء السنين ماذا قدمتم وماذا أخرتم ؟ أبناء السبعين عدوا أنفسكم في الموتى :  
كبرت وقارت نصف المائة وبدلت يا شيخ بالتسمية  
وقد نشر الشيب في عسكر ال شباب على رأسك الأولوية  
تحول إلى توبة لا تحوّر عساها تكون هي المنجية  
ولا تطلق اللحظ في ريبة ولا تسألن فتنة ماهية  
وهل غيرها قد تذوقته فكلم تفتد الإنم والمعصية

\* \* \*

إلى كم ياذا المشيب ، أما الأمر <sup>(٣)</sup> منك قريب ، كم تعب في وعظك خطيب ،  
كم عاجلك طبيب . إنه لمرض عجيب ، إنه لداء غريب عظم واهن وقلب صليب ،  
يا هذا لا شيء أقل من الدنيا ولا أعز من نفسك ، وها أنت تنفق <sup>(٤)</sup> أنفاس النفس  
النفيسة على تحصيل الدنيا الخسيسة ، متى يقنعك الكفاف ، متى يردك العفاف متى

(١) في تلخيص التبصرة : في إعراضه .

(٢) ١ : وفي الطاعة ما تقدم على الحسن .

(٣) التلخيص : أما الموت .

(٤) في التلخيص : وبمك أنتفق . وفي ١ : تنفق أنفاقاً قبيحة .



يقوّمك الشّفاف ، إنك لتأبى إلا الخلاف ، مقاليدك نِقَال ورَكَاتك خِفَاف ، يا قبيح  
الخصال يا سيّئ الأوصاف ، يا مُشْتَرِباً بسني الخِصْب السنين العجاف ، قف متدبراً  
لحالك فالؤمن وقّاف ، وتذكر وعيد العصاة ويحك أما تخاف :

مامن الحزَم أن تقارب أمراً نطلب البُعْدَ عنه بعد قليل  
وإذا ما هَمَّمت بالشئ فانظر كيف منه الخروجُ قبل الدخولِ  
لا مَقَرّاً من المقادير لكن للمعاذير عند أهل العقولِ  
ويحك إن الدنيا فتنة ، وكم فيها من محنة ، غير أنها لا تَحْفَى على أهل الفطنة ،  
لا بَمَزٍ ذليلها ولا يُوَدَى قَتيلها ، من سَكَنها خرج ، وساكنها منزِعج :  
إنما الدنيا بلاءٌ ليس في الدنيا ثُبُوتُ  
إنما الدنيا كِبَيْتٌ نَجَتْهُ العنكبوتُ  
كلُّ من فيها لَعمرى عن قريب سيموتُ  
إنما يكفيك منها أيها الراغبُ قُوْتُ

يا هذا انتقم من حِرْصك بالقناعة ، فن مات حرصه عاشت مروءته . خَلْ فضول  
الدنيا وقد سلمت ، إن لم تقبل نصحي ندمت ، البُلْغَةُ منها ما يَقُوتُ<sup>(١)</sup> والزاهد فيها  
ما يموت ، فأعرض عنها جانِباً ، وكن لأهلها مُجَانِباً وإذا أقامتك : هَجِرِ الجماعة فلذَّ  
بالصبر في ظل القناعة .

الكلام على قوله تعالى: «ولقد خلقنا الإنسانَ ونَعْلَم ما توسوس به نفسه»<sup>(١)</sup>

الإنسان : ابنُ آدم ، وما توسوس به نفسه : ما تحدّثه به ويُكنّهُ في قلبه . وهذا بحث على تطهير القلب من مُساكنة الوسوس الرديئة تعظيماً لمن يعلم .

قال بعض السلف : إذا نطقتَ فاذاكر من يسمع ، وإذا نظرتَ فاذاكر من يرى ، وإذا عزمتَ فاذاكر من يعلم .

قوله تعالى : « ونحن أقربُ إليه من حَبَل الوريد » الوريد : عِرْق في باطن العنق وهما وريدان بين الحلقوم والعلياوين ، والعلياوان : القصبتان الصفراوان في متن العنق وحبل الوريد هو الوريد ، فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظي اسمه<sup>(٢)</sup> .

سجع على قوله تعالى : « ونحن أقربُ إليه من حبل الوريد »

يا مُطْلِمًا نَفْسَه فيما يشبهى ويريد ، اذكر عند خطواتك المبدى المعيد ، وخَفْ قُبْح ما جرى فالملك يرى والملك شهيد « ونحن أقربُ إليه من حبل الوريد » .

هَلَّا استَحْيَيْتَ مَنْ يراك إِذ رَكِبْتَ من هَوَاك ما نهَاكَ ، سَتَبِكِي والله عَيْنَاكَ مَمَاجَتَ يَدَاكَ ، أَمَا تعلم أَنه بالرصاد فقل لى أين تحيد « ونحن أقربُ إليه من حبل الوريد » .

لو صدق عِلْمُكَ به لراقبته ، ولو خِفْتَ وعيدَه فى الحرام ما قارَبته ، ولو علمت سُمُوم الجِزَاء فى كأس الهوى ما شربته ، لقد أضغنا الحديث عند سَكْرَانِ بِمِيد ، « ونحن أقربُ إليه عن حبل الوريد » .

\* \* \*

قال بعض السلف : مررت برجل منفرد فقلت له : أنت وحدك ؟ فقال : معى ربى ومَلَكَاى . فقلت : أين الطريق ؟ فأشار نحو السماء ثم مضى وهو يقول : أ كثر خَلْئِكَ شاغلٌ عنكَ .

راود رجل امرأة فقالت: ألا تستحي؟ فقال: ما يرانا إلا الكواكب . فقالت :  
وأين مَكُونُكِها !

كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكَ يَرَعَى خَوَاطِرِي      وَآخِرَ بَرَعِي نَظَرِي وَلِسَانِي  
فَمَا نَظَرْتُ عَيْنَايَ بِمَدِّكَ نَظْرَةً      لِفَيْرِكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي  
وَلَا بَدَرْتُ مِنْ فِيْ بِمَدِّكَ لَفْظَةً      لِفَيْرِكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ سَمِعَانِي  
وَلَا خَطَرْتُ فِي غَيْرِ ذِكْرِكَ خَطْرَةً      عَلَى الْقَلْبِ إِلَّا عَرَّجْتُ بَعِثَانِي

\* \* \*

قوله تعالى : « إِذْ يَتَلَفَتِي الْمَلَائِكَةُ وَهِيَ الْمَكِينَةُ » وتلقين القول ويكتبانه ، عن  
اليمن كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات « قعيد » أى قاعد . وللمنى : عن  
اليمن قعيد وعن الشمال قعيد .

وروى أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كاتبُ الحسنات على  
يمين الرجل وكاتب السيئات على شماله ، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات ،  
فإذا عمل حسنة كتبتها له صاحب اليمين عشرًا ، وإذا عمل سيئة قال لصاحب الشمال :  
أَمْسِكْ . فيمسك عنه سبع ساعات ، فإن استغفر منها لم يكتب عليه شيء ، وإن لم يستغفر  
كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ » (١)

وفي حديث على رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَقْعَدُ مَلِكِكَ  
عَلَى ثَنِيَّتِكَ ، فَلَسَانُكَ قَلَمُهَا وَرِيقُكَ مِدَادُهَا » (٢) .

\* \* \*

(١) لم أجده في شيء من الكتب للضمدة .

(٢) لم أجده في شيء من الكتب .

سجع على قوله تعالى : « عن اليمين وعن الشمال قعيد »

ما ظنك بمن يحصى جميع كلماتك، ويضبط كل حركاتك، ويشهد عليك بحسناتك  
ترفع الصفائف وهى سود وعمل المنافق مردود، يحضره الملكان لدى المعبود، يا شرَّ  
العبيد « عن اليمين وعن الشمال قعيد » .

يضبطان على العبد ما يجرى من حركاته، وما يكون من نظراته وكلماته، واختلاف  
أموره وحالاته، لا ينقص ولا يزيد « عن اليمين وعن الشمال قعيد » .  
قال سفيان الثوري يوما لأصحابه : أخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث إلى  
السلطان أكنتم تتكلمون بشيء ؟ قالوا : لا . قال : فإن معكم من يرفع الحديث إلى  
الله عز وجل .

\* \* \*

قوله تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » أى : ما يتكلم من كلام  
فيلاحظه أى يرميه من فيه إلا لديه رقيب عتيد، أى حافظ وهو الملك الموكل به، وانعتيد  
الحاضر معه أينما كان .

السجع على قوله تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .

يا كثير الكلام حسابك شديد ، يا عظيم الإجمام عذابك جديد ، يا مؤثرا  
ما بضرة ما رأيك شديد ، يا ناطقا بما لا يجدي ولا يفيد « ما يلفظ من قول إلا لديه  
رقيب عتيد » .

كلامك مكتوب وقولك محسوب ، وأنت يا هذا مطلوب، ولك ذنوب وماتوب،  
وشمس الحياة قد أخذت فى الغروب ، فما أقسى قلبك من بين القلوب ، وقد أتاه  
ما يصدع الحديد « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .

أنظن أنك متروك مهمل ، أم تحسب أنه ينسى ما تعمل ، أو تعتقد أن الكاتب يفضل<sup>(١)</sup> ، هذا صائح النصائح قد أقبل ، يا قاتلا نفسه بكفنه لا تفعل ، يا من أجله ينقص وأمله يزيد ، « ما بلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .

\* \* \*

أنا من خَوْفِ الوعيدِ في قيامٍ وقعودٍ  
كيف لا أزداد خَوْفاً وعلى النار ورودى  
كيف جَعَدَى ما تجرّم ت وأعضائى شهودى  
كيف إنكارى ذنوبى أم تُرى كيف جُعودى  
وعلى القولُ يُحصى برقيبٍ وعتيدٍ

\* \* \*

قوله تعالى : « وجاءت سكرة الموت بالحق » وهى غمرته وشدته التى تَفْشَى الإنسان وتقلب على عقله . وفى قوله : « بالحق » . قولان ذكرهما الفراء : أحدهما : بحقيقة الموت . والثانى : بالحق من أمر الآخرة .

قوله تعالى : « ذلك » أى ذلك الموت . « ما كنت منه نجيد » . أى هرب وتفرّ .

قوله تعالى : « ونفخ فى الصور » . وهى نفخة البعث « ذلك يومُ الوعيد » أى يوم وقوع الوعيد .

قوله تعالى : وجاءت كل نفسٍ معها سائق وشهيد » . وفيه قولان : أحدهما : أنه ملك يسوقها إلى محشرها . قاله أبو هريرة . والثانى : أنه قرينها من الشياطين سعى سائقاً لأنه يقبعها وإن لم يحشرها .

(١) و ١ ، والتلخيص : يشغل .

وفي الشهيد ثلاثة أقوال : أحدها : أنه ملك يشهد عليها بعملها . قاله عثمان بن عفان  
والحسن . وقال مجاهد : الملك سائق وشهيد . وقال ابن السائب السائق : الذي يكتب  
عليه السيئات . والشهيد : هو الذي كان يكتب له الحسنات .  
والثاني : أنه العمل يشهد على الإنسان . قاله أبو هريرة .  
والثالث : الأيدي والأرجل تشهد عليه بعمله . قاله الضحاك .

\*\*\*

إخواني احذروا من المَرَضِ على مالك الطُّول والعَرَضِ ، وأعدُّوا الجواب إذا  
سُئِلْتُمْ عن الفَرَضِ ، أين الحياء من قُبْحِ المضمرات ، أين البكاء على سالف الخطرات ،  
أين الخوف من الجزاء على خطوات الخطيئات .

كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المِرْعَشِي<sup>(١)</sup> : أما بعد : فإني أوصيك بتقوى  
الله سبحانه والعمل بما علمك الله تعالى ، والمراقبة حيث لا يراك إلا الله عز وجل ،  
والاستعداد لما ليس لأحدٍ فيه حيلة ولا يُنتفع بالندم عند نزوله ، فاحسِرْ عن رأسك  
قِنَاعَ الغافلين ، وانقبه من رَقْدَةِ الموتى وشمِّرْ للسَّباق غداً ، فإن الدنيا ميدان المسابقين ،  
ولا تفتَرَّ بمن أظهر النُّسك وتشاغل بالوَصْفِ وترك العمل بالموصوف ، واعلم يا أخي  
أنه لا بُدَّ لي ولك من المقام بين يدي الله تعالى ، يسألنا عن الدقيق الخفي وعن الجليل  
الغافي ، ولست آمنُ أن يسألني وإياك عن وسواس<sup>(٢)</sup> الصدور ولحظات العيون والإصغاء  
للاستماع ، واعلم أنه لا يُجْزَى من العمل القول ولا من البذل العِدَّة ولا من التوقُّ  
التَّلاوم .

\*\*\*

(١) المِرْعَشِي : نسبة إلى بلدة بالشام يقال لها مرعش . انظر من نسب إليها في الباب ٣ / ١٢٥ -

(٢) التلخيص : من وسواس .

يا من معاصيه كثيرة مشهورة ، يا من نفسه بمن يحفى عليها م مرورة ، أفى المين  
 كه أم عشى أم الأمر إليك يجرى كما نشأ ، أعلّى القلب حجاب أم غشا ، أيا من إذا قعد  
 عصى وكذا إذا مشى ، كل فمك غلط ، كل عملك سنط ، أترى هذا العقل اختلط ،  
 أما قوم بهذا الشمط ، أما علم الشيب على حروف الموت ونقط ، لقد عزم الأجل على  
 النهوض ، وطال ما أقام والدنيا قروض<sup>(١)</sup> ، قصر بُننى وجسم منقوض ، شيب  
 وعيب يزحلق الفروض :

إلى متى أنت فى ذنوبِ قلبك<sup>(٢)</sup> من أجلها مريضُ  
 أقرضتَ عمرًا فرّ خلّسا وأنّ أن تطلب القروض  
 فاحذر مجيء الحمام بفتا وأنت فى باطلٍ تنحوضُ

\* \* \*

سجع على قوله تعالى : « لقد كنت فى غفلة من هذا »

كأنك بالمر قد انقضى ، وهجم عليك المرض ، وفات كل مراد وغرض ، وإذا  
 بالتلف قد عرّض أخذا « لقد كنت فى غفلة من هذا » .  
 شخص البصر وسكن الصوّت ، ولم يمكن القدارك للّقوّت ، ونزل بك ملك الموت  
 فسامت الرّوح وحازى « لقد كنت فى غفلة من هذا » .  
 عاجلت أشدّ الشدائد ، فبأعجبا مما تُكابد ، كأنك قد سُتيت سُمّ الأسود ففطّع  
 أفلاذا « لقد كنت فى غفلة من هذا » .  
 بلغت الرّوح إلى التراقى ، ولم تعرف الرّاقى من الساقى ، ولم تدّر عند الرّحيل  
 ما تلاقى ، عياذا بالله عياذا « لقد كنت فى غفلة من هذا » .

(١) : والدنيا فروض . (٢) : أنت من أجلها .

ثم درجوك في الكفن وحلوك إلى بيت العفن ، على العيب القبيح والأفن ، وإذا  
الحبيب من التراب قد حَفَنَ ، وصرت في القبر جُذَاذا « لقد كنت في غفلة من هذا » .  
وتسرَّبت عنك الأقارب تسرى ، تقدُّ في مالك وتَفَرِّي ، وغايةُ أمرهم أن تجرى  
دموعهم رذاذا « لقد كنت في غفلة من هذا » .

قفلوا الأفتال وبضموا البضاعة ، ونسوا ذِكْرَكَ يا حبيبهم بعد ساعة ، وبقيت هناك  
إلى أن تقوم الساعة ، لا تجد وزراً ولا معاذا « لقد كنت في غفلة من هذا » .  
ثم قمت من قبرك فقيرا ، لا تملك من المال <sup>(١)</sup> نَقِيرا ، وأصبحت بالذنوب عَقِيرا ،  
فلو قدَّمت من الخير حقيرا صار ملجأً وملأذا ، « لقد كنت في غفلة من هذا » .  
ونُصِب الصراط والميزان ، وتغيَّرت الوجوه والألوان ، ونودى : شقي فلان بن فلان ،  
وما ترى للمُذَرِّ نفاذا « لقد كنت في غفلة من هذا » .

كم بالغ هذولك في اللام ، وكم قعد في زَجْرِكَ وقام ، فإذا قلبك ما استقام ، قطع  
الكلام على ذا « لقد كنت في غفلة من هذا » .  
وصلى الله على محمد وآله وصحبه .



## المجلس السادس

### في ذكر الحج

الحمد لله الملك القديم، الواحد العزيز العظيم، الشاهد صامع ذكر الذاكر وتحد الحامد وعالم ضمير المرید ونية القاصد، لمظمته خضع الراكع وذل الساجد، وبهدها اهتدى الطالب وأدرك الواجد، رفع السماء فعلاها ولم يحتج إلى مساعد، وألقى في الأرض رواسي راسخات القواعد، نزهه عن شريك مشاقي أو نده معانيد، وعز عن ولد وجل عن والد، وأحاط علما بالأسرار والمقائد، وأبصر حتى ديب النمل في الجلامد، وسطا فسالت لهيبته صعب الجوامد، ويقول في الليل: «هل من سائل» فأنبه ياراقد. بنى بيتا أمر بقصده وتلقى الوافد، وأقسم على وحنانته وما ينكر إلا معانيد والصافات صفًا فالزجرات زجرا فالتاليات ذكرا إن إلهكم لوحد.

أحمد على الرخاء والشدائد، وأقر بتوحيده إقرار عابد، وأصل على رسوله الذي كان لا يخيب السائل القاصد<sup>(١)</sup>، وعلى صاحبه أبي بكر النقي النقي الزاهد، وعلى عمر العادل فلا يراقب الولد ولا الوالد، وعلى عثمان المفتول ظلما بكف الحاسد، وعلى علي البحر الخضم والبطل المجاهد، وعلى عمه العباس أقرب الأقارب والأبعد.

\*\*\*

قال الله تعالى: «وَهْ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ<sup>(٢)</sup>» فرض الله عز وجل حج البيت بهذه الآية.

وقوله: «من استطاع إليه سبيلا». قال النحويون: «من» بدل من الناس، وهذا بدل البض كما تقول: ضربت زيدا رأسه.

(١) في ب والتخمين: وأصل على رسوله بيت القاصد.

(٢) سورة آل عمران ٩٧.

أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد الله النسي بسنده عن محمد بن عباد بن جعفر ، عن عبد الله بن عمر قال : قيل يا رسول الله ما الاستطاعة إلى الحج ؟ قال : « الزاد والراحلة <sup>(١)</sup> » .

واعلم أن الحبيب قد يجيب عن المشكل ويترك الظاهر ثقةً بعلم السامع ، وإلا فقد يكون له زاد وراحلة فإذا خرج إلى الحج لم يكن له ما يترك لعياله أو لم يكن له ما يدبره في معاشه .

واعلم أن وجوب الحج موقوف على وجود البلوغ والعقل والحرية والإسلام والزاد والراحلة . وبشرط في وجود الراحلة أن تكون صالحة لثقله ورَحْلها وآلتها ، لأنه قد يكون كبير السن فلا يمكنه الركوب على القتب <sup>(٢)</sup> ، وأن يكون وجود الزاد والراحلة قاضلاً عما يحتاج إليه من مسكن وخادم إن احتاج إليه ، ونفقة لعياله إلى أن يموت وقضاء دين إن كان عليه ، وأن يكون له إذا رجع ما يقوم بكفايته من عَقَار أو بضاعة أو صناعة ثم ينبغي أن ينظر في أَمْن الطريق وسعة الوقت . إلى غير ذلك .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قَدَّر على الحج ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً <sup>(٣)</sup> » .

وقال ابن مسعود في قوله تعالى : « لَأَقْصِدَنَّ لَهُمْ سِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ <sup>(٤)</sup> » قال : طريق مكة بمنهم من الحج .

وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب بناء البيت وفضائله وفضل الحجر الأسود <sup>(٥)</sup> .

---

(١) أخرجه نحوه الترمذى في سننه كتاب التفسير تفسير سورة آل عمران وابن ماجه في كتاب للناسك باب رقم ٦

(٢) القتب : الإكاف الصغير على قدر سنام البعير .

(٣) أخرجه أحمد والترمذى . (٤) سورة الأعراف ١٦ .

(٥) سبق ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ١١٩ وما بعدها .

وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الركن اليماني :  
« وكَّلَ اللهُ عز وجل به سبعين ألف ملك ، فمن قال : أسألك المغفرة والمافية ربنا آتانا  
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا : آمين <sup>(١)</sup> » .

وعن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من طاف بالبيت  
سَبْعًا وصلى خلف المقام ركعتين فهو عدلٌ مُحَرَّرٌ <sup>(٢)</sup> » .

أخبرنا يحيى بن علي بسنده عن الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل في كل يوم وليقة عشرين ومائة رحمة  
تنزل على هذا البيت : ستون لطاقيين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين <sup>(٣)</sup> » .

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من طاف  
بالبيت لم يرفع قدماً ولم يضع أخرى إلا كتب الله عز وجل له بها حسنة وحطَّ عنه  
بها خطيئة ورفع له بها درجة <sup>(٤)</sup> » .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه <sup>(٥)</sup> » .

وفي حديث بُرَيْدَةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « النفقةُ  
في الحج تُضَاعَفُ كالنفقة في سبيل الله تعالى : الدرهم بسبعائة <sup>(٦)</sup> درهم » .

\*\*\*

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك باب رقم ٣٢ .

(٢) أخرجه النسائي في سننه . كتاب المناسك .

(٣) الحديث ضعيف ، فيه سعيد بن سالم القداح وهو ضعيف . تذكرة الموضوعات للحافظ المقدسي ص ٣٣

(٤) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الحج .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الحج .

(٦) أخرجه أحمد في مسنده ٥ / ٣٥٥ .

فأما حج الماشي : فأخبرنا أبو منصور وعبد الرحمن بن محمد ، بسندهما عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن زاذان قال : مرض ابن عباس مرضاً شديداً فدعا ولده فجمعهم فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حجَّ من مكة ماشياً حتى يرجع إلى مكة كتب الله له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم . فقيل له : وما حسنات الحرم ؟ قال : بكل حسنة مائة ألف حسنة » <sup>(١)</sup> .

وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الملائكة اتصافح رُكبان الحج وتعتنق المشاة » <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

وأما فضيلة الحج : فأخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، والعمرتان - أو العُمرَة - إلى العُمرَة تكفّر ما بينهما » <sup>(٣)</sup> .

أخبرنا محمد بن محمد الورّاق بسنده عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حجَّ هذا البيت فلم يَرَفْث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه » <sup>(٤)</sup> .

الحدثان في الصحيحين .

وروى عن عليّ كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أراد دنيا وآخرَةً فليؤم هذا البيت ، ما أتاه عبدٌ يسأل الله تعالى دنيا إلا أعطاه منها ولا آخرَةً » <sup>(٥)</sup> إلا ادّخر له منها .

\*\*\*

(١) لم أجده في شيء من الكتب المتنبذة .

(٢) صحيح البخاري كتاب الحج حديث باب رقم ٤ ، ٣٤ . وصحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٢٠٤

(٣) صحيح البخاري كتاب الحج باب رقم ٤ . وصحيح مسلم كتاب الحج رقم ٤٣٨ .

(٤) ١ : ولا سأل الآخرة .

وينبغي لمن أراد الحج أن يفهم معنى الحج ، فإنه يشار به إلى التجرد لله عز وجل ومفارقة المحبوبات .

وليتذكر بأهوال الطريق الأهوال بعد الموت وفي القيامة ، وبالإحرام الكفن ، وبالتلبية إجابة الداعي ، وليحضر قلبه لتعظيم البيت ، وليتذكر بالاتجاه إليه التجاء المذنب ، وبالطواف الطواف حول دار السيد ليرضى ، وبالسعى بين الصفا والمروة التردد إلى فناء الدار ، وبرمى الحجار رمى العدو .

\* \* \*

وكما أن للأبدان حجاً فللقلوب حج ؛ فإنها تنهض بأقدام العزائم وتمتطي غوارب الشوق ، وتفارق كل محبوب للنفس ، وتصير في الطريق شدة الجهد ، وترد مناهل الوفاء لا غدران القدر ، فإذا وصلت إلى ميقات الوصل نزع مخطط الآمال الدنيوية ، واغتسلت من عين العين ، ونزلت بمرقات العرفان ، ولبت إذ لبت من لباب اللب ، ثم طافت حول الإجلال ، وسعت بين صفاء الصفا ومروة المروءة ، فرمت بحجار الهوى بأحجار ، فوصلت إلى قرب الحبيب فلو ترنمت بشرح حالها ل قالت :

لا والذي قصد الحبيب لبينته	من بين ناء طارق وقريب
والحجر والحجر المقبل تلقى	فيه الشفاء وركنه المحبوب
لا كان موضعك الذي ملكته	من قلب عبدك بعد ذا الحبيب
لى أنه الشاكي إذا بعد المدى	ما بيننا وتنفس الكروب

ولما عبر الخليل هذه الحالة قيل له : قد بقي عيك ذنب يجانس هذا الحج ليس له إلا الولد وما المراد إراقة دمه بل فراغ قلبك عنه ، يا خليلي من السنون استسماح الإبل وألا يكون في المذبح عيب ، فاختر ذنبك هل فيه عيب أو هو سليم مسلم ؟ فقال له : « إني أرى في المنام أني أذبحك » فأجابه : « افعل ما تؤمر » . فملم حصول الكمال وعدم الميوب ثم قال له : استحد مذبتك وأسرع مر السكين على حلق

وَإِذَا عُدْتُ إِلَى أُمِّي فِسَلَمَ عَلَيْهَا عَنِّي . هَذَا قَوْلُ مَنْ لَمْ يَلَمْ بِقَلْبِهِ خَوْفَ أَلَمٍ !  
مِخْنَتِي فِيكَ أُنْتِي لَا أَبَالِي بِمِخْنَتِي  
يَا شِفَاؤِي مِنَ السَّعَاةِ م وَإِنْ كُنْتُ عِلَّتِي

\* \* \*

وَإِذَا وَصَلَ الْحَاجُّ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُشْرِفَةِ فَيَجْمَلُ عَلَى فِكْرِهِ<sup>(١)</sup> تَعْظِيمَ مَنْ يَقْصِدُهُ ،  
وَلِيَتَخَايَلُ فِي مَسَاجِدِهَا وَطُرُقَاتِهَا نَقْلَ أَقْدَامِ الْمُصْطَفَى هُنَاكَ وَأَصْحَابِهِ ، وَلِيَتَأَدَّبَ  
فِي الْوُقُوفِ وَلِيَسْتَشْفَعَ بِالْحَبِيبِ وَلِيَأْسَفَ إِذْ لَمْ يَحْظَ بِرُؤْيَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي صَعَابَتِهِ .  
وَمَا رُمْتُ مِنْ بَمَدِ الْأَحِبَّةِ سَلَوَةً وَلَكِنِّي لِلنَّائِبَاتِ حَمُولُ  
وَمَا شَرَقِي بِالْمَاءِ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَاءِ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نَزُولُ  
وَيَنْبَغِي لِمَنْ عَادَ مِنَ الْحَجِّ أَنْ يَقْوَى رَجَاؤُهُ لِلْقَبُولِ وَنَحْوُ مَا سَلَفَ ، وَلِيَحْذَرُ مِنْ  
تَجْدِيدِ زَلَلٍ<sup>(٢)</sup> .

وَقَدْ سَأَلَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ : مَا الْحَجُّ الْمَبْرُورُ ؟ فَقَالَ : أَنْ تَعُودَ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا رَاغِبًا  
فِي الْآخِرَةِ .

أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ الْقُرَازِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ بَعْضَ  
مَشَايِخِنَا يَقُولُ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْوَفَّقِ : لَمَّا نَمَّ لِي سِتُونَ حِجَّةً خَرَجْتُ مِنَ الطَّوَافِ وَجَلَسْتُ  
بِحِذَاءِ الْمِيزَابِ وَجَمَلْتُ أَفْكَرَ لَا أَدْرِي أَىِّ شَيْءٍ حَالِي عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ كَثُرَ  
تَوَدُّدِي إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ؟ فَظَلَمْتُ عَيْنِي فَكُنَّا قَائِلًا يَقُولُ لِي : يَا عَلِيُّ أَتَدْعُو إِلَى بَيْتِكَ  
إِلَّا مِنْ تَحْبِهِ ؟ قَالَ : فَانْقَبِثْ وَقَدْ سَرَى عَنِّي مَا كُنْتُ فِيهِ .

---

(١) : عَلَى قَلْبِهِ .

(٢) فِي التَّلْغِيمِ : مَنْ تَجْدِيدِ مَا زَالَ .

### (الكلام على البسملة)

غفلتُ وليس الموتُ في غفلةٍ عني      وما أحدٌ يحبني علىَّ كما أُحِبُّ  
أشيدُ بُنياني وأعلمُ أنني      أزولُ، لمن شيدته ولمن أُبني  
كفاني بالموتِ المنفصِّ واعظاً      ما أبصرتُ عيني وما سمعتُ أذني  
وكم للمنايا من فنون كثيرةٍ      تَميتُ وقد وطئتُ نفسي على فنٍّ  
ولو طرقتُ ما استأذنتُ من يحبني      كما أفقدتني من أحبِّ بلا إذنٍ  
وقد كنتُ أفدي ناظره من القدي      ففطيتُ ما قد كنتُ أفديه بالعينِ  
ستسجنني ياربُّ في القبرِ برهةً      فلا تجعلِ النيرانَ من بعده سجنِي  
ولي عند ربِّي سيئات كثيرة      ولكنني عبدٌ به حسن الظنِّ

\*\*\*

من للعاصي إذا دُعي فحضر ، ونشر كتابه ونظر ، لم يُسمع عذره وقد اعتذر ،  
وناقشه المولى فما غفر ، آه لراحلٍ لم يتزود للسفر ، ولخاسر إذا ربح التفتون افتقر ،  
ولمحروم جنة الفردوس حلٌّ في سقر ، ولفاجر فضحه فجوره فاشهر ، ولتسكبر بالذل بين  
الكل قد ظهر ، وإلى محمول إلى جهنم فلا ملجأ له ولا وزر ، آه من يوم تكوّر فيه  
الشمس والقمر ، يا كثير الرباء قل إلى متى تُخلصُ ، يا ناسي الأنكال إن كالَ  
فمتلصص ، ما بتخلص من معازل ولا هو عند الله مُخلص ، الدهر حريمٌ على فتلك  
يا من يحرس ، تفكر فيمن أصبح مسروراً فأمسى وهو متنفص ، ومتى أردت لذة  
فاذكر قبلها المنفص ، وتعلم أن الهوى ظلٌ والظل متلصص ، وخذ على نفسك لاتسامها  
ولا ترخص ، حائط الباطل خرابٌ فإلى كم تُحصص ، أين الهمُّ المجتمع تفرق فما ينفع ،  
بدعوك الهوى فتنبع ، وتحدّثك المني فتستمع ، كم زجرك ناصحٌ فلم قطع ، سار الصالحون  
يا منقطع ، ما الذي عاقلك لهوٌ مُختدع ، شرّوا ما يبقى بما يفنى وأنت لم نشر

ولم تَبِيعْ ، أين تمبهم ؟ نُسَخَ بِالرُّوحِ ولم يُضْعَ ، تَلَخَّ العَوَاقِبَ فَلَمَلَتْهُمَا الْعَقْلَ وَضِعَ ،  
كأنه ما جاع قط من شبع .

جُزْ عَلَى الشُّونِيزَةِ<sup>(١)</sup> أَوْ عَلَى قَبْرِ أَحْمَدَ ، وَمِيزَ مِنْ أَطَاعَ مِنْ أَضَاعَ فَمَنْ أَحَدَ ؟  
قُبُورُ الصَّالِحِينَ تُونِسُ الزَّائِرِ ، وَقُبُورُ الظَّالِمَةِ عَلَيْهَا ظِلَامٌ مُتَوَافِرٌ ، جُذْ عَلَى قُبُورِ الْعُبَادِ  
وَنَادِ فِي ذَلِكَ النَّادِ : أَيُّهَا الْأَوْدِيَّةُ وَالْوَهَادَ ، مَا فَعَلْتَ تِلْكَ الْأَوْرَادَ :

تَعَاهَدْتَكَ الْمِهَادَ	يَا طَلَلُ	خَبِّرْ عَنِ الظَّاعِنِينَ مَا فَعَلُوا
فَقَالَ لَمْ أَذَرْ غَيْرَ أَنَّهُمْ		صَاحِ غَرَابُ الْبَيْنِ فَاحْتَمَلُوا
لَا طَابَ لَيْلِي وَلَا النَّهَارُ لِمَنْ		بَسَكْنِي أَوْ يَرُدُّهُمْ قَفْلٌ <sup>(٢)</sup>
وَلَا تَحْلِيْتُ بِالرِّيَاضِ وَبِالنَّوْ		ر وَمَمْنَايَ مِنْهُمْ عَطُلُ
خَلٌّ هَذَا فَمَا عَلَيْكَ لَهُمْ		قُلْتُ أَبِينُ وَأُدْمَعُ هُطُلُ
وَأَنْتَى مُقْفَلُ الضَّمَارِ عَنْ		حُبِّ سِوَاهُمْ مَا حَنَّتْ الْإِبِلُ
فَقَالَ هَلَا اتَّبَعْتَهُمْ أَبَدَا		إِنْ نَزَلُوا مَنَزَلًا وَإِنْ رَحَلُوا

\* \* \*

سَبْحَانَ مَنْ قَسَمَ الْأَقْسَامَ ، فَلَقُومٍ بِقِظَةٍ وَلَقُومٍ مَنَامَ .

قَالَ وَهَبُ بْنُ مَنْبَهٍ : كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلَانِ بَلَغَتْ بِهِمَا عِبَادَتُهُمَا أَنْ  
مَشَى عَلَى الْمَاءِ ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ فِي الْبَحْرِ إِذَا هُمَا بِرَجُلٍ يَمْشِي فِي الْهَوَاءِ فَقَالَا لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ  
بَأَى شَيْءٍ أَدْرَكَتْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ؟ فَقَالَ : يَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا : فَطُمْتُ نَفْسِي عَنِ الشَّهَوَاتِ  
وَكَفَفْتُ لِسَانِي عَمَّا لَا يَعْنِينِي ، وَرَغِبْتُ فِيمَا دَعَانِي ، وَلَزِمْتُ الصَّمْتَ . فَإِنْ أَقْسَمْتَ  
عَلَى اللَّهِ أَبْرَ قَسَمِي ، وَإِنْ سَأَلْتَهُ أَعْطَانِي .

(١) الشُّونِيزِيَّةُ : مَوْضِعٌ يَفِئْدَادُ بِهِ مَقَرَّةٌ مَشْهُورَةٌ بِهَا مَشَايِخُ الزَّهَادِ : سَرِيُّ الدَّقَطِيُّ وَجَنِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ  
وغيرهما .

(٢) الْفَقْلُ : اسْمُ الْجَمْعِ لِقَافِلٍ يَعْنِي وَاجِعٌ .



يا بعيدا عن الصالحين ، يامطردا عن الفلحين ، لقد نصَّب الشيطانُ الأشرارَ وجعل  
حَبَّ الفخِّ هواءَ ، وكم رأيتُ مأسوراً وسط ذاك ، وليس المراد الآن إلاك ، احذر  
فَخَّه فهو بعيد الفَكَّاك ، كم يومٍ غابت شمسُه وقلبك غائبٌ ، وكم ظلام أُسبل ستره  
وأنت في عجائب ، كم ليلةٍ بالخطايا قطعمتها ، وكم من أعمالٍ قبيحة رفعتها ، وكم من  
ذنوب جمعتها والصحف أودعتها ، كم نظرةٍ ما تحلُّ ما خِفت ولا منعته ، كم من  
موعظةٍ تعبها وكأنك ما سمعتها ، وكم من ذنوبٍ تعيب غيرك بها أنت صنعتها ، وكم  
أمرتكَ النفس بما يؤذِي فأطعته ، يا موافقاً لنفسه آذيتها ، خالفها وقد نفعتها :

طوى نفسه عنك <sup>(١)</sup> الشبابُ المزايلُ	وأسلت للشَّيبَ الذي لا يزائلُ
نسير إلى الآجال في كل ساعةٍ	وأيامنا تُطوى وهُنَّ مَراحِلُ
ولم أرَ مثلَ الموت حقاً كأنه	إذا ما تخطَّته الأمانى باطلُ
وما أقبح التفريط في زمن الصِّبا	فكيف به والشَّيب في الرأس شاملُ <sup>(٢)</sup>
ترحلُ عن الدنيا بزادٍ من الثَّقَى	فعمرك أيامٌ وهن قلائِلُ

الكلام على قوله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ »<sup>(٣)</sup>

كان مطرّف بن عبد الله يقول : هذه آية القُرَّاء .

ومعنى يتلون يقرءون .

وفي أفراد البخارى من حديث عمار رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه  
قال : « خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه<sup>(٤)</sup> » .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن عبد الرحمن بن زيد العقيلي عن أبيه عن أنس ،

(٢) التلخيص : شامل .

(١) التلخيص : عنى .

(٤) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن باب ٢١ .

(٣) سورة فاطر ٢٩ .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل أهلّ من الناس . فقيل : مَنْ أهلّ الله منهم ؟ قال : أهلّ القرآن هم أهلّ الله وخاصته <sup>(١)</sup> » .

أخبرنا علي بن عبيد الله وأحمد بن الحسن وعبد الرحمن بن محمد بإسنادهم ، عن عُبَيْة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يَمُذَّبُ الله قَلْبًا وَعَى القرآن <sup>(٢)</sup> » .

أخبرنا الكُرُوحى بسنده عن محمد بن كعب القرشى قال : سمعت عبد الله بن مسمود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنةٌ والحسنة بمِثْر أمثالها ، لا أقول الـم حرف ، ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف » .

أخبرنا ابن الحصين بسنده عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقال لصاحب القرآن يوم القيامة : اقرأ وارزق ورتل في الدنيا فإن منزلَك عند آخر آية تقرأها <sup>(٣)</sup> » .

\*\*\*

واعلم أن لتلاوة القرآن آداباً : منها : أن يقرأ وهو على وضوء متأدباً مُطَرِّقاً مرتلاً بتحزين وبكاء مُسِراً معظماً للكلام والمتكلم به مُخَضِّراً لقلبه ، متدبراً لما يتلوه .

وقد كان في السلف من يَخْتِمُ في كل يوم وليلة . وقد كان عثمان رضى الله عنه يَخْتِمُ في الوتر . ومنهم من كان يَخْتِمُ خَتْمَتَيْنِ .

وقد كان الشافعى رضى الله عنه يَخْتِمُ في رمضان ستين ختمة ومنهم من يَخْتِمُ ثلاث ختَمات <sup>(٤)</sup> ، وهؤلاء الذين غلب عليهم انتهاب العمر ، ومنهم من كان يَخْتِمُ في كل

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣ / ١٢٨ ، ٢٤٢ .

(٢) أخرجه الدارمى في سننه كتاب فضائل القرآن .

(٣) أخرجه الترمذى في كتاب نواب القرآن ، وأحمد في مسنده ٣ / ٤٠ .

(٤) ب : ومنهم من ختمة ثلاث مرات .

أسبوع اشتغالا بنشر العلم ، ومنهم من كان يجتم كل شهر لإقبالا على التدبر .  
وقد روى أبو ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام ليلة بآية  
يرددها : « إِنْ نَعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ <sup>(١)</sup> » .

وقام تميم الدارى بآية : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ <sup>(٢)</sup> » . وكذلك قام  
بها الربيع بن خثيم .

وقال أبو سليمان الداراني : إني لأقيم في الآية أربع ليال أو خمس ليال .  
وقد بقي بعض السلف سنتين في ختمة .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : من ختم القرآن فله دعوة : مستجابة .  
وقال عبد الرحمن بن الأسود : من ختم القرآن نهائاً غفر له ذلك اليوم ، ومن  
ختمه ليلاً غفر له تلك الليلة .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد قال : أنبأنا ابن النُّقُور ، أنبأنا ابن حبابه ، حدثنا البغوي  
حدثنا هُدَبة ، حدثنا حماد بن مسعدة عن أبي مسكين عن طلحة بن معمر قال : من  
ختم القرآن في أى ساعة من النهار كانت صلَّت عليه الملائكة حتى يُمسي أو أى ساعة  
من الليل كانت صلَّت عليه الملائكة حتى يُصبح .

وقد روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنْ الرَّجُلَ الَّذِي  
لَيْسَ فِي جَوْفِهِ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ » <sup>(٣)</sup> .

وروى سعد بن عُبَّادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَا مِنْ أَمْرٍ يُقْرَأُ  
الْقُرْآنُ ثُمَّ يَنْسَاهُ إِلَّا لَقِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ أَجْذَمٌ » <sup>(٤)</sup> .

---

(١) سورة المائدة ١١٨ . والحديث ذكره ابن الجوزي أيضا في الوفا ٥٠٤ .

(٢) سورة الجنانية ٢١ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب ثواب القرآن .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الوتر وأحمد في مسنده ٥ / ٢١٢ ، ٢١٣ والدارمي في مسنده

كتاب فضائل القرآن .

وفي حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« اقرءوا القرآن وابتغوا به الله عز وجل من قبل أن يأتى قومٌ يقيمونه مقامَ القِدْحِ  
يتمجّلونه ولا يتأجّلونه » .

قال ابن مسعود : ينبغى لحامل القرآن أن يُعرف بليّله إذ الناس نائمون وبنهاره  
إذ الناس مفرطون، وبجزّئه إذ الناس يفرحون، وبمكانه إذ الناس يضحكون، وبصمته  
إذ الناس يخوضون .

أخبرنا ابن ناصر قال حدثنا عبد القادر ، أنبأنا يوسف ، أنبأنا الحسن بن علي  
التميمي ، حدثنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا علي بن مسلم ، حدثنا  
سيّار ، حدثنا جعفر قال : سمعت مالك بن دينار يقول : يا حَمَلَةَ القرآن ماذا زرع القرآنُ  
في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيعُ المؤمنين كما أن الغيث ربيع الأرض ، وقد ينزل الغيثُ من  
السماء إلى الأرض فيصيب الحشَّ<sup>(١)</sup> فتكون فيه الحَبَّة فلا ينمعهما نَتْنٌ موضعها أن تخضرَّ  
وتَهْتَرَّ وتَحْسُنَ ، فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم ؟ .

قال الفضيل رحمه الله : حاملُ القرآن حاملُ راية الإسلام ، لا ينبغي أن يلهو مع  
من يلهو ولا يسهو مع من يسهو، ولا ينبغي أن يكون له إلى أحد حاجة ، « إلى الخلقاء  
إلى من دونهم »<sup>(٢)</sup> ، وينبغي أن تكون حوائج الناس إليه .

وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه : رأيت ربَّ العزة عز وجل في المنام فقلت يارب :  
ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك ؟ فقال : بكلامي يا أحمد . فقلت : يا رب بفهم  
أو بغير فهم ؟ فقال : بفهم وبغير فهم .

\* \* \*

---

(١) الحش : موضع قضاء الحاجة .

(٢) ليست في ١ .

قوله تعالى : « وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ » المعنى : وبقيموا الصلاة وهو إتمامها بمحدودها ، في مواقيتها .

قال بعض السلف : رأيت يجبل الألكام<sup>(١)</sup> شاباً مُصَفَّرًا يصلّي المشاء الآخرة ثم يصف قدميه فيختم القرآن في ركعتين ، ثم يبكي إلى الفجر .

\*\*\*

قوله تعالى : « وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً » كانوا إذا قدروا على السرّ لم يُخْرِجُوا الصدقة علانية ، لأن صدقة السرّ تزيد على العلانية سبعين ضعفا .  
وفي الصحيحين أن أبا طلحة قال : أحب أموالى إلىّ بئرحاء وهى صدقة لله تعالى لو قدرت أن أسِرَّه لم أعلنه .

\*\*\*

يا متصمراً فى أعماله بخيلا بماله ، لا تسألوا عن حاله يوم ترّ حاله ، با دائم الخسران فما يربح ، يا مقيما على المعاصى ما يبرح ، متى رأيت من فعل فطاك أفلح ، تقبل من العدو ولا تقبل ممن ينصح ، قم على قدم الطلب فاقرع الباب بالأدب يفتح ، صاحب أهل الخير تسكن منهم ، واستغنى خصالهم وخذ عنهم .

\*\*\*

قوله تعالى : « يَرْجُونَ تِجَارَةً » أى يرجون بفعلهم تجارة « لن تبور » أى لن تفسد ولن تكسد . وهذا جواب قوله تعالى : « إِنْ الَّذِينَ يَقُولُونَ كِتَابَ اللَّهِ » .  
لما سمعوا مضاعفة الأجر فى قوله تعالى : « مَثَلُ الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةُ حَبَّةٍ<sup>(٢)</sup> » . ثم سمعوا قوله تعالى : « فَيُضَاعَفُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً<sup>(٣)</sup> » . قال ابن عباس : لا ينقضى عددها .

(١) الألكام : جبل يامت حماة وشير وأفامية ويمتد شمالا إلى صهيون وينتهى عند أنطاكية .

(٢) سورة البقرة ٢٦١ . (٣) سورة البقرة ٢٤٥ .

وقال ابو هريرة : إن الله تعالى يكتب للمؤمن بالحسنة الواحدة ألف حسنة ولما سمعوا لفظ « القَرْضُ في ذمة الله »<sup>(١)</sup> . بادروا بالأموال .

أخبرنا يحيى بن عمار المدائري بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزل قوله تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » . قال ابو الدحداح بمعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وإن الله تعالى لم يريد منا القرض ؟ قال : نعم : قال : أرني يدك يا رسول الله . قال فناوله يده فقال : إني قد أقرضتُ ربِّي حائطي . قال وحائطه فيه ستمائة نخلة ، وأم الدحداح فيه وعيالها فجاء أبو الدحداح فنادى : يأم الدحداح . قالت : لبيك . قال : أخرجني من الحائط فقد أقرضته ربِّي عز وجل وفي رواية أخرى أنها لما سمعت ذلك همدت إلى صبياتها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كم من عذق ردّاح<sup>(٢)</sup> في الجنة لأبي الدحداح » .

\* \* \*

سبحان من خلق تلك النفوس واختارها ، وصفاها بالتقى ورفع أكدارها ، وجعل حِمَى معرفته وجَنَّتَه دارها ، فإذا مرّت على النار أطفأ نورها نارها ، قوم تيقظوا في أمورهم وعقلوا ، وحاسبوا أنفسهم فما أضاعوا ولا غفلوا ، وحاربوا جنود الهوى فأَسْرَوْا وقتلوا ، وتدبّروا منازل اليعين مع سادة المتقين ونزلوا ، فأولئك لهم جزاء الضّمْف بما عملوا .

إخواني : رحل من أصيفه وبقي من لا أعرفه<sup>(٣)</sup> ، سَلَّ عنهم الشَّمْتُ القبور ، وزُرْ إذا اشتقتهم القبور .

(١) في قرّة العيون : في ذمة السّكرام .

(٢) العذق : القنو من النخلة . والرداح : المنقل بالحق .

(٣) ب : نعرفه .

لَمَن الطُّولُ كَأَنَّهُنَّ (م) بِجَزَعِ ذِي سَلَمٍ سَطُورُ  
تَطْوِي مَعَالِمَهَا الصَّبَا طَوْرًا وَتَنْشُرُهَا الدُّبُورُ  
وَكُفْتُ بِهَا مِنْ أَدْمَى فِي الرِّكْبِ غَادِيَّةٌ دَرُورُ<sup>(١)</sup>  
وَلَقَلَّ مَا تُجْدِي الدِّمُوعُ وَيَنْفَعُ الصَّبَّ الزَّفِيرُ  
أَفُوتُ<sup>(٢)</sup> مِنَ الْحَيِّ الدِّيَا رُفَا لَهَا فِي الْعَيْنِ نَوْرُ

سجع على قوله تعالى : « يرجون تجارة لن تبور »

كانوا يقومون الذي نجور ، بكاء مطرود مهجور ، ورغد قلوبهم مُتَلَق زَجُور ،  
فَامْتِلَات بالخيرات الحُجُور « يرجون تجارة لن تبور » .

رفضوا الدنيا شغلا عن الزينة ، وأذلوا نفوسهم فعادت مسكينة ، وعلموا أن  
الدنيا سفينة فتهيأوا للعبور « يرجون تجارة لن تبور » .

يؤثرون بالطعام ويؤثرون الصيام ، ويأملون فضل الإنعام ، فما كانت إلا أيام حتى  
اخضرت البذور « يرجون تجارة لن تبور » بعثوا الأموال الحبيبة إلى بلاد البعث الغربية ،  
فإذا الأرباح عن قريب قريبة ، وعلى هذا التجارة تدور « يرجون تجارة لن تبور » .

الليل عليل ، والأنين طويل ، والعيون تسيل ، وما مضى إلا القليل حتى فرح  
الصُّبُور « يرجون تجارة لن تبور » .

يقفون وقوف مسكين ، ويدلون ذل مسكين ، فنالوا المقام الأمين ، وانشب<sup>(٣)</sup>  
قلبُ الحزين بأكل العُبور « يرجون تجارة لن تبور » سليمهم كالسليم<sup>(٤)</sup> ، وحزنهم  
مقيم ، يحذرون الجحيم ويرجون النعيم في كمال العُبور « يرجون تجارة لن تبور » .

(١) الغادية : السحابة تنشأ غدوة . والدور : الفزيرة المطر ، يريد أنه بكى بدموع فزيرة .

(٢) أفوت : خلت . (٣) انشب : انصلح .

(٤) السليم لأولى بمعنى الصحيح الجسم والثانية بمعنى اللين ، وإنما قالوا ذلك تفاؤلا .

للقلب مع الدنيا نبا<sup>(١)</sup> ، كلما عارضه الهوى نبا<sup>(٢)</sup> ، يندبون نَدْبُ الأسرى الغُربا ،  
والزفراتُ على ذنوب الصَّبَا تزيد على الصَّبَا والدُّبُور « يرجون تجارة لن تبور » .  
يا من يَدْفَن ماله تحت الأرض ولا يفهم معنى القَرْض ، سيخرج الوارث بالفرض  
إلى الدرهم والدُّور . « يرجون تجارة لن تبور » .  
سبحان من قصى لقومٍ سرورا ، وعلى آخرين ثُبُوراً فما لهم من نور « يرجون  
تجارة لن تبور » .  
والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) نبا : أصلها نباً ميموزا بمعنى الحبر ، وإنما سهلها رعاية للجمع .  
(٢) نبا : يند .



## المجلس السابع في الأخوة والصدقة

الحمد لله الذى لطف بالبرّاء يا إذ برّاهم وبرّ، وروّح أرواح أهل الصلاح براح الفلاح وسرّ، وأطلع على ضمير من نوى وسرّ<sup>(١)</sup> من أسرّ، وقدّر الأشياء ففضى الخير وقضى الشر، وأمات وأحيا وأفقر وأغنى ونفع وضرّ، جفّ القلم بتقديره فضى الأمر واستقرّ، بقدرته تقطع المراكبُ البحرُ والمركوبُ البرّ، لطفه عظيم وجوده عميم قد استمر « رَبِّ أَشْمَتُ أَغْبَرُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَ<sup>(٢)</sup> » سميع يسمع المدّنف المضطر، بصير يرى فى دُجى الليل الدّرّ، عليم بانكسار من ندّم وإصرار من أصرّ، حلّيم فإن سطا رأيت الأمر الأمر، ما أطفه بعبده يدعو له رفع ماعر<sup>(٣)</sup> « فَإِذَا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّ<sup>(٤)</sup> ». يمدُّ رواق الظلام فإذا لاح الصباح فرّ، وينير النهار فإذا انقضى عاد الليل وكرّ، فالقمر آية الليل والشمسُ تجري لمستقر .

أحده على إنعام كلما احتلب درّ، وأقر بوحدانيته عن دليل قد استقر، وأصلّى على رسوله محمد الذى عمّت رسالته البحر والبر، وعلى صاحبه أبى بكر المنفق حتى تخلّل وزرّ<sup>(٥)</sup>، وعلى عمر الزاهد فما غرّه ما غرّ، وعلى عثمان الذى ارتفع بالكرم فبرّ وأبرّ، وعلى على الذى ما أقدم قط فقّر، وعلى عه العباس المقدم نسباً والفخر قد استقر .

\*\*\*

قال الله تعالى: « هو الذى أيدّك بنصره وبالمؤمنين<sup>(٦)</sup> » أيدّك بمعنى قوّاك بنصره

(١) ، والتلخيص : وعزم .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب البر حديث رقم ١٣٨ وكتاب الجنة حديث رقم ٤٨ ، ٦٠ .

(٣) ١ : ماضر . (٤) سورة يونس ١٢ .

(٥) تخلّل : شد كسائه بخلال لأنه تصدق بجميع ماله ولم يبق له شيء .

(٦) سورة الأنفال ٦٢ .

والمؤمنين وألف بين قلوبهم. التأليف : الجمع على ما يشاكل<sup>(١)</sup>. والمراد بالآية الأوس والخزرج وهم الأنصار ، وكانت بينهم عداوة في الجاهلية فألف الله عز وجل بينهم ، وهذا من أعجب الآيات ، لأنهم كانوا ذوي<sup>(٢)</sup> أنفة شديدة ، فلو أن رجلا لطم رجلا لقاتلت عنه قبيلته حتى تذكر نأره ، قال لهم الإسلام إلى أن يقتل الرجل ابنه وأباه في طاعة الله عز وجل .

وقد روى أبو الأحوص ، عن ابن مسعود في قوله تعالى « لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم » قال : هم المتحابون في الله تعالى .

\* \* \*

اعلم أن المعنى الجامع بين المسلمين الإسلام ، فقد اكتسبوا به أخوة أصلية ، ووجب عليهم بذلك حقوق لبعضهم على بعض .

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »<sup>(٣)</sup> .

وفيهما من حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا « وشبك بين أصابعه »<sup>(٤)</sup> .

وفيهما من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »<sup>(٥)</sup> . وفي حديث مسلم : لجاره أو لأخيه .

(١) : ١ : على ما يشاء .

(٢) صحيح البخارى كتاب الأدب وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ٦٦ .

(٣) صحيح البخارى كتاب الأدب وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ٦٥ .

(٤) صحيح البخارى كتاب الإيمان وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٧١ ، ٧٢ .

وفيهما من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« حق المسلم على المسلم خمسٌ : يسلم عليه إذا لقيه ، ويشمتّه إذا عطس ، ويمؤده إذا مرض ،  
ويشهد جنازته إذا مات ، ويحييه إذا دعاه <sup>(١)</sup> » .

وإذا ثبتت هذه الحقوق للاشتراك في الإسلام فكما زادت المحالطة وصفاً زادت  
الحقوق ، مثل القرابة والمجاورة والضيافة والصحبة والصدقة والأخوة الخاصة في الله  
عز وجل .

فأما حق القرابة : فمعلومٌ : وجوب بر الوالدين وتقديم الأم في البر ووجوب صلة  
الرحم .

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه قال : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَوْسَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ وَيَنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ <sup>(٢)</sup> .  
وأما حق الجار ففي الصحيحين من حديث ابن عمر وعائشة عن النبي صلى الله عليه  
وسلم . أنه قال : « مازال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه <sup>(٣)</sup> » .

وأما حق الضيف ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » <sup>(٤)</sup> .

وأما حق الصحبة فقال مجاهد : صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه فكان  
يخدمني أكثر .

(١) صحيح البخارى كتاب الجنائز وصحيح مسلم كتاب السلام حديث رقم ٤ - ٦ .

(٢) صحيح البخارى كتاب البيوع وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ٢٠ ، ٢١ .

(٣) صحيح البخارى كتاب الأدب وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ١٤٠ . وسنن الترمذى

كتاب البر وسنن ابن ماجه كتاب الأدب ومسند أحمد ٢ / ٨٥ .

(٤) صحيح البخارى كتاب الأدب وكتاب الرقاق وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٤٧٤ .

وأما حق الصداقة فإنها تُطلق على ما دون الأخوة، فالأخوة هي المرتبة العليا، وإنما تقع الأخوة الصادقة إذا حصل التشاكل بين الآخرين في أصل الوضع. وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأرواحُ جنودٌ مجنّدةٌ فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»<sup>(١)</sup>.

قال أبو سليمان الخطّابي رحمه الله: ومعنى هذا الحديث: الإخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدّمها الأجساد، على ما روى أن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بكذا وكذا، فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم أنها خلقت على ائتلاف واختلاف فتألف الأجساد في الدنيا وتختلف على حسب ما وقع في مبدأ الخلقة.

وفي هذا الحديث دليل على أن الأرواح ليست بأعراض وأنها كانت موجودة قبل الأجساد، وأنها تبقى بعد الأجساد. ويؤيد هذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «أرواحُ الشهداء في حواصل طيرٍ خُضرٍ تعلّق في ثمر الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأخوة الخاصة هي التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، وقد علم أن الأخوة العامة في قوله تعالى: «إنما المؤمنون إخوة»<sup>(٣)</sup> واقعة قبل عقده، غير أنه أراد الأمر الخاص.

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع<sup>(٤)</sup>. وقد آخى بين خلق كثير ذكرتهم في كتاب التلقيح<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح البخاري كتاب الأنبياء وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ١٥٩، ١٦٠.

(٢) الحديث ورد بروايات مختلفة في صحيح مسلم كتاب الإمارة حديث رقم ١٢١ والترمذي في

كتاب التفسير سورة ٣، ١٩، ومسنّد أحمد ٦ / ٣٨٦. (٣) سورة الحجرات.

(٤) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار وكتاب الأدب وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة

حديث رقم ٢٠٣.

(٥) هو كتاب تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي المطبوع في حيدر آباد.

وهذه الأخوة هي التي توجب المحبة في الله عز وجل ، وهي أوثق عرى الإيمان .  
كذلك روى البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أوثق عرى الإيمان  
أن تحب في الله وتُبغِضَ في الله » <sup>(١)</sup> .

ومن جملة ثواب المتحابين ما روى في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي  
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله » فذكر منهم  
رجلين تحابَّا في الله عز وجل اجتمعا عليه وتفرقا عليه <sup>(٢)</sup> .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن أبي الحباب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : أين المتحابُّون بجلالي ؟  
اليوم أَظْلَمُهم في ظِلِّي يوم لا ظلَّ إلا ظلي » .  
انفرد بإخراجه مسلم <sup>(٣)</sup> .

وبالإسناد عن أبي مسلم الخولاني قال : أتيت مسجد أهل دمشق فإذا حلقة فيها  
كهول من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا شاب فيهم أكل العين براق الشنايا  
كلما اختلفوا في شيء ردُّوه إلى الفتى ، فقلت لجليس لي : من هذا ؟ قال : هذا معاذ  
ابن جبل فبعثت من العشي فلم يحضر ، فعدوت من الفد فلم يجي ، فخرجت فإذا أنا  
بالشاب يصلي إلى سارية فركعت ثم تحوَّلت إليه ، قال : فلم فدنوت منه فقلت : إني  
أحبك في الله تعالى قال : فدني إليه وقال : كيف قلت ؟ قلت : إني أحبك في الله .  
قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المتحابُّون في الله على منابر من نور  
في ظل العرش يوم لا ظلَّ إلا ظله » <sup>(٤)</sup> .

(١) في سنن أبي دود كتاب السنة : « أفضل الأعمال الحب في الله » .

(٢) صحيح البخاري كتاب الزكاة وكتاب الحدود وصحيح مسلم كتاب الزكاة حديث رقم ٩١ .

(٣) صحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ٣٨ .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٥ / ٢٣٧ .

قال : فخرجت حتى لقيت عبادة بن الصامت فذكرت حديث معاذ بن جبل فقال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن ربه عز وجل يقول : « حَقَّتْ محبتي للمتحابِّين في » ، وحقت محبتي للتبازلين في » ، وحقت محبتي للمتزاورين في » ، والمتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله <sup>(١)</sup> .

وفي حديث عمرو بن عبسة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل يقول : حقت محبتي للذين يتحابون من أجلى ، وحقت محبتي للذين يتصافون من أجلى » .

وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل عباداً على منابر من نور في ظل العرش يَفْبِطُهُم الشهداء . قيل : من هم ؟ قال : المتحابون في جلال الله عز وجل » .

\* \* \*

واعلم أن هذا الثواب في هذه المحبة إنما يكون إذا كانت لله تعالى خالصة لا يشوبها شئ من الكدر ، ومتى قويت محبة الله سبحانه وتعالى في القلب قويت محبة أوابائه والصالحين من عباده ، فلينظر الإنسان من بواخي ومن يحب ، ولا ينبغي أن يتخير إلا من قد سلّم عقله ودينه . وقد قال عليه السلام : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من مَحَالِل <sup>(٢)</sup> » .

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : المرء مع من أحب <sup>(٣)</sup> .

(١) أخرج نحوه مالك في الموطأ . (٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد

(٣) صحيح البخاري كتاب الأدب وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ١٦٥ .

فإذا أحبَّ شخصاً فليُعلمه. وروى المقدم بن معدى كَرِب عن النبی صلی الله علیه وسلم أنه قال : إذا أحب أحدُكم أخاه فليُعلمه إياه <sup>(١)</sup>.

وقال عمران بن حَطَّان : لقد أُحِبْتُ في الله عز وجل ألفَ أخٍ كلهم أعرف اسمه واسمَ أبيه وقبيلته ومكان داره .

وقال أبو زُرْعَة بن عمرو بن جرير : ما تحاب رجلان في الله عز وجل إلا كان أفضلهما أشدَّهما حبًّا لصاحبه .

وكان يقول : اصحب من إذا صحبته زانك ، وإن خدمته صانك ، وإذا أصابتك خصاصة مانك ، وإن رأى منك حسنة سر بها ، وإن رأى منك سقطة سترها ، ومن إذا قلت صدق قولك ، ومن هو فوقك في الدين ودونك في الدنيا ، وكلُّ أخٍ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيراً فانبذ عنك صحبته .

\* \* \*

فإذا صفت المحبة وخلصت وقع الشوق والتزاور وصار بذل المال أحقر الأشياء .  
فأما التزاور فقد ذكرنا فضيلته .

وقد كان عمر بن الخطاب يذكر الأخ من إخوانه في بعض الليل فيقول : ياطولها من ليلة ! فإذا صلى المكتوبة غدا إليه فاعتقه .

وقال مجاهد : إذا مشى أحد المتحابين إلى الآخر فأخذ بيده فضحك إليه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد ، قال أنبأنا أبو بكر الخطيب ، أخبرني عبد العزيز لأزجي ، حدثنا عبد الله بن محمد بن سليم الملاف [ عن معروف السكْرخي ] <sup>(٢)</sup> قال :  
امش ميلاً صلاً جماعةً ، امش ميلين صل جماعةً ، امش ثلاثة أميال عُد مريضاً ،

(١) أخرجه الترمذی في سننه كتاب الزهد . (٢) من قرأ العيون للبصرة .

امش أربعة أميال شَيْعَ جنازةً ، امش خمسة أميال شَيْعَ حاجًا أو معتمرا ، امش ستة أميال شَيْعَ غازيا في سبيل الله ، امش سبعة أميال بصدقة من رجل إلى رجل ، امش ثمانية أميال أَصْلَحَ بَيْنَ الناس ، امش تسعة أميال صِلَ رَحِمًا وقرابة ، امش عشرة أميال في حاجة عيالك ، امش أحد عشر ميلا في معاونة أخيك ، امش بَرِيدًا والبريد اثنا عشر ميلا - زُرْ أَحَا في الله عز وجل !

وأما بَذْلُ المال فله ثلاث مراتب : أهونها : المساهمة في المال ، وأوسطها المواساة ، وأعلىها تقديمُ الأخ في المال على النفس .

وقد روينا آفا : « حَقَّتْ محبتي للمتباذلين في » .

قال ابن حمر : لقد رأيتنا وما أحدنا بأحقَّ بديناره ودرهمه من أخيه المسلم .

وقال الحسن : كنا نعدُّ البخيلَ الذي يُقرض أخاه !

وقال : ليس من المروءة أن يريح الرجلُ على صديقه .

وقال أبو جعفر الباقر لأصحابه : هل يُدخل أحدكم يده في كُمِّ صاحبه فيأخذ منه

ما يريد ؟ قالوا : لا . قال : فليستم ياخوان .

وقد كان بعضهم يتلطف في إيصال البرِّ إلى إخوانه فيأتي بالصرَّة فيها الأربعمائة

والخمسائة فيودعها أحدهم ثم يلقاه بعد فيقول : انتفعوا بها فهي لكم .

وعلى هذا لا ينبغي للأخ أن يُخجف بأخيه فيما يأخذ منه وإن عَلِمَ أنه لا كلفة

عليه في ذلك ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال له أبو بكرٍ زمن الهجرة : قد علفت

ناقَتين فخذ إحداها فقال : بالثمن .

\* \* \*

هيئات رَحَلَ الإخوان وأقام الخُوان ، وقلَّ أن ترى في الزمان إلا من إذا

دُعِيَ مان<sup>(١)</sup> .

---

(١) مان : كذب ، فهو مان .



### (الكلام على البسمة)

أجدُ الدِّيارَ كما عهدتُ وإيما      شكواي أني أفقدُ الجيرانا  
يا وحدي ما أكره الإحوان لي      نظرا وأكره فيهم الخوانا !  
في كل مطرح نظرة حولي أخ      صنو إذا هز الغنى الأفنانا  
راع معي أبدا فإن هي أعجفت      إيلي قلب أو يمدن سمانا  
أشربه من خفض المعيشة غاليا      ويبيني في ضنكها مجانا  
ألقاهم عدد الكواكب كثرة      حولي وأني وحدي الحدنانا

إخواني : إن البخل والجهل للقلوب قد خالط ، فما يُعرف من يُخالط .

كان السلف يتعاشرون بنزع الفل على مناصحة النفوس ، فصارت عشرة العشرة على موافقة الهوى بدخن الضمير ، كانوا يميلون على الدنيا بالذم فصار الميل إليها بالقلب ، تمالئوا على حبها ومالوا ، فإذا فرغت عن صديقهم أعرضوا ومالوا ، فافتح بصرا البصيرة فلي هذا تراهم ، ثم التفت عنهم وإياك وإياهم :

اسمعي مني أبثك شاني      إنما يُبدي ضميري لساني  
كم أخ لي كان مني فلما      أن رأى الدهر جفاني قد جفاني  
لم يرعني غير خلٍ غادر      موتر تحري لقوس الزمان  
مستعد لي بسهم عندما      أن رأى الدهر رماني قد رماني

\*\*\*

كان الأخ في الله يخلف أخاه في أهله إذا مات أربعين سنة ! وكان الرجل إذا أراد شئ أخيه طلب حاجته من غيره .

خرج إبراهيم بن أدهم رحمه الله في سفر ومعه ثلاثة نفر ، فدخلوا مسجدا في بعض المفاوز والبرد شديد وليس للمسجد باب ، فلما ناموا قام إبراهيم فوقف على الباب إلى

الصباح ، فقيل له : لم تنم ؟ فقال : خشيت أن يصيبكم البرد فقامت مقام الباب !  
وجاء رجل من السلف إلى بيت صديق له فخرج إليه فقال : ما جاء بك ؟ قال : على  
أربعمائة درهم فدخل الدار فوزنها ثم خرج فأعطاه ثم عاد إلى الدار باكياً فقالت زوجته :  
هلا نعلت عليه إذا كان إعطاؤه يشق عليك ؟ فقال : إنما أبكي لأنى لم أفتقد حاله فاحتاج<sup>(١)</sup>  
أن يقول لى ذلك !

هل تحسان لى رفيقاً رفيقاً      أو تصيبان لى صديقاً صدوقاً  
قد فشا الغدرُ والخيانةُ فى الناس      س فما إن أرى رفيقاً شقيقاً

\* \* \*

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك بسنده عن رباح بن الجراح قال : جاء فتّح الموصلى  
إلى منزل صديق له يقال له عيسى التمار فلم يجده فى المنزل ، فقال للخدام : أخرجنى لى  
كيس أخى . فأخرجته ففتحه فأخذ منه درهمين . وجاء عيسى فأخبرته الخدام فقال :  
إن كنت صادقة فأنت حرة . فنظر فإذا هى صادقة . ففتقت !  
أخبرنا أبو بكر بن حبيب قال أبو سليمان الداراني : كان لى أخ فى الله عز وجل  
فقلت له يوماً : أعطني دراهم . فقال : كم تريد ؟ فسقط من عيني وخرجت أخوته من  
قلبي بقوله : كم تريد .

واعلم أنه إذا علت مرتبة الأخوة وقع فداء الأخ بالنفس .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بسنده عن محمد بن داود قال : سمعت أبا بكر القرطبي  
وأبا عمرو الأدمي يقولان وكانا يتآخيان فى الله تعالى : خرجنا من بغداد نريد  
الكوفة ، فلما سرنا فى بعض الطريق إذا نحن بسبعين رابيين على الطريق ، فقال  
أبو بكر لأبى عمرو : أنا أكبر منك سنًا فدعنى أتقدمك فإن كان حادثة اشتغلا بى

عنك وجُزْتَ أنت فقال له أبو عمرو نفسي ما تسأخني بهذا ، ولكن نكون جميعا في مكان واحد فإن كانت حادثة كنا جميعا . فجازا جميعا بين السبعين فلم يتحرَّ كما ومراً سالمين .

وركب أخوان في الله تعالى في البحر فكُسر بهما المركب فجعلا يَسْبِغان ويتعلق أحدهما بالآخر فقال أحدهما للآخر : إن تعلقت بي هلكنا جميعا فدعني فربما سلم أحده فقال : ظننتُ أني أنا أنت فإذا وقع الفراق فنعم . فتنجَّى عنه ، فقدَّرتُ لها السلامة فلم يصحبه ذلك باقي عمره .

\* \* \*

إخواني : نُسَخ في هذا الزمان رَسَم الأخوة وحُكْمه ، فلم يبق إلا الحديث عن التدماء ، فإن سمعت بإخوان صِدِّق فلا تصدِّق .

ما هذه الألفُ التي قدِ زِدْتُمُ فِدَعَوْتُمُ اخْوَانَ بالإخوانِ  
ما صَحَّ لي أحدٌ أصْبِرَه أَخاً في الله حقاً ، لا ولا الشيطانِ  
إِما مَوْلٍ عن ودَادِي ماله وَجَهٌ وإِما من له وَجْهانِ

الكلام على قوله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم »<sup>(١)</sup>

في المراد بهذا الذكر ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الذكر في الصلاة ، يصلِّي الإنسان قائماً ، فإن لم يستطع قاعداً ، فإن لم يستطع فعلى جَنْب . هذا قول عليّ وابن مسعود وابن عباس وقتادة .

والثاني : أنه ذِكْر في الصلاة وغيرها .

والثالث : أنه الخوف . فالمعنى يخافون الله في جميع تصرفاتهم .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن أبي صالح قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل : « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، ومن تقرّب إلي شيئا تقربت منه ذراعاً ، ومن تقرّب إلي ذراعاً تقرّب إليّه باعاً ، ومن جاءني يمشی جثته هرولة » .  
أخرجاه في الصحيحين<sup>(١)</sup> .

وفي أفراد مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : سبق المفردون قالوا : وما المفردون ؟ قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات .  
وفي أفراد من حديث أبي هريرة أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يقعد قومٌ يذكرون الله إلا حَفَّتْهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكروا الله فيمن عنده<sup>(٢)</sup> » .

وفي حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مامن قوم اجتمعوا يذكر الله لا يريدون بذلك إلا وجه الله إلا ناداهم مناد من السماء : قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات<sup>(٣)</sup> » .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار بسنده عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكر الله تعالى تنادوا : هلموا إلى حاجتكم . فيحفظونهم بأجنحتهم إلى السماء قال : فيسألهم ربهم تبارك وتعالى - وهو أعلم بهم : ما يقول عبادي ؟ قالوا : يذكرونك ويسبحونك ويحمدونك . قال : وهل رأوني ؟ فيقولون : لا والله

(١) صحيح البخاري كتاب التوحيد وصحيح مسلم كتاب الذكر حديث رقم ١٨٠٢ ، ١٩٠١ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الذكر حديث رقم ٣٨٠٣ ، ٣٩٠٤ .

(٣) مسند أحمد ٣ / ١٤٢ .

يأرب ما رأوك . قال : فيقول : فكيف لو رأوني ؟ قال : فيقولون : لو أنهم رأوك  
لكانوا أشدَّ لك عبادةً وأشدَّ لك تمجيداً وأكثر تسبيحاً قال : فيقول : وما يسألوني؟  
قالوا : يسألونك الجنة قال : فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا والله يأرب ما رأوها .  
فيقول : فكيف لو رأوها فيقولون : لو رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً وأشدَّ لها طلباً  
وأعظم فيها رغبة فيقول : فم بتعمؤذون ! قال : يقولون : من النار قال : يقول : فهل  
رأوها ؟ قال : فيقولون : لا والله ما رأوها . قال يقول : كيف لو رأوها ؟ قال يقولون :  
لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشدَّ لها مخافة قال : فيقول : فأشهدكم أني قد  
غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة  
فيقول : هم الجلساء لا يشق بهم جلسهم .  
أخرجاه في الصحيحين<sup>(١)</sup> .

وفي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله  
عز وجل يقول : أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه<sup>(٢)</sup> » .  
وفي حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله  
تعالى : أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام<sup>(٣)</sup> » .  
وفي حديثه عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » .  
قالوا : يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال : « مجالس الذكر<sup>(٤)</sup> » .  
وكان داود عليه الصلاة والسلام يقول : إلهي إذا مررت على ملائكة يذكرونك  
فجاوزتهم فأكسر الرجل التي تليهم .

\*\*\*

(١) صحيح البخاري الدعوات . (٢) صحيح البخاري كتاب التوحيد ، ومسنده أحمد ٢ / ٥٤٠ .

(٣) صحيح الترمذي . كتاب جهنم باب رقم ٩ . (٤) صحيح الترمذي كتاب الدعوات باب رقم ٨٢ .

واعلم أن الذاكرين تختلف أحوالهم .

فمنهم من يؤثر قراءة القرآن ويقدمه على كل ذكر . وقد كان فيهم من يختم كل يوم ومنهم من يختم ختمتين .

ومنهم من أكثر ذكره التهليل والتسبيح والتحميد .

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من قال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك . ومن قال في يومه مائة مرة : سبحان الله وبحمده حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر <sup>(١)</sup> » .

وقال سميد بن عبد العزيز قلت لعمر بن هاني : أرى لسانك لا يفتّر من ذكر الله عز وجل فكم تسبّح كل يوم ؟ قال : مائة ألف إلا أن تُخطيء الأصابع .

وقال محمد بن ثابت البناني : ذهبت ألقيت أبي وهو في الموت فقلت : يا أبت قل :

لا إله إلا الله . فقال : يا بني خلّ عني فإني في وردي السادس أو السابع !

ذِكْرُكَ لِي مُؤْنَسٌ بِمُارَضِي      يَعِدُنِي عَنْكَ مِنْكَ بِالظَّفَرِ  
وَكَيْفَ أَنْسَاكَ يَا مَدَى هِمِّي      وَأَنْتَ مَنِّي بِمَوْضِعِ النَّظَرِ

\*\*\*

ومن الذاكرين من غلب على قلبه حُبُّ المذكور فلا يزال في الذكر والتعبد .

أخبرنا ابن حبيب بسنده قال : سمعت قاطمة أخت أبي عليّ الروذباري تقول :

---

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق ، وكتاب الدعوات

وصحيح مسلم كتاب الله ذكر حديث رقم ٢٧ .

سمعت أخى يقول : سمعت الجنيد يقول : ما رأيت أعبد لله من سرى السقطى ، أنت عليه ثمان وسبعون سنة مارئى مضطجعا إلا فى علة الموت .

ومن الذاكرين من صار الذكرك له إلفاً لا عن كلفة ، فما له هم غيره ، فهو يذكرك أبداً على جهة الحضور .

وقال مجتش الجلاب : صحبت أبا حفص النيسابورى اثنتين وعشرين سنة فما رأيت ذكراً لله تعالى على حد الغفلة والانبساط ، ما كان يذكرك الله إلا على سبيل الحضور والحرمة والتعظيم ، وكان إذا ذكر الله تعالى تغير عليه حاله حتى كان يرى ذلك جميعاً من حضره .

وقال بعض السلف : صحبت فى طريق رجلاً أسود فكان إذا ذكر الله تعالى ابيضاً !

وشغلت عني فهم الحديث سوى ما كان منك وعندكم شغلي  
وأديم نحو محدثي نظري أن قد فهمت وعندكم عني

\*\*\*

أين أهل الأذكار ، أين قوائم الأسفار ، أين صوام النهار ، خلت والله منهم الديار ، وامتلات بهم القفار فصل إليهم وصل عليهم فهم الأحرار .

سلام على أهل الحصى عدد الرمل وقلة وقوف الغيث بين طلوله  
وقل له التسليم من نائي مثلي بمنسكب سحر ومنهل وبيل  
وما رمت حتى خالى الريم رمة وأذرف أطياف الحصى الدمع من أجلى  
خليل قد عذبتاني (٢) ملامة كان لم يطف في دمنة أحد قبلي

(١) لم أجده ترجمه فى صفت الصفة ولا فى طبقات الصوفية .

(٢) ١ : قد عذبتونى .

فلا برحت عيني تنوباً عن الحياء بدمعٍ على تلك المناهل مُنهلٌ  
ليالي لا روض الكُثيبِ بلا ندَى ولا شجرات الأبرقين بلا طلل

السجع على قوله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » .

سبحان من قضى على الفالين كسلاً وقعوداً ، ورفع المتقين علواً وصموداً ومنعهم

من إناماه فوزاً وسُموداً بطلوبهم « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » .

أنعم عليهم فأعطاهم ، واستخلصهم واصطفاهم وقليلٌ ما هم ، اشتغل الناسُ

بديانهم واشتغلوا بذكر محبوبهم « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » .

قَنَعُوا بِأَذُونِ الطَّعْمِ وَاللِّبَاسِ ، وَأَلْقَوْا نَفْسَهُمْ فِي الْمَسَاجِدِ كَالْأَخْلَاسِ<sup>(١)</sup> ، يَمْشُونَ

بِالسَّكِينَةِ بَيْنَ النَّاسِ وَمَا دُرُّوهُمْ فِي دُرُوبِهِمْ « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى

جنوبهم » .

اكتفوا من الليل بيسير النوم ، واشتغلوا بالصلاة والصوم ، وكانت والله همم

القوم في صلاح قلوبهم « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » .

تَنَاولُوا لُقْمَ التَّزْيِيلِ<sup>(٢)</sup> وَقَالُوا : هَذِهِ لِلْجُوعِ تَزْيِيلٌ ، فَهُمْ يَقْنَعُونَ بِالْقَلِيلِ فِي مَطْعُمِهِمْ

وَمَشَرُوبِهِمْ « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » .

قَامُوا قِيَامَ الْمُسْتَعِدِّ ، وَوَرَدُوا بِحَمْرِ الْجُودِ الْمِدِّ<sup>(٣)</sup> ، وَتَسَلَّحُوا سِلَاحَ الْعَزْمِ وَالْجِدِّ

فِي جَمِيعِ حُرُوبِهِمْ « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » .

لَبِسُوا ثِيَابَ السَّفَرِ ، وَرَحَلُوا عَلَى أَكْوَارِ<sup>(٤)</sup> السَّهَرِ ، فَلَوْ سَمِعْتَ وَقْتَ السَّحَرِ تَرْنَمَ

طَرُوبِهِمْ « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » .

(١) الأُخْلَاسُ : جمع حلس وهو الكساء الذي يلبس في البيت .

(٢) لُقْمُ التَّزْيِيلِ . والمراد تلاوة القرآن .

(٣) المِدِّ بكسر الميم : الماء الجاري الذي له مادة لا تنتقطع .

(٤) الأَكْوَارُ : جمع كور ، وهو الرجل الذي يوضع فوق ظهر البعير .



تناولوا كؤوس الدمع يتجرعون ، فلو رأيتهم في طريق الخضوع يتضرعون  
والقوم يلقون ويضرعون في ستر عيوبهم « يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » .  
يستغيثون إلى الحق ويشكون ، واليتامى في الذل يحكّون ، وجُملَة الأمر أنهم  
يكونون على قُبْح مكتوبهم « يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » .  
يعتذرون من زَلَل القدم ، ويتمنون بعد الوجود العدم ، وقد بعثوا رسالة الندم  
مع مندوبهم « يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » .  
قلبتهم الأشجان ، وغيّرتهم الأحزان ، يزعجون لما قد كان من سالف ذنوبهم  
« يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » .  
أما الليل فسهارى ، وأما النهار فأسارى ، وكأنهم بالحبة سُكّارى في شروقهم  
وغروبهم « يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » .  
لو أضعفت في الدجى واستمعت ، وأحضرت قلبك عندهم وجّمت ، وهيأت  
ليتك اطلّمت على بعض كروبهم « يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » .  
كانت رقدة ثم بقيت النياحة<sup>(١)</sup> ، فانتقلوا من حضرة الحظر إلى الإباحة ،  
واستبدلوا بالرياضة الراحة ، فلم يبق أثر لجدوبهم « يذكرون الله قياما وقعودا  
وعلى جنوبهم » .

---

(١) كذا بالأصول ، ولعله يريد كانت للمصيبة منهم عن غفلة ثم بقى الندم عليها .

## (المجلس الثامن)

### (في ذكر العزلة)

الحمد لله الواحد القديم الجبار ، القادر العظيم القهار ، والمتعالى عن درك الخواطر والأفكار ، المنفرد بالعلم والقهر والافتقار ، انذى وسم كل مخلوق بسمة الافتقار ، فأظهر آثار قدرته بتصرف الليل والنهار ، سميع يسمع لا كالأسماع ، بصير يبصر لا كالأبصار ، قادر مريد حكيم عليم بالأسرار ، يبصر ديب اللملة السوداء فى الليلة الظلماء على القار ، ويسمع أنين المذنب<sup>(١)</sup> يشكو ما به من أضرار ، كلم موسى كيفاً لما قضى الأجل وسار ، ورآه نبينا صلى الله عليه وسلم دلّ على ذلك القرآن والأخبار ، ويراه المؤمنون إذا نزلوا دار القرار ، صفاته كذاته والمشبّهة كفّار ، نقر ونمر<sup>(٢)</sup> وأرباب البحث فى خسار ، هذا سيف السنة فتناوله باليمين لا باليسار ، واضرب به كفّ « كيف » ورأس « لِمَ » وعنق « نَمَ » وخذ للتنزيه من التشبيه بالنار « أَمَنَ أسسُ بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أم مَن أسس بنيانه على شفا جُرْفٍ هارٍ<sup>(٣)</sup> » .

أحمد فى الإعلان والإسرار ، وأشهد بوحدايته بأصح إقرار ، وأصلى على رسوله محمد سيد الأنبياء الأطهار ، وعلى أبى بكر رفيقه فى الدار والقار ، وعلى عمر قاعم الكفار ، وعلى عثمان شهيد الدار ، وعلى على قسيم النار<sup>(٤)</sup> ، وعلى عمه العباس آخذ البيعة نيلة العقبة على الأنصار .

\* \* \*

(١) المذنب : المريض .

(٢) كذا رأينا ضبطه والمراد : بحث وصعد القار فلان تهتدى إلا إلى عقيدة أهل السنة .

(٣) سورة التوبة ١٠٩ .

(٤) كذا بالأسول ، ولعله يريد وصفه بالنور ، لأن النور قسيم النار ، أى المقابل لها . وفى مرة

الميون البصرة : وعلى على القائم بالأسعار .

أخبرنا عبد الأول بسنده عن عطاء بن يزيد عن أبي سميد الغدري قيل: يا رسول الله أى الناس خير؟ قال: رجلٌ يجاهد بنفسه وماله، ورجلٌ فى شِمْبٍ من الشعاب يَمْبُدُ رَبَّهُ وَيَدْعُ الناسَ من شَرَّةٍ .  
أخرجاه فى الصحيحين<sup>(١)</sup> .

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد البزار، قال: أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب بسنده عن عبد العزيز أبى حازم، عن أبيه، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ خَيْرِ مَعَايِشِ الناسِ لِمَنْ رَجُلٌ تُمْسِكُ بَعَنَانَ فَرَسِهِ يَطِيرُ عَلَى مَقْنَعِهِ كَمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ قَرْعَةً طَارَ عَلَى مَتْنِ فَرَسِهِ يَلْتَمِسُ المَوْتَ وَالْقَتْلَ مَكَانَهُ، وَرَجُلٌ فِي رَأْسِ شَعْفَةٍ مِنَ الشَّعَافِ أَوْ بَطْنِ وادٍ مِنْ هَذِهِ الأودية يقيم الصلاة ويبعد رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ اليَقِينُ لَيْسَ مِنَ الناسِ إِلَّا فِي سَبِيلِ خَيْرٍ .

قال أبو عبيدة: الهَيْعَةُ: الصوت. قال الطَّرْمَاح:

أنا ابنُ حُمَاةِ المجدِ من آلِ مالِكٍ إِذَا جَعَلَتْ خُورُ الرِّجالِ تَهِيحُ<sup>(٢)</sup>  
وَأُتْلُو رَجْعَ خَوَّارٍ وَهُوَ الضَّعِيفُ . وَالشَّعْفَةُ وَاحِدَةُ الشَّعَافِ وَهِيَ رِءُوسُ الجِبَالِ، وَهِيَ الشَّامَارِيخُ وَالشَّنَاخِيبُ وَاحِدُهَا شُنْخُوبَةٌ .

وروى عن عقبة بن عامر قال: قلت لرسول الله: ما النجاة؟ قال: «أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعَكَ يَتُوكَ وَأَبْلَكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ»<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

(١) صحيح البخارى كتاب الجهاد، وكتاب الرقاق . وصحيح مسلم كتاب الإمارة حديث رقم

١٢٣، ١٢٤، ١٢٥ .

(٢) البيت من شواهد اللسان مادة « خور » ( اللسان ٤ / ٤٦٣ : ط بيروت ) وتهيم : تهب .

(٣) صحيح الترمذى كتاب الزهد باب رقم ٦١ ومسنده أحد ٤ / ١٤٨، ١٥٨، ١٥٩ .

قال الشيخ : وهذه الأحاديث تدل على فضل العزلة .

وقد كان السلف يؤثرونها ويمدحونها فقال عمر بن الخطاب : خذوا بحظكم من العزلة .

وقال سعد بن أبي وقاص : والله لوددت أن بيني وبين الناس باباً من حديد لا يكلمني أحدٌ ولا أكله حتى ألحق بالله تعالى .

وقال ابن مسعود لأصحابه : كونوا بتأبيع العلم مصابيح الليل أخلص البيوت ، جدد القلوب خلقتان الثياب ، تعرفون في أهل السماء وتخفون على أهل الأرض .

وقال أبو الدرداء : نعم صومعة الرجل بيته يكف فيها بصره ولسانه ، وإياكم والسوق فإيها تلمهى وتلغى<sup>(١)</sup> .

وقال ابن عباس : لولا مخافة الوسواس لرحلت إلا بلاد لا أنيس بها ، وهل يفسد الناس إلا الناس !

كان أبو جهنم الأنصاري بذرباً وكان لا يجالس الناس وكان يعتزل في بيته ، فقالوا له : لو جالست الناس وجالسوك ؟ فقال : وجدت مقاربة الناس شراً

وقال أبو حذيفة : والله لوددت أن لى إنساناً يكون في مالى ثم أغلق على باباً فلا يدخل على أحد حتى ألحق بالله عز وجل

وقال الحسن : صوامع المؤمنين بيوتهم .

وقال سميد بن المسيب وابن سيرين : العزلة عمادة

وقال عمر بن عبد العزيز : إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس فاقربوا منه فإنه يلقى الحكمة .

---

(١) أى تجعل الرجل ينطق بالقفو .

وكان عثمان بن أبي دهرش<sup>(١)</sup> إذا رأى الفجر أقبل عليه بثَّه وقال : الآن أصير  
مع الناس فلا أدري ما أجنى على نفسي !  
وقال داود الطائي : فرَّ من الناس كما تفر من الأسد .  
وأوصى سفيان الثوري بعض أصحابه فقال : إن استعطمت أن لا تخالط في زمانك  
هذا أحداً فافعل ، وليكن همك مرمة جهازك .  
وكان يقول : هذا زمان السكوت ولزوم البيوت .  
وجاء رجل إلى الفضيل فجلس إليه فقال : ما أجلسك إلى ؟ فقال : رأيتك  
وحدك . فقال : إما أن تقوم عني وإما أن أقوم عنك . فقال : أنا أقوم أو وصي . فقال :  
أخف مكانك واحفظ لسانك .  
وجاء رجل إلى شُعيب بن حرب فقال : ما جاء بك ؟ فقال : جئت أونسك .  
فقال : أنا أعالج الوحدة منذ أربعين سنة !  
وقال مالك بن أنس : كان الناس الذين مضوا يحبون العزلة والانفراد من الناس .  
وقال بشر الحافي : مَنْ عَامَلَ الله بالصدق استوحش من الناس .  
وقد كان أحمد بن حنبل يحب العزلة وإبراهيم بن أدهم وسليمان الخواص  
ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشي في خلق كثير .

\*\*\*

واعلم أن العزلة لا ينبغي أن تقطع عن العلم والجماعات ومجالس الذكر والاحتراف  
للمائلة ، وإنما ينبغي أن يعتزل الإنسان ما يؤذي<sup>(٢)</sup> ، وقد يُخاف من الخالطة المباحة  
أذى فيجتهد الإنسان في ترك ما يخاف عواقبه .

---

(١) عثمان بن أبي دهرش : المدني ، يروي عن رجل من آل الحكم من النبي صلى الله عليه وسلم ،  
روى عنه ابن عيينة ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٢ / ١٢٣ .  
(٢) ١ : من يؤذي .

ويَبْمد حضورُ القلب مع المخالطة للناس ، إلا أن يكون لمعنى .

وقد قال شعيب بن حرب : الناس ثلاثة : رجلٌ تعلمه فيقبل منك ، ورجل تعلم منه ، واهرب من الثالث .

وقد كان الثوري يقول : أقلّ من معرفة الناس .

وقال إبراهيم بن أدهم : لا تعرف إلى من لا تعرف وأنكر من تعرف !

إني نظرتُ إلى الزمان	ن وأهله نظراً كفاني
فعرفته وعرفتهم	وعرفت عِزِّي مِنْ هَوَانِي
فحملت نفسي بالقنا	عة عنهم وعن الزمان
وتركتها بعفاهم	والزهد في أعلى مكان
فلذلك أجنب الصديق	ق فلا أراه ولا يراني
فتمجّبوا لمعالي <sup>(١)</sup>	وهب الأفاصي والأداني
واسلّ من بين الزحان	م فإله في الخلق ثاني

\* \* \*

وفصل الخطّاب في هذا : أن الناس على ضربين : عالم وعابد . فالعالم لا ينبغي له أن ينقطع عن نفع الناس فإنه خلف الأنبياء ، وليعلم أن هداية الخلق أفضل من كل عبادة . وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعليّ عليه السلام : « والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم »<sup>(٢)</sup> . فمتى ما جاء الشيطان فحسن للعالم الانقطاع عن الخلق في الجملة فذاك خديعة منه ، واتقد حسن لكثير<sup>(٣)</sup> من السلف

(١) المعالي : التي قطع عهد مع الناس - والقلت يسكون اللام : الإقالة في الشراء .

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد وكتاب فضائل الصحابة وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة

حديث رقم ٣٥ .

(٣) ١ : الخلق من السلف .

دَفَنَ كَتَبَهُمْ وَمَحَوَّ عَلَيْهِمْ وَهَذَا مِنَ الْخَطَا الْعَجِيبِ ، بَلْ يَنْبَغِي لِلْعَالَمِ أَنْ يَتَزَلَّ عَنْ شَرٍّ مِنْ يُوْذِي وَيَبْزُزْ لِمَنْ يَسْتَفِيدُ ، فَظَهَرَهُ أَفْضَلُ مِنْ إِخْفَائِهِ .

فَأَمَّا إِنْ كَانَ عَابِدًا فَالْعَابِدُ لَا يَنَافَسُ فِي هَذَا ، فَإِنْ مِنَ الْقَوْمِ مَنْ شَفَلَتْهُ الْعِبَادَةُ ، كَمَا رَوَى أَنَّ الْحَسَنَ رَأَى رَجُلًا مَتَمِّدًا فَأَتَاهُ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا يَمْنَعُكَ مِنْ مَجَالَسَةِ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَا أَشْغَلَنِي عَنْ النَّاسِ . قَالَ : فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ الْحَسَنَ ؟ فَقَالَ : مَا أَشْغَلَنِي عَنْ الْحَسَنِ . قَالَ : فَمَا الَّذِي شَغَلَكَ عَنِ الْحَسَنِ ؟ قَالَ : إِنِّي أُمَمِي وَأَصْبَحَ بَيْنَ ذَنْبٍ وَنِعْمَةٍ ، فَرَأَيْتُ أَنَّ أَشْغَلَ نَفْسِي بِالِاسْتِغْفَارِ لِلذَّنْبِ وَالشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى النِّعْمَةِ . فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ عِنْدِي أَوْفَقُهُ مِنَ الْحَسَنِ !

وَقَالَ رَجُلٌ لِعَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ : قِفْ فَكَلِّمْنِي . فَقَالَ : أَمْسِكِ الشَّمْسَ !  
وَمِنَ الْقَوْمِ مَنْ اسْتَفْرَقَتْهُ مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى وَالْأَنْسَ بِهِ فَاسْتَوْحَشَ مِنَ الْخَلْقِ . قِيلَ لِعَزْوَانِ الزَّاهِدِ : لَوْ جَالَسْتَ إِخْوَانَكَ ؟ فَقَالَ : إِنِّي أَصِيبُ رَاحَةَ قَلْبِي فِي مَجَالَسَةِ مَنْ عِنْدَهُ حَاجَتِي .  
تَعْبِي رَاحَتِي وَأُنْسِي انْفِرَادِي      وَشِفَائِي الضَّنَّ وَنَوْمِي سُهَادِي  
لَسْتُ أَشْكُو بَعَادَ مَنْ صَدَّ عَنِّي      أَيْ بُعِدَ وَقَدْ ثَوَى فِي فُؤَادِي  
هُوَ يَخْتَالُ بَيْنَ قَلْبِي وَعَيْنِي      هُوَ ذَاكَ الَّذِي يُرَى فِي السَّوَادِ  
فَهَؤُلَاءِ عَزَلْتَهُمْ أَصْلَحَ لَهُمْ ، بَلْ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَشْفَلَهُمُ الْعِزْلَةُ عَنِ الْجَمَاعَاتِ وَمَجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ ، فَإِنْ فَعَلُوا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ . وَإِنَّمَا نَأْمُرُ الْعَوَامَّ بِاعْتِزَالِ الشَّرِّ ، فَحَسْبُ فَإِنَّهُ الْجِهَادُ فِي حَقِّهِمْ .

وَاعْلَمْ أَنَّ السَّمْعَ يَوْصَلُ إِلَى الْقَلْبِ خَبَرَ الْمَسْمُوعَاتِ وَالْبَصَرَ خَبَرَ الْمَنْظُورَاتِ ، وَرَبَّ نَظَرَةٍ نَقَشَتْ فِي الْقَلْبِ صُورَةً فَبَعْدَ مَحْوِهَا ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ فَيَتَغَيَّرُ قَلْبُهُ ، وَالْعِزْلَةُ تَوْجِبُ السَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ . وَقَدْ كَانَ فِي الصَّالِحِينَ مَنْ إِذَا خَرَجَ لِلسُّوقِ فَكَسَبَ مَا يَكْفِيهِ قَامَ إِلَى الْمَسْجِدِ .

فَالْبِدَارَ الْبِدَارَ إِلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ بِالْعِزْلَةِ عَنْ كُلِّ مَا يُوْذِي .

### (الكلام على البسملة)

مَا عَذَرُ مِنْ جَرٍّ عَاصِيَا رَسْنَهُ      مَا عَذَرَهُ بِعَدَّ أَرْبَعِينَ سَنَهُ  
أَكَلَمَا طَالَتِ الْحَيَاةُ بِهِ      أَطَالَ عَنْ أَخَذِ حِذْرَهُ وَسَنَهُ<sup>(١)</sup>  
قُلْ لِي إِذَا مِتُّ كَيْفَ تَنْقُصُ مِنْ      سِبْطَةٍ أَوْ تَزِيدُ فِي حَسَنَةٍ

يا مريضاً ما يعرف أوجاعه ، يا مضيق العمر بالساعة والساعة ، يا كثير الغفلة وقد دنت الساعة ، يا ناسياً ذِكرَ النار إنها لنزاعة ، كأنه وملك الموت قد أزعجه وأراعه ، وصاح بالنفس صبيحة فقالت: سمعاً وطاعة ، ونهضت تعرض كاسد التوبة ، وهيهات بخلق الباعة يا سيئي النظر لنفسه في وجه شمس فهلك غيماً ، بين دائك ودوائك حجاب ، لو أهمتك نفسك سميت لها في الخلاص ، لو رضيت بالبلغة ما استرهن قلبك كسب الحطام ، لو قنعت كلاب الصيد بالمنبذ ما كانت السواجير<sup>(٢)</sup> في حلوقها .

\* \* \*

طَلَبْتُكَ يَا دُنْيَا فَأَعَذَدْتُ فِي الطَّلَبِ      فَمَا نِلْتُ إِلَّا الْهَمَّ وَالْفَمَّ وَالنَّصَبَ  
فَمَا بَدَأَ لِي أَنْتَى لَسْتُ وَاصِلًا      إِلَى لَذَةٍ إِلَّا بِأَضْعَافِهَا تَعَبَ  
وَأَسْرَعْتُ فِي ذَنْبِي وَلَمْ أَقْضِ شَهْوَتِي      هَرَبْتُ بِدِينِي<sup>(٣)</sup> مِنْكَ إِنْ نَفَعَ الْهَرَبُ  
تَسَرَّبَلْتُ أَخْلَاقِي قُنُوعًا وَعِفَّةً      فَمَعْدَى بِأَخْلَاقِي كَفُورٌ مِنَ الذَّهَبِ  
وَلَمْ أَرْحَظْ كَالْقُنُوعِ لِأَهْلِهِ      وَأَنْ يُجْمَلَ الْإِنْسَانُ مَا عَاشَ فِي الطَّلَبِ

يا من قد مال بالآمال إلى جمع المال ، كأنك به إلى غيرك قد ما ، وأعجبا بالحرص تجمعونه ، وبالأمل تحفظونه ، وبالغفلة تأكلونه ، وفي الهوى تصرفونه ، المال نعمة فمن أنفق بعضه في الخير أقام للباقي حارسا ، إذا سمعت النعمة نعمة الشكر ألبت ولبت

(١) الوسن هنا : النوم .

(٢) السواجير : جمع ساجور وهو خشبة تطلق في عنق الكلب .

(٣) ١ : هربت بدني .



بالمزيد وإذا لم تُشكر وقد وفرت نذرت وما كلُّ شاردٍ بمردود ، وأعجابه من فرح بلذة  
يعلم سرعة زاولها ، وأعجبُ من ذلك الحساب عليها .

أشدُّ القَمِّ عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه زوالاً

\* \* \*

أين من لبس الحرير والقز ، وحرك الجواد تحته وهز ، وتهاظم على أبناء جنسه  
وعز ، وقهر وغلب وسلب وبز ، ذبحه سيفُ النون وما قطع ولا حز ، فسلب  
الحبيبُ بعد فراقه وجز<sup>(١)</sup> ، وأكله الدودُ وقد كان يستزرى الأوز ، بينا هو قد رخص  
فى أغراضه وكرَّ خرَّ فقيل : كيف بات ؟ قيل : مرَّ . فألبسه الفاصل ثوباً لا كفه  
ولا رز<sup>(٢)</sup> ، فرحل عن داره التى بها اغتر ، واستعمل الحفارُ لنهيده لحدّه المرَّ<sup>(٣)</sup> ، واستلبه  
جذباً عنيفاً وجز ، ورجع أهله لا يقدرّون له على نفع ولا ضر ، وندم حين سكن البرّ  
إذا ما اتقى ولا برّ ، وطُوب بما أهلك من عمل وأسر ، ووجد الله وقد أحصى عليه الذر ،  
وبقى مكانه أسيراً لا يرى إلا الشر .

هذى منازلهم وقد رحلوا وعلى الكراهة غيرها نزّلوا  
رحلوا وأبقوها لغيرهم إن المنازل والغنى دُول<sup>(٤)</sup>  
شادوا مَبَانِيهَا وما سكنوا إلا نزول الضيف وانتقلوا  
وتفرقت عنهم أقاربهم وجنودهم وخلوا بما عملوا  
يا أمل الدنيا وقد عصفت بالناس قبلك خانك الأمل  
أزوم جهلاً أن تقيم بها ووراءك الأيام والأجل

(١) تسلبت المرأة : أهدت على زوجها . وجزت : غلبت رأسها .

(٢) كف الثوب : غطاء حاشيته ، وهى الخياطة الثانية . وزره : جعل له أزراراً .

(٣) المر بفتح الميم : المسعاة . (٤) ١ : إن المنازل فى السكنى لها دُول .

يا هذا إذا أسلمك الأتراب ، تسلمك التراب ، كيف يفرح بحياته من يعلم أنها مطية  
مئاته ، يا من هجم الشيطان عليه وهو في بادية المحالفة<sup>(١)</sup> ، فسبأه فباعه فاشتراه الهوى  
بشئ بخس ، تالله لو كنت في حصن التقى ما قدر عليك ، إلى كم يستخدمك الهوى  
وأنت حر طال تشبهك في التلبط بزحل فانهض بحركة عطاردي في الحرب مما يؤذى .

نعرّض لجياد المجاهدين لعل بعضهم يستصحبك .

أما بلفك لطف : هل من سائل ؟ أما سمعت عفو : هل من تائب ؟ .

\* وتذنبون فئاتكم فتمتدّر<sup>(٢)</sup> \*

لا تيأس فباب الرجاء مفتوح ، لا تلمني بيدك فقلّم القبول يلموح :

عسى وعسى من بعد طول التفرق على كل ما أرجو من العيش<sup>(٣)</sup> نلتقي  
ولو ظفرت عيني بروباك ساعة لكنت على عيني من العين<sup>(٤)</sup> أتقي

إخواني : ليس كل من قال : أنا تائب كان تائبا ، إنما التائب من صبر على  
فقد الأغراض صبر السحرة<sup>(٥)</sup> على الصلب ، واعتذر من جنائياته اعتذار النابغة إلى  
النعمان<sup>(٦)</sup> ، وخضع خضوع الجرب للطالي<sup>(٧)</sup> ، وتضرّع تضرع الصبي إلى المؤدّب .

لا تنأ وإن طردت ، ولا تبرح وإن زجرت :-

إذا هجروا عزّا وصلنا تذالّا وإن بعدوا بأسا قرُبنا تعللّا  
وإن أغلقوا بالهجر أبواب وصلهم وقالوا ابعدوا عنا طلبنا التوصلّا

(١) شبه القنوب بالمهراء التي يضل فيها المسافر . وسبأه : أسره .

(٢) هذا مجز بيت من أشعار الصوفية وصدره :

إذا مرضنا أتيناكم نمودكم

(٣) في قرة العيون : الخير . (٤) العين هنا مجاز عن الحمد .

(٥) أي سحرة فرعون الذين اتبعوا موسى .

(٦) النابغة الديبائي صاحب الاعتذاريات الطويلة إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة .

(٧) أي خضوع النابغة الجرباء لمن يطلبها بالهناء لتبرأ .

وإن ممنونا أن نَجُوزَ بأرضهم ولم يسموا الشكوى وردُّوا التوسُّلاً  
أشَرْنَا بِسَلِيمٍ. وإن بَعْدَ الْمَدَى إِلَيْهِمْ وَكَلَّفْنَا الرِّيحَ لِنَخْمَلَا<sup>(١)</sup>

الكلام على قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع »<sup>(٢)</sup>

تتجافى أى ترتفع . والآية فى قَوَامِ الليل .

أخبرنا هبة الله بن محمد بسنده عن معاذ بن جبل ، عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« تتجافى جنوبهم عن المضاجع » قال : قيام العبد من الليل .

قال أحمد : وحدثنا علي بن عبد الله بسنده عن أبي سعيد الخدرى قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة يضحك الله إليهم : رجل يقوم من الليل ،  
والقوم قد صَفُّوا للصلاة ، والقوم إذا صَفُّوا للقتال »<sup>(٣)</sup> .

قال أحمد : وحدثنا رَوْحٌ وعفان ، قال : أنبأنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا عطاء

ابن السائب ، عن مُرَّة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عَجِبَ

ربنا من رجلين : رجلٌ ثار عن وِطَآنِهِ ولخافه من بين حِجَبِهِ وأهله إلى صلاته فيقول

ربُّنا : يا ملائكتى انظروا إلى عبدى ثار من فراشه ولخافه من بين حِجَبِهِ وأهله إلى

صلاته رغبة فيما عندى وشفقة مما عندى . ورجل غزا فى سبيل الله عز وجل فانهزم فلم

ما عليه فى الفرار وماله فى الرجوع فرجع حتى أُهْرِيقَ دَمُهُ فيقول الله عز وجل : انظروا

إلى عبدى رجع رغبةً فيما عندى ورهبةً مما عندى حتى أُهْرِيقَ دَمُهُ »<sup>(٤)</sup> .

وروى أبو أمامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عليكم

بقيام الليل فإن دَابَّ الصالحين قبلكم وهو قُرْبَةٌ إلى ربكم ومفخرة للسنين ومَنْهَةٌ

عن الإثم » .

(١) : التمهلا . (٢) سورة السجدة ١٦ . (٣) مسند أحمد ٣ / ٨٠ .

(٤) مسند أحمد ١ / ٤١٦ .

وقال الحسن البصري : لم أجد من العبادة شيئاً أشدَّ من الصلاة في جوف هذا الليل .

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : فينا نزلت مباشرة الأنصار : « تنجاني جنوبهم عن المضاجع » كنا نصلى المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلى العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم .

\* \* \*

واعلم أن السلف كانوا في قيام الليل على سبع طبقات

الطبقة الأولى : كانوا يُحْيُونَ كُلَّ الليل ، وفيهم من كان يصلى الصبح بوضوء

العشاء . وكان ابن عمر يحى الليل . ومن القوم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدائني ، وفُضَيْل بن عِيَّاض ، وهيب<sup>(١)</sup> ابن الورد المكيان ، وطاووس وهب ابن منبه اليمانيان ، والربيع بن خُثَيْم والحكم الكوفيان ، وأبو سليمان الداراني وعلى ابن بكَّار الشاميان ، وأبو عبيد الله الخواص وأبو عاصم البغداديان ، ومنصور ابن زاذان وهشيم الواسطيان ، وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلماني الفارسيان ، ومالك ابن دينار وسليمان القمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت ويحيى البكاء البصريون .

الطبقة الثانية : كانوا يقومون شَطْرَ الليل ، منهم عبد الله بن عباس . قال ابن

أبي مُلَيْكَةَ : صحبته وكان يقوم شَطْرَ الليل يُكْثِرُ في ذلك والله التسبيح .

الطبقة الثالثة : كانوا يقومون ثلث الليل . وفي الصحيحين من حديث عبد الله

ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أحبُّ الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ، وينام سدسه<sup>(٢)</sup> » .

---

(١) في قرعة العميون : وهشيم بن الورد .

(٢) صحيح البخاري كتاب الأنبياء . وصحيح مسلم كتاب الصيام حديث رقم ١٨٨ ، ١٨٩ .

وفي حديث عمرو بن عبسة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تسكون من يذكر الله عز وجل في تلك الساعة فكن .

وروى أن داود عليه السلام قال : يا رب أى ساعة أقوم لك ؟ فأوحى الله عز وجل إليه : لا تقم أول الليل ولا آخره ، ولكن قم في وسط الليل حتى تخلو بي وأخلو بك <sup>(١)</sup> وارفع إلى حوائجك .

وسأل داود عليه السلام جبريل عليه السلام : أى الليل أفضل فقال : ما أدرى ، إلا أن العرش يهتز في السحر <sup>(٢)</sup> .

الطبقة الرابعة : كانوا يقومون سُدس الليل أو خُصه .

الطبقة الخامسة : كانوا لا يراعون التقدير ، وإنما كان أحدهم يقوم إلى أن يغلبه النوم فينام ، فإذا انتبه قام . قال سفیان الثوري : إنما هي أول نومة فإذا انتبهت فلا أقبلها .

الطبقة السادسة : قوم كانوا يصلُّون من الليل أربع ركعات أو ركعتين . وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صلُّوا من الليل ولو أربعاً صلُّوا ولو ركعتين » . وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من استيقظ من الليل وأبْقَظ امرأته فصلِّياً جميعاً ركعتين كُتِبَا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات <sup>(٣)</sup> » .

الطبقة السابعة : قوم يُحْيُون ما بين المشاءين ويصلُّون في السحر فيجمعون بين الطرفين .

---

(١) يحمل ذلك كله على المجاز . وليس لهذه الأخبار طريق يستند به .

(٢) سنن أبي داود كتاب الوتر باب ١٣ . وسنن ابن ماجه كتاب الإقامة باب ١٢٥ .

( التبصرة ٢١ / ٢ )

وفي أفراد مسلم من حديث جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن في الليل لَساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا آتاه إياه وذلك كل ليلة <sup>(١)</sup> » .

ومن أراد قيام الليل فلا يكثر من الأكل والشرب ولا يُتعب أعضائه في النهار بالكدة ولا بعمل ممصية ، ويستعمل بالقيلولة .

وأما آداب الباطن : فإن يكون القلب سليماً للمسلمين ، ولا بد له من خوفٍ مُقلق أو شوقٍ مُزعج .

كان شدّاد بن أَوْس إذا أوى إلى فراشه كأنه حَبَّةٌ على مَقْلَى ثم يقول : اللهم إن جهنم لا تدعني أنام فيقوم إلى مُصلّاه .

وكان طاووس يفرش فراشه ثم يضطجع فيتقلّى كما تتقلّى الحبة على المقلى ثم يثب فيقطهر ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول : طيّر ذِكْرُ جهنم نومَ العابدين !

وقالت بنت الربيع بن خُثَيْمَ له : يا أبت مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام فقال : يا بنية إن أباك يخاف البَيَّات <sup>(٢)</sup> .

وقالت أم عمر بن المنكدر : يا بنى أشتهى أن أراك نائماً . فقال : يا أماه والله إن الليل ليردُّ علىَّ فيهُوَلنى فينقضى عَنى وما قضيتُ منه أَرْبَى .

وكان زُمنة العابد يقوم فيصلى ليلاً طويلاً فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته : يا أيها الركب المرسّون أكل هذا الليل ترقدون ألا تقومون فترحلون .

فيُسمع من هاهنا بالكَ ومن هاهنا داعٍ ومن ههنا متوضّئ ؟ فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته يقول : عند الصباح يحمّد القومُ الشرى .

(١) صحيح مسلم كتاب المسافرين حديث رقم ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) البَيَّات : الأخذ على غرة .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب بسنده عن أحمد بن أبي الحواري قال : دخلت على أبي سليمان وهو يبكي فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال لي : يا أحمد ولم لا أبكي وإذا جنَّ الليلُ ونامت العيون وخلا كلُّ حبيب بحبيبه ، وافترش أهلُ الحجة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وقطرت في محاريبهم ، أشرف الجليل سبحانه وتعالى فنادى جبريل : بعيني من تلذذ بكلامى فلم لا تنادى فيهم : ما هذا البكاء ؟ هل رأيتم حبيبا بمذنب أحبابه ؟! أم كيف يحمل بي أن أعذب قوما إذا جنَّهم الليلُ تملقوني ؟ في حلفت إذا وردوا علىَّ في القيامة لأكشفن لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا إلىَّ وأنظر إليهم .

وقال أحمد بن أبي الحواري أيضا : سمعت أبا سليمان يقول : بينا أنا ساجد ذهب بي النوم فإذا أنا بمحوّراء قد ركضتني برجلها وقالت : حبيبي أترقد ولعلك يمتطآن ينظر في المهجدين في تهجدهم ! بؤسا لعين آثرت لذة نومة على لذة مناجاة العزيز ، قم فقد دنا الفراغ وأقبح الحبون بعضهم بعضا فما هذا الرقاد حبيبي وقرة عيني ؟ أترقد عيناك وأنا أرتب لك في الخلدور ؟ فوثبت فزعاً وقد عريت استحياء من توبيخها إياي وإن حلاوة منطنتها لفي سمى وقلبي .

\*\*\*

وكان أبو بكر رضى الله عنه لقصر أمه يوتر أول الليل وعمر لتأميل الخدمة يؤخره إلى آخر الليل . وعثمان يتعبد في آناء الليل . وعلى يستغفر في أواخر الليل . قام القوم على أقدام « قم الليل » فبان في القوم سرُّ « وتعلبك في الساجدين » لولا قيام تلك الأقدام ما كان <sup>(١)</sup> يؤدّى حق « هل من سائل » يا غافلين عما نالوا ، لقد ملتم عن التقى وما مالوا ، قاموا في غفلات الراقدين فتوبلوا بجزاء لم يطلع عليه الغير غيرهم .

(١) قرة العيون : من كان يؤدى .

ما أطيب أهلهم في المناجاة ، ما أقربهم من طريق النجاة ، ما أقل ما تعبوا وما أبسر ما نصبوا ، وما كان إلا القليل ثم نالوا ما طلبوا ، لوداق الفافل شراب أنسهم في الظلام أو سمع الجاهل صوت حنينهم في القيام ، وقد نصبوا الميا انتصبوا له الأقدام ، وترنموا بأشرف الذكر وأحلى الكلام ، وضربوا على شواطئ أهبار الصدق الحليام ، وركزوا على باب اليقين بالحق الأعلام ، وزموا مطايا الشوق إلى دار السلام ، وسارت جنود حبهم والناس في الغفلة نيام ، وشكوا في الأسعار ما يلقون من وقع الغرام ، ووجدوا من لذة الليل ما لا يخطر على الأوهام ، وإذا أسفر النهار تلقوه بالصيام وصابروا المهاجر بهجر الشراب وترك الطعام ، وتدرعوا دروع التقى خوفاً من الزلزال والآثام ، فنورهم يُخجل شمس الضحى ويُرزى<sup>(١)</sup> بذر التمام ، فلاجلهم تُنبت الأرض ومن جرّاهم يجرى الغمام ، وبهم يُسامح الخطّاءون ويُصفح عن أهل الإجمام ، فإذا نازلهم الموت طاب لهم كأس الحِمَام ، وإذا دفنوا في الأرض فخرت بحفظها تلك العظام ، فملى الدنيا إذا ماتوا من بعدهم السلام .

تتجافى جنوبهم	عن لديد المضاجع
كلهم بين خائف	مُستَجِيرٍ وطامع
تركوا لذة الكرى	للميمون المهاجر
ورعوا أنجم الدجى	طالماً بعد طالع
واستهلت دموعهم	بانصباب الدامع
فأجيبوا إجابة	لم تقع في السامع
ليس ما تصنعونه	أو ليأنى بضائع
تاجرونى بطاقي	ترنجوا في البضائع

(١) الأصل : ويؤذى . وما أثبتته عن مرة الميمون ٢ / ٨٨ .



وابذلوا لى نفوسكم إنها فى ودائى<sup>(١)</sup>

\*\*\*

لو رأيت رياح الأسفار تحرك أشجار القلوب فتقع ثمار المحبة !  
يا لذة خلوتهم بالحبيب ، يا وفور نصيبهم من ذلك النصيب

هبت رياحُ وصاهم سَحَرًا	لحدائق الأشواق فى قلبى
واهتز عودُ الوصل من طرب	وتناقت نمرٌ من الحبِّ
ومضت خيولُ الهجر سادِرةً	مطرودةً بساكر القرب
وبدت شمسُ الوصل خارقةً	بشعاعها لسُراق الحجب
وصفاً لنا وقت أضاء به	وجهُ الرضا عن ظلمة العتب
وبقيتُ ما شئ أشاهده	إلا ظننت بأنه حيٌّ

السجع على قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع »

لو رأيتهم بين ساجد وراكع ، وذليل مخول متواضع ، ومنكسر الطرف من  
الخوف خاشع ، فإذا جنَّ الليلُ حنَّ الجازع « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » .  
نفوسهم بالحبة عُلقت ، وقلوبهم بالأشواق فُلقت ، وأبدانهم للخدمة خُلقت ،  
يقومون إذا انطبقت أجفان الماحج : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » .  
يبادرون بالعمل الأجل ، ويجهدون فى سد الخلل ، ويمتدرون من ماضى الزلّ ،  
والدمع لهم شافع « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » .

سبق والله التوم ، بكثرة الصلاة والصوم ، فإذا أقبل الليلُ حاربوا النوم والمزَم<sup>(٢)</sup>

فى الطوالع « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » .

ينادى منادى تائبهم: لا أعود ، والمزمنم ينعم بالقبول ويجود ، هم والله من الكون  
المنصود ، فما حيلة المطرود والمعطى مانع « تتجاف جنوبهم عن المضاجع » .  
كن يا هذا رفيقهم ، وأُجْ وإن شقَّ مَضِيْقهم ، واسلك ولو يوماً طريقهم فالطريق  
واسع « تتجاف جنوبهم عن المضاجع » .

اهجر بالنهار طيبَ الطعام ، ودَعْ في الدُّجَى لذيذَ المنام ، وقل لأغراض النفس :  
سلام ، والله يدعو إلى دار السلام ، فما يُقْعِدُ السامع « تتجاف جنوبهم عن المضاجع » .  
يا من يرجو مقام الصالحين ، وهو مقيم مع الغافلين ، وبأمل منازل المقربين ، وهو  
ينزل مع المذنبين ، دَعْ هذا الواقع . الصدقَ الصدقَ فيه تَسْلَم ، الجِدَّ الجِدَّ فيه تَقْنَم ،  
البِدَارَ البِدَارَ قبل أن تَنْدَم ، هذا هو الدواء النافع « تتجاف جنوبهم عن المضاجع »  
والله أعلم .

## المجلس التاسع في ذكر الأمر بالمعروف

الحمد لله مدبر الليالي والأيام، ومصرف الشهور والأعوام، المنفرد بالكمال والتمام، الملك القدوس السلام، تنزه جلاله عن درك الأفهام، وتعالى كماله عن إحاطة الأوهام، ليس بجسم فيشبه الأجسام، ولا بمنجوف فيحتاج للشراب والطعام، ارتدى برداء الكبرياء والإعظام، وأبصر ما في بواطن العروق ودواخل العظام، وسمع أخفى القول وألطف الكلام، لا يعزب عن سمعه صريف الأقدام، ولا يخفى على بصره ديب النمل تحت سجب الظلام، إله رحيم عظيم الإنعام، ورب قدير شديد الانتقام، قدر الأمور فأحسن إحكام الأحكام، وصرف الحكم في فنون النقص والإبرام، بقدرته هبوب الريح ونسيم الغمام، « ومن آياته الجوارى في البحر كالأعلام »<sup>(١)</sup>.

أحمد حمدًا يبقى على الدوام، وأقر بوحدانيته كافرًا بالأصنام. وأصلى على رسوله محمد شفيع الأنام، وعلى صاحبه أبي بكر أول سابق إلى الإسلام، وعلى عمر الذي كان إذا رآه الشيطان هام، وعلى عثمان الذي أنهض جيش الصرة بنفخته وأقام، وعلى عليّ البحر الغطامط<sup>(٢)</sup> والأسد الضرغام، وعلى همه العباس أبي الخلفاء الأعلام.

\* \* \*

اعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل الدين، فإنه شغل الأنبياء، وقد خلفهم فيه خلفاؤهم، ولولاه شاع الجهل وبطل العلم. أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله شيراركم على خياركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم »<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الشورى ٣٢ (٢) الغطامط: العظيم الأوامج. وفي قرعة السيون الخضم.

(٣) سنن أبي داود كتاب الملاحم باب رقم ١٧ وسنن الزمعي كتاب الفتن باب رقم ٩.

أخبرنا علي بن عبد الله بسنده عن جرير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« ما من قومٍ فيهم رجلٌ يعمل بالمعاصي وهم أعزُّ منه وأمنع لا يغيرون إلا أصابهم  
الله بمقاب »<sup>(١)</sup>.

واعلم أنه قد اضمحل في هذا الزمان الأمر بالمعروف حتى صار المعروف منكرا  
والمُنكر معروفاً ، وهذا زمن قوله عليه الصلاة والسلام : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود  
كما بدأ »<sup>(٢)</sup>.

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً للمُنكر والساكِت عن الإنكار .  
أخبرنا ابن الحصين بسنده إلى عامر قال : سمعت النعمان بن بشير يخطب - وأوماً  
بإصبعه إلى أذنيه - : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن مثل القائم على  
حدود الله والواقع فيها والمداهن فيها مثل قوم ركبوا سفينة فأصاب بعضهم أسفلها  
وأوعرها وشرها ، وأصاب بعضهم أعلاها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء  
مرؤوا على من فوقهم فأذوهم ، فقالوا : لو خرّقنا في نصيبنا خرّقا واستقيننا منه ولم نُؤذ  
من فوقنا ، فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجواً جميعاً » .  
أخرجاه في الصحيحين<sup>(٣)</sup> .

واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الخلق .  
وفي أفراد مسلم من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من  
رأى منكراً منكراً فاستطاع أن يغيّره بيده فليفعل ، فإن لم يستطع يبيّنه فليسلّمه ، فإن لم  
يستطع فليقلبه وذلك أضف الإيمان »<sup>(٤)</sup> .

(١) سنن ابن ماجه كتاب الفتن باب رقم ٢٠ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٣٢ .

(٣) صحيح البخاري كتاب العرّة باب ٦ وصحيح الترمذی كتاب الفتن .

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٧٨ .

وفي حديث أبي سعيد أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل : ما أفضل الجهاد ؟ قال : « كلمة عدل عند سلطان جائر <sup>(١)</sup> » .

وقال الشافعي رحمه الله : أشد الأعمال ثلاثة : الجود من قلة ، والورع في خلوة وكلمة حق عند من يَرْجَى وَيُخَاف .

وفي حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم فقد تودّع منهم <sup>(٢)</sup> » .

وفي حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن من كان قبلكم كانوا إذا عمل العامل منهم بالخطيئة نهاه الناهي تذكيرا ، فإذا كان الفد جالسة وواكله وشاربه كأنه لم يره على خطيئته بالأمس ، فلما رأى الله عز وجل ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ، والذي نفسى بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفية فلتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم <sup>(٣)</sup> » .

وفي حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله عز وجل بعقابه <sup>(٤)</sup> » .  
وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله شراركم على خياركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » .

(١) سنن أبي داود كتاب الملاحم باب رقم ١٧ وصحيح الترمذي كتاب الفتن باب ١٣ . ومسنند

أحمد ٣ / ١٩ / ٦١ .

(٢) مسند أحمد ٢ / ١٦٣ ، ١٩٠ .

(٣) أخرجه نحوه الترمذي في كتاب التفسير سورة اللائدة وأبو داود في سننه كتاب الملاحم باب ١٧

وابن ماجه في كتاب الفتن من سننه باب ٢٠ .

(٤) صحيح الترمذي كتاب الفتن .

قال مالك بن دينار : قرأت في التوراة : من كان له جار يعمل بالمعاصي فلم يَنْهه  
فهو شريكه .

وقال مسعر : أمر ملك أن يخسف بقرية فقال : يارب فيها فلان العابد . فأوحى الله  
تعالى إليه : أن به فابدأ فإنه لم يتمر<sup>(١)</sup> وجهه في ساعة قط .

\* \* \*

وينبغي للآمر بالمعروف أن يُلطف فقد قال الله تعالى : « فقولاً له قولاً ليناً<sup>(٢)</sup> »  
ومر أبو الدرداء برجل قد أصاب ذنباً وكانوا يسبّونه فقال لهم : أرايتم لو وجدتموه  
في قليب<sup>(٣)</sup> ألم تكونوا مُستخرجيه ؟ قالوا : بلى . قال : فلا تسبّوا أخاكم واحداً  
الله الذي عاقكم . قالوا : أفلا تُبْفِضْه ؟ قال : إنما أبفض عمله فإذا تركه فهو أخى .  
ورأى محمد بن المنكدر رجلاً يكلم امرأة في موضع خرب فقال : إن الله تعالى  
برأ كما سترنا الله وإياكم .

أخبرنا ابن ناصر بسنده عن ثابت البناني قال : كان صلة بن أشيم<sup>(٤)</sup> يخرج إلى  
الجَبَّان فيتعبد فيها وكان يمر على شباب يلهمون ويلعبون فيقول لهم : أخبروني عن قوم  
أرادوا سفراً فخذوا بالنهار عن الطريق وناموا بالليل متى يقطعون سفرهم ؟ فكان  
كذلك يمر بهم فيعظمهم ، فر بهم ذات يوم فقال لهم ذات يوم هذه المقالة ، فقال شاب  
منهم : يا قوم إنه والله ما يعنى بهذا غيرنا ، نحن بالنهار نلهم وبالليل ننام ثم اتبع  
صلة فلم يزل يختلف معه إلى الجَبَّان ويتمتع معه حتى مات .

ومرَّ بِصلة بين أشيم فتى يجرّ ثوبه فهم أصحاب صلة أن يأخذوه بالسنتهم أخذاً  
شدّيدا فقال صلة : دعوني أكفكم أمره . ثم قال له : يا بن أخى إن لى إليك حاجة .

(١) لم يتمر : لم يتغير من الغضب على من يقارفون المنكر .

(٢) سورة طه ٤٤ . (٣) القليب : البئر .

(٤) صلة بن أشيم للمدوى يكنى أبا الصهباء أخبره في صفة الصفوة لابن الجوزي ٣ / ١٣١ .

قال : وما هي ؟ قال : أحب أن ترفع إزارك . قال : نعم ونعمي عين ! فرفع إزاره .  
فقال صلة لأصحابه : هذا أمثل مما أردتم لو شتمتموه وآذيتهمو لستمكم .

وقال سليمان التيمي : ما أغضبت أحداً فقبل منك .

وقال فتح بن شخرف<sup>(١)</sup> : تعلق رجل بامرأة ومعه سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره  
وكان شديد البدن ، فبينما الناس كذلك والمرأة تصيح مرّ بشرّ بن الحارث فدنا منه  
وحك كتفه بكنتف الرجل ، فوقع الرجل إلى الأرض ومرت المرأة ومر بشر ، فدنوا  
من الرجل وهو يرشح عرقاً فسألوه : ما حالك ؟ فقال : ما أدري ولكن حاكني شيخ  
وقال : إن الله عز وجل ناظرٌ إليك وإلى ما تعمل . فضمفت لقوله وهبته هيبةً شديدة  
لا أدري من ذلك الرجل . فقالوا له : ذاك بشر بن الحارث . فقال : واسوأناه كيف  
ينظر إلى بعد اليوم ! وحُمّ من يومه ذاك . ومات يوم السابع .

\*\*\*

وينبغي للآمر بالمعروف أن يحذر من فعل ما نهى عنه وترك ما أمر به .  
فقد أخبرنا عبد الأول بسنده عن أمانة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول : « يُجَاء بالرجل يوم القيامة فيُلْقَى في النار فتندلق أفتابُ بطنه في النار فيدور  
كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ما شأنك ، أليس  
كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه  
وأنهاكم عن المنكر وآتيه .  
أخرجاه في الصحيحين<sup>(٢)</sup> .

(١) فتح بن شخرف بن داود بن زاحم أبو نصر الكشي له ترجمة في صفة الصفوة ٢ / ٢٢٧ .

(٢) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق ، وصحيح مسلم كتاب الزهد حديث رقم ٥١ . ومسنود

واعلم أنه إذا هذب الأمر نفسه أثر قوله إما في زوال المنكر أو في انكسار المذنب أو إلقاء الهيبة له في القلوب .

خرج إبراهيم الخواص لإنكار منكر فنبح عليه كلبٌ فما قدر على الوصول إلى مكان النكر، فرجع إلى مسجده وتفكر ساعة ثم قام فجعل الكلب يتبصّبص حوله ولا يؤذيه حتى أزال المنكر، فسئل عما جرى له فقال : إنما نبح على لفسادٍ دخل على في عقد بيني وبين الله عز وجل فلما رجعت ذكرته فاستغفرت .

### (الكلام على البسملة)

يُسْرُ بِصَفْوِ عَشْتِهِ الْجَهُولُ	وَتُعْجِبُهُ الْإِقَامَةُ وَالْحُلُولُ
وَدُونُ مُقَامِهِ حَادٍ حَمِيطُ	عَنيفُ السَّوْقِ وَالْمَوْتُ السَّبِيلُ
سَبِيلُ مَا تَوَجَّهَ فِيهِ سَفَرُ	فَكَانَ لَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا قُفُولُ
طَرِيقُ يَسْتَوِي لِاخْتَلَقَ فِيهِ	مَسَالِكُهُمْ وَيَخْتَلِفُ الْمَقِيلُ
تَفَرُّهُمْ زَخَارُفُ دَارِ دُنْيَا	غَوَائِلُهَا بِمَقْعَمِهِمْ تَعُولُ <sup>(١)</sup>
تَطُوفُ عَلَيْهِمْ بِكَؤُوسِ لَهْوٍ	وَمَزَجُ كُؤُوسِهَا الدَّاءُ الدَّخِيلُ
وَتَنْصَلُّ وَجْهَهَا لَهُمْ خِدَاعًا	وَتَحْتِ صَقَالِهَا السِّيفُ الصَّقِيلُ

\* \* \*

يا هذا قد صانك بالحلال فلا تبتذل ، وبالقناعة فلا تذلل ، وطهرك من الأدناس فلا تقوسخ ، ودعاك إلى الأرباح فلا تتوقف ، وبمحك إذا خدّمت الدنيا رأت نفسها فتدلّت ، وإذا أعرضت عنها عرفت قدرها فتدلّت ، « اخدمى من خدّمنى واستخدمى من خدّمك » . يا جامع الدنيا لغيره جعما بعوقه عن سيّره .

ماذا تؤمل لا أبالك في مالٍ تموت وأنت تُمكّه

(١) المهم : الحرب . وتقول : تناب ، أى أن غوائل الدنيا وآفاتنا تزيد على أهوال الحروب .



أَنْفَقَ فَإِنَّ اللَّهَ يُخْلِنُهُ لَا تَنْصُرِ مَذْمُومًا وَتَتْرَكُهُ  
مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ فِيهِ قَطُّ مَنَفْعَةٌ مِمَّا جَمَعْتَ فَلَسْتَ تَمْلِكُهُ

\* \* \*

يا هذا : إنما فضل العاقل لنظره في المواقب ، فأما من لا يرى إلا الحاضر فطفل :

تَصْفُو الْحَيَاةَ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يَتَوَقَّعُ  
وَلَنْ يَفَالِطَ فِي الْحَقِيقَةِ نَفْسَهُ وَيَسُومَهَا طِمَعَ الْحَالِ فَتَنْبَعِ

قد أعدَّ لك كأسًا لا يشبه الكؤوس ، موتٌ يسلب الأرواح ويختلس النفوس ،  
ورحلة لا تدري بالسُّمُودِ أو بالنحوس ، إلى لحدٍ ضيقٍ وعرٍ ما مَهَّدَتْهُ الْفُؤُوسُ ، تُحَطُّ  
فيه ذليلاً وأنت مَحْسُوبٌ مَنَكُوسٌ ، لا يُشَبِّهُ الطَّامِيرُ<sup>(١)</sup> ولا يُجَانِسُ الْحُبُوسُ ،  
المدَّرُ فيه فِرَاشٌ والتراب فيه لَبُوسٌ ، أنرى يكون لك روضةً أو يُشَبِّهُ النَامُوسُ<sup>(٢)</sup> ،  
كَمْ مَخْنَةٍ يَلْتَقِي ذَلِكَ الْمَلْقَى الرَّمُوسُ<sup>(٣)</sup> ، رَفَقًا إِذَا وَطِئْتَ الْأَحْدَاثُ فَلَا أَجْدَاثَ تَدُوسُ ، نَمُّ يَنْفَخُ  
فِي الصُّورِ فَتَطِيرُ إِلَى الْأَكْفِ الطَّرُوسُ ، وَتُجَنِّي نَمَارَ الْجَزَاءِ يَوْمَئِذٍ مِنَ قَدِيمِ الْفُرُوسُ ،  
وَتَشْتَدُّ الشَّدَائِدُ فِي قَمَطِيرٍ عَبُوسُ ، وَتَذَلُّ الْعَقَاةُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَفَطِّرُوسُونَ الشُّوسُ ،  
وَيَتَسَاوَى فِي الْخُضُوعِ الْأَتْبَاعُ وَالرَّءُوسُ ، وَتُقَسَّمُ بَيْنَ الْخِلَائِقِ خَالِعُ السُّمُودِ وَمَلَابِسُ  
النَّحُوسِ . وَاعْجِبَا لُجُودَ ذَهْنِكَ وَأَنْتِ فِي الْإِعْرَاضِ تَنُوسُ<sup>(٤)</sup> ، كَمْ بِهِرَجٍ وَرَمَلٍ<sup>(٥)</sup>  
وَكَمْ تُجَلِّي عَلَيْكَ عَرُوسُ ، أَهَذَا الَّذِي تَسْمَعُهُ كَلَامُ الْخَالِقِ أَوْ صَوْتُ النَّاوُوسِ ، بِأَمُوثَرَا  
شَهْوَةِ لَحْظَةٍ تَجْنِي لَهُ حَرْبَ الْبَسُوسِ ، يَا مَنْ قَدْ غَلَبَ الْأَطْبَاءُ دَوَاؤُهُ أَمْرِيضُ أَنْتِ أَمُّ  
تَمْسُوسٍ ، تُعْنَى بِمَلَايِكَةِ « بَقْرَاطَا » وَتُحْمَرُ « جَالِينُوس » ، سَبْعَانِ مِنْ خَلْقِ قَلْبِكَ

(١) الطامير : الحفائر تحت الأرض .

(٢) الأصل : الناووس . والناووس : السمرك - بفتح الراء - وهو الحفرة تحفر ليقع فيها الصيد .  
وهو أيضا : عريضة الأسد .

(٣) الرموس : الذي ألقي في رمسه .

(٤) تنوس : تردد وتذبذب . (٥) والرمل : الهرولة .

من حجارة ، تعالى الملك القدوس ، واعجبا لعقلك ! العريض مبذول والعريض محروس ،  
جل همك مع الدنيا وحظ الأخرى منك مبخوس ، ثوبك جديد صحيح ولكن  
القلب منكوس ، وبلوغ الحمين مُنذر وفي السنين تضرب الكؤوس ، هذا قدر  
النصائح أفاخذك بالدوس .

أنت في دنياك ضيفُ      والتواني منك حيفُ  
مرّ بالقرّ شتاءً      وأتى بالحرّ صيفُ  
خاسرٌ مَنْ نَقَدَهُ حَيْهَ      نَقُومُ السُّوقَ زَيْفُ  
فاغنم أجراً وذِكْراً      حسناً فالوقتُ سيفُ

صح على فرس الجِدِّ وقد فرس الغاية ، مجالس الذكر فصول وتعبئة المواعظ  
شربات <sup>(١)</sup> ، فاصبر على مرارة المركب لعل الأخلاق تجسن .  
واعجبا تفيق في المجلس فتنتطق بلفظ توبة كما يفيق الجنون فيتكلم بكلمة حكمة ،  
فإذا عادت السوداء خلطاً

أيفيق من مرضٍ كئيب      إذا جنّ الظلامُ عليه أنا

متى كان مرض الجسد عن أخلاط مجتمعة سهلت مداواته ، ومتى كان مرض  
الجسد التغير عن فساد في القلب فيا قُرب التلف ، مداواة العنّى ممكن ، وأما مداواة  
الجنون فيتمدّر .

جمعت إعراف اليمامة حكمه      وعرفاف نجدٍ إنهما شفائي  
فقالا : شفاك الله والله ما لنا      بما ضمنت منك الضلوعُ يدان <sup>(٢)</sup>

حظ قلبك من هذا الكلام حظ الصدى من سمك ، علتك علة طريفة بتحيز في

(١) كذا بالأصل .

(٢) البيتان لمروية بن حزام ، وانظر ذم الهوى لابن الجوزي باب ذكر المشتهرين بالعشق .

مثلها المداوى ، تسرع في طلب الدنيا لإسراع جواد وأنت في طلب الآخرة جبان . إن  
لاح لك ذنب وثبت وثب فهد وإن حرّضت على طاعة أخذك فالج ابن أبي دؤاد<sup>(١)</sup> .  
خذ الوقت أخذ اللص واسرقه واختلس فوائده قبل المناسبات الدواب  
ولا تتعامل بالأماني فإنها عطاء أحاديث النفوس الكواذب  
ودونك ورد العرمادام صافيا فخذ وتزوّد منه قبل الشوائب

الكلام على قوله تعالى : « فاذا نفخ في الصور

فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون »<sup>(٢)</sup>

في هذه النفخة قولان : أحدهما : أنها الأولى والثاني : أنها الثانية . والقولان

عن ابن عباس .

وأما الصور فروى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم

عن الصور فقال : « هو قرن ينفخ فيه » .

وقال مجاهد : الصور كهينة البوق . وحكى ابن قتيبة أن الصور القرن في لغة قوم

من أهل اليمن ، وأنشدوا :

نحن نطحنهم غداة الجمعين

بالصامحات في غبار النقمين

نطحا شديدا لا كنطح الصورين

أخبرنا أبو منصور بن محمد بن عبد الملك بن خيرون بسنده عن أبي هريرة قال :

حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه فقال : إن الله تبارك وتعالى

لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضع على فيه

(١) لعله يريد أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد وزير المؤمنين والمنصم .

(٢) سورة المؤمنون ١٠١ .

شاخصٌ يبصره إلى الأرض ينظر متى يؤمر. قلت يا رسول الله وما الصور؟ قال: القرن.  
 قال: قلت: فكيف هو؟ قال: عظيم والذي بمثنى بالحق إن أعظم دائرة فيه كمرض السماء  
 والأرض، فينفخ ثلاث نفخات: النفخة الأولى نفخة الفزع. والثانية نفخة الصعق.  
 والثالثة نفخة القيام لرب العالمين عز وجل، فيأمر الله عز وجل إسرافيل بالنفخة الأولى  
 فيقول: انفتح نفخة الفزع فينفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات والأرض إلا من  
 شاء الله، فيأمره فيمدها وبطيلها فلا يفتقر وهي التي يقول الله عز وجل: «وما ينظر  
 هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من قواق»<sup>(١)</sup> فيسير الله تعالى الجبال فتعمر مر السحاب  
 فتكون سرابا فتترج الأرض بأهلها رجاً فتكون كالسفينة الموقرة في البحر  
 تضر بها الأمواج تسكفاً بأهلها، أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجه الأرياح، وهي التي  
 يقول الله عز وجل: يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة. قلوب يومئذ واجفة<sup>(٢)</sup>.  
 فتعيد الأرض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وبشيب الولدان،  
 وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها  
 فترجع، ويولئ الناس مذبرين ما لهم من الله من عاصم ينادى بعضهم لبعضا، وهو  
 الذي يقول الله عز وجل «يوم التناد»<sup>(٣)</sup> فيبناهم على ذلك تصدعت الأرض فانصدعت  
 من قطر إلى قطر، فأروا أمراً عظيماً لم يروا مثله وأخذهم من ذلك الكرب والهول  
 ما الله به عليم، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل ثم انشقت فانتثرت نجت ومها  
 وانخسفت شمسها وقمرها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والأموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك.  
 قال أبو هريرة: يا رسول الله فمن استثنى الله تعالى حين قال: ففزع من في السموات

(١) سورة س ١٥ . (٢) سورة النازعات ٦ - ٨ .

(٣) وذلك في قوله تعالى: «ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد» سورة غافر آية ٣٢ .

ومن في الأرض إلا من شاء الله<sup>(١)</sup> ؟ قال : أولئك الشهداء وقام الله فزع ذلك اليوم وأمنهم منه ، وهو عذاب يبعثه الله على شرار خلقه يقول الله عز وجل : « إِنْ زُلْزِلَتْ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ<sup>(٢)</sup> » . فيمكثون في ذلك البلاء ما شاء الله إلا أنه يطول عليهم ، ثم يأمر الله عز وجل إسرافيل فينفخ نفخة الصَّعْق ، فيضعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ، فإذا اجتمعوا جاء ملك الموت إلى الجبار فيقول : قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت فيقول الله عز وجل وهو أعلم : - من بقي ؟ فيقول : أئى رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت ، وبقيت حملة عرشك ، وبقي جبريل وميكائيل . فيقول : إني كتبت الموت على من تحت عرشي ، فيموتان ، ثم يأتي ملك الموت فيقول : قد مات جبريل وميكائيل فيقول وهو أعلم : من بقي ؟ فيقول : بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة العرش وبقيت أنا فيقول الله عز وجل : فليمت حملة العرش ، فيموتون وبأمر الله تعالى العرش فيقبض القرن من إسرافيل ثم يقول : ليمت إسرافيل فيموت . ثم يأتي ملك الموت فيقول : يارب قد مات حملة عرشك فيقول الله عز وجل وهو أعلم : فمن بقي ؟ فيقول : بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا . فيقول الله عز وجل : أنت خلق من خلقتي خلقتك لما رأيت فت . فيموت .

وفى رواية ابن أبي الدنيا : مت ثم لا تحيا .

فإذا لم يبق إلا الله عز وجل طوى السماء والأرض كطوى السجل للكتاب ثم دحاها ثم قال : أنا الجبار ، لمن المُلْكُ اليوم - ثلاث مرات - فلا يحميه أحد فيجيب نفسه فيقول : لنفسه : لله الواحد القهار .

(١) سورة النمل ٨٧ . (٢) - سورة الحج ١ ، ٢ .

ثم يبسط الأرض بسطاً يمدها مدة الأديم لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً ، ثم يزجر الله الخلق زجرةً واحدة فإذا هم بالساهرة على ظهرها ، ثم ينزل الله تعالى ماءً من تحت العرش كميّ الرجال ثم يأمر السماء أن تمطر فتُمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعاً ، ثم يأمر الله عز وجل الأجساد أن تنبت كنبات الطرائث أو كنبات البقل ، حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت قال الله عز وجل : لِيَحْيِيَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ فَيَحْيَوْنَ فَيَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ فَيَأْخُذُ الصُّورَ فَيَضَعُهُ عَلَى فِيهِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عز وجل : لِيَحْيِيَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ . فَيَحْيِيَانِ ثُمَّ يَدْعُو اللَّهُ عز وجل الْأَرْوَاحَ فَيُؤْتِي بِهَا تَرَهُّجَ أَرْوَاحِ الْمُسْلِمِينَ نُورًا وَالْأُخْرَى ظُلُمَةً ، فَيَقْبِضُهَا جَمِيعًا ثُمَّ يُلْقِيهَا فِي الصُّورِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ إِسْرَافِيلَ أَنْ يَنْفُخَ نَفْخَةَ الْبَعْثِ ، فَتَخْرُجُ الْأَرْوَاحُ كَأَنَّهَا الْفُجُلُ قَدْ مَلَأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَيَقُولُ اللَّهُ عز وجل : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَتَرْجَمَنَّ كُلُّ رُوحٍ إِلَى جَسَدِهَا . فَتَدْخُلُ الْأَرْوَاحُ فِي الْخِيَاشِيمِ ثُمَّ تَمْشِي فِي الْأَجْسَادِ مَشْيَ السَّمِّ فِي اللَّدِيعِ ثُمَّ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا . فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا سِرَاعًا مُهْطِينَ إِلَى الدَّاعِي حِفَاةَ عِزَّةٍ غُرْلًا ، ثُمَّ يَقِفُونَ مَقْدَارَ سَبْعِينَ عَامًا لَا يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ وَلَا يَقْضِي بَيْنَكُمْ ، فَيَكُونُ حَتَّى تَنْتَطِعَ الدَّمَوعُ ، ثُمَّ تَدْمَعُونَ دَمًا ، وَتَذَرِقُونَ حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ مِنْكُمْ أَنْ يُلْجِمَكُمْ أَوْ يَبْلُغَ الْأَذْقَانُ ، فَتَصِيحُونَ وَتَقُولُونَ : مَنْ يَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا عز وجل فَيَقْضِي بَيْنَنَا فَتَقُولُونَ : مَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْ أَبِيكُمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَكَلَّمَهُ قَبْلًا ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَطْلُبُونَ ذَلِكَ إِلَيْهِ فَيَأْتِي وَيَقُولُ : مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ فَيَسْتَقِرُّونَ الْأَنْبِيَاءَ نَبِيًّا نَبِيًّا كَمَا جَاءُوا نَبِيًّا أَبِي عَلَيْهِم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَتَّى يَأْتُونِي فَأَنْطَلِقَ مَعَهُمْ حَتَّى آتِيَ قُدَّامَ الْعَرْشِ فَأُخَرْتُ سَاجِدًا حَتَّى يَهْمُتَ اللَّهُ تَعَالَى مَلَكًا فَيَأْخُذُ بِمِصْدَرِي فَيَرْضَى وَيَقُولُ لِي : يَا مُحَمَّدُ . فَأَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ . فَيَقُولُ : مَا شَأْنُكَ ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ فَأَقُولُ : يَا رَبِّ وَعِدْتَنِي

الشفاعة. فشَفِّقْنِي فِي خَلْقِكَ وَاقْضِ بَيْنَهُمْ . فيقول: قد شَفِّعْتُكَ . فَأَرْجِعْ فَأَقِفْ مَعَ النَّاسِ ،  
فَإِنَّا نَحْنُ وَقَوْفُ إِذْ سَمِعْنَا حِسًّا مِنَ السَّمَاءِ شَدِيدًا فَهَآلَنَّا ، فَيَنْزِلُ أَهْلُ سَمَاءِ الدُّنْيَا  
فَيَأْخُذُونَ مَصَافِّهِمْ ، ثُمَّ يَنْزِلُ أَهْلُ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ بِمِثْلَى مَنْ نَزَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمِثْلَى مَنْ فِيهَا  
مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ حَتَّى يَأْخُذُوا مَصَافِّهِمْ ، حَتَّى يَنْزِلَ الْجِبَارُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ  
وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ وَهُمْ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ ، أَقْدَامُهُمْ فِي تَخْوَمِ الْأَرْضِ  
السُّفْلَى وَالْأَرْضُ إِلَى حَجَرِهِمُ وَالْعَرْشُ عَلَى مَنَاكِبِهِمْ لَمْ يَزَلْ مِنْ تَسْبِيحِهِمْ ، يَقُولُونَ :  
سُبْحَانَ ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَبَرُوتِ ، سُبْحَانَ ذِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ ، سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ  
سُبْحَانَ الَّذِي يَمِيتُ الْخَلْقَ وَلَا يَمُوتُ ، سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ، سُبْحَانَ رَبِّنَا أَهْلِي رَبِّ الْمَلَائِكَةِ  
وَالرُّوحِ فَيَضَعُ اللَّهُ كُرْسِيَّهٖ حَيْثُ شَاءَ مِنْ أَرْضِهِ ثُمَّ يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِّي  
قَدْ أَنْصَتُ لَكُمْ مِنْذُ خَلَقْتُكُمْ إِلَى يَوْمِكُمْ هَٰذَا أَسْمِعْ قَوْلَكُمْ وَأَنْظُرْ أَعْمَالَكُمْ ، فَأَنْصِتُوا ،  
فَإِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ وَصَحْفُكُمْ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ  
فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ . ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ جَهَنَّمَ فَيُخْرِجُ مِنْهَا عَنُقَ مَظْلَمٍ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :  
« وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ . أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ  
لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ » إِلَى قَوْلِهِ : « هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ <sup>(١)</sup> » فَيُمَيِّزُ اللَّهُ النَّاسَ  
وَيُنَجِّئُ الْأَمْمَ ، فَيَقْضِي بَيْنَ خَلْقِهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ فَيَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ الْوَحْشِ وَالْبَهَائِمِ ،  
حَتَّى إِنَّهُ لَيَقْيِدُ الْجَمَّاءَ مِنْ ذَاتِ الْقَرْنِ ، فَإِذَا لَمْ تَبْقَ تَبْعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَى يَقَالُ لَهَا :  
كُونِي تَرَابًا فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ : « يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا » .

فَيَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ ، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَا يَقْضِي فِيهِ الدِّمَاءُ فَيَأْمُرُ اللَّهُ كُلَّ مَنْ قُتِلَ  
فَيَحْمِلُ رَأْسَهُ تَشْغَبُ أَوْدَاجُهُ ، فيقول : يَا رَبِّ سَلِّ هَٰذَا فِيهِ قَتْلَانِي ؟ فَلَا تَبْقَى نَفْسٌ  
قَتَلَهَا قَاتِلٌ إِلَّا قُتِلَ بِهَا وَلَا مَظْلَمَةٌ ظَلَمَ بِهَا إِلَّا أُخْذَ بِهَا ، وَكَانَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

إِنْ شَاءَ عَذِّبَهُ وَإِنْ شَاءَ رَحِمَهُ ، ثُمَّ يَقْضَى بَيْنَ مَنْ بَقِيَ مِنْ خَافِهِ حَتَّى لَا تَبْقَى مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ إِلَّا أَخَذَهَا الْمَظْلُومُ مِنَ الظَّالِمِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَكْفُفُ شَائِبَ الْإِبْنِ بِالْمَاءِ ثُمَّ يَبِيْعُهُ أَنْ يَخْلُصَ الْإِبْنَ مِنَ الْمَاءِ ، فَإِذَا فَرَّغَ مِنْ ذَلِكَ نَادَى مُنَادٌ يُسْمَعُ الْخَلَائِقُ كُلَّهُمْ فَيَقُولُ : أَلَا لِيَلْحَقَ كُلُّ قَوْمٍ بِآلِهِمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ عَبْدٌ شَيْئًا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا مَثَلَتْ لَهُ الْآلَهَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَئِذٍ مَلَكَاتٍ عَلَى صُورَةِ عَزَّازٍ ، وَيَجْعَلُ مَلَكَاتٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى صُورَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فَيَتَّبِعُ هَذَا الْيَهُودَ وَيَتَّبِعُ هَذَا النَّصَارَى ، ثُمَّ قَادَتْهُمْ آلَهُمْ إِلَى النَّارِ ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ وَفِيهِمُ الْمُنَافِقُونَ بِدَأَمِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ذَهَبَ النَّاسُ فَالْحَقُوا بِآلِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . فَيَقُولُونَ : مَا لَنَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ وَمَا كُنَّا نَعْبُدُ غَيْرَهُ ، فَيُكْشَفُ لَهُمْ عَنْ سَاقٍ وَيَتَجَلَّى لَهُمْ مِنْ عَظَمَتِهِ مَا يَعْزِفُونَ أَنَّهُ رَبُّهُمْ تَعَالَى فَيَخِرُّونَ سُجَّدًا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَيَخِرُّ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلَى قَفَاهُ ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ أَضْلَابَهُمْ كَصِيَاصِ الْبَقَرِ ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الصِّرَاطَ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ كَعَدَسٍ عَلَيْهِ كَلَالِيْبٌ وَخَطَاطِيفٌ وَحَسَكٌ كَحَسَكِ السَّمْدَانِ ، فَيَمْرُتُونَ كَطُرْفِ الْعَيْنِ أَوْ كَلَمَحِ الْبَصَرِ أَوْ كَمَرِّ الرِّيحِ أَوْ كَأَجَاوِيدِ الْخَلِيلِ أَوْ كَجِيَادِ الرِّجَالِ ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَنَاجٍ مُخْدُوشٌ ، وَمَكْدُوشٌ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَهَنَّمَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَتَى بَابَ الْجَنَّةِ فَاسْتَفْتَحَ فَيُفْتَحُ لِي فَإِذَا دَخَلْتُ فَنَظَرْتُ إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ خَرْتُ سَاجِدًا .

ثم الكتاب بحمد الله تعالى



## فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الصفحة	الموضوع
٥	المجلس الأول في ذكر عاشوراء والمحرم
٨	الكلام على البسلة
١١	الكلام على قوله تعالى : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » .
٢٠	المجلس الثاني في ذكر رجب
٢٣	الكلام على البسلة
٢٦	الكلام على قوله تعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله »
٣٢	المجلس الثالث في ذكرى المعراج
٤٠	الكلام على البسلة
٤٣	قوله تعالى : « سبحان الذي أسرى ببيده ليلاً » .
٤٩	المجلس الرابع في ذكر فضائل شعبان
٥١	الكلام على البسلة
٥٤	الكلام على قوله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات » .
٥٩	المجلس الخامس في ذكر ليلة النصف من شعبان
٦٣	الكلام على البسلة
٦٦	الكلام على قوله تعالى : « حم والكتاب المبين » .
٧٠	المجلس السادس لاستفتاح شهر رمضان
٧٧	الكلام على البسلة
٨٠	الكلام على قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام »
٨٧	المجلس السابع لانتصاف شهر رمضان
٩٠	الكلام على البسلة
٩٣	الكلام على قوله تعالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » .

الصفحة	الموضوع
٩٨	المجلس الثامن في ذكر العشر وليلة القدر
١٠٦	الكلام على البسملة
١٠٩	الكلام على قوله تعالى : « سلام هي حتى مطلع الفجر » .
١١٢	المجلس التاسع في ذكر عيد الفطر
١١٥	الكلام على البسملة
١١٨	الكلام على قوله تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »
١٢٣	قوله تعالى : « لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .
١٢٦	المجلس العاشر في عشر ذي الحجة
١٣٤	الكلام على قوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » .
١٣٨	قوله تعالى : « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » .
١٣٨	سجع على قوله تعالى : « إن ربك لبالمرصاد » .
١٤٠	المجلس الحادي عشر في ذكر يوم عرفة
١٤٤	الكلام على البسملة
١٤٧	الكلام على قوله تعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا » .
١٤٧	سجع على قوله تعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا » .
١٥١	قوله تعالى : « وعلى كل ضامر »
١٥١	قوله تعالى : « يأتين من كل فج عميق » .
١٥٢	قوله تعالى : « ليشهدوا منافع لهم » .
١٥٥	الطبقة الثالثة تشتمل على ذكر خلق ابن آدم والأرض والسموات . فيها ثلاثة مجالس
١٥٧	المجلس الأول يذكر فيه خلق ابن آدم
١٦٣	الكلام على البسملة
١٦٦	الكلام على قوله تعالى : « ثم إنكم بعد ذلك لميتون » .
١٧٢	المجلس الثاني في ذكر السموات وما فيهن
١٨٧	الكلام على البسملة

الصفحة	الموضوع
١٨٩	الكلام على قوله تعالى : « وترى كل أمة جاثية » .
١٨٥	سجع على قوله تعالى : « كل أمة تدعى إلى كتابها »
١٨٦	المجلس الثالث في ذكر الأرض ومجائبها
١٩٠	الكلام على البسمة
١٩٣	قوله تعالى : « فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » .
١٩٧	سجع على قوله تعالى : « ولئن خاف مقام ربه جنتان »
١٩٩	الطبقة الرابعة : تشتمل على فضائل العلم والله ملات فيها ثمانية وعشرون مجلسا
٢٠١	المجلس الأول في فضائل العلم والعمل
٢٠٥	الكلام على البسمة
٢٠٩	الكلام على قوله تعالى : « فالיום لا تظلم نفس شيئا » .
٢١١	قوله تعالى : « ولا تعجزون إلا ما كنتم تعملون » .
٢١١	قوله تعالى : « إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون » .
٢١٢	قوله تعالى : « هم وأزواجهم في ظلال » .
٢١٤	سجع على قوله تعالى : « هم وأزواجهم في ظلال »
٢١٤	قوله تعالى : « على الأرائك متكئون » .
٢١٥	سجع على قوله تعالى : « سلام قولاً من رب رحيم »
٢١٦	المجلس الثاني في ذكر الطهارة
٢٢٢	الكلام على البسمة
٢٢٤	الكلام على قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة »
٢٢٨	سجع على قوله تعالى : « أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة »
٢٣٠	المجلس الثالث في ذكر الصلاة
٢٣٦	الكلام على البسمة
٢٤٠	الكلام على قوله تعالى : « إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون »
٢٤٧	المجلس الرابع في ذكر الزكاة

الصفحة	الموضوع
٢٥١	الكلام على البسملة
٢٦١	المجلس الخامس في ذكر الصيام
٢٦٧	الكلام على البسملة
٢٧٠	سجع على قوله تعالى : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد »
٢٧٢	سجع على قوله تعالى : « عن اليمين وعن الشمال قعيد »
٢٧٢	السجع على قوله تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد »
٢٧٥	سجع على قوله تعالى : « لقد كنت في غفلة من هذا »
٢٧٧	المجلس السادس في ذكر الحج
٢٨٣	الكلام على البسملة
٢٨٥	الكلام على قوله تعالى : « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة »
٢٩١	سجع على قوله تعالى : « يرجون تجارة لن تبور »
٢٩٣	المجلس السابع من الأخوة والصداقة
٣٠١	الكلام على البسملة
٣٠٣	الكلام على قوله تعالى : « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم »
٣١٠	المجلس الثامن في ذكر العزلة
٣١٦	الكلام على البسملة
٣١٦	الكلام على قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع »
٣٢٥	السجع على قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع »
٣٢٧	المجلس التاسع في ذكر الأمر بالمعروف
٣٣٢	الكلام على البسملة
٣٣٥	الكلام على قوله تعالى : « فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ».